

تذكرة الشعراء

شعراء بغداد في عهد الوزير داود باشا

الأصل الكامل الذي وضعه بالتركية
عبدالقادر الشهراباني

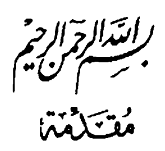
نقله إلى العربية
فؤاد حمدي

حققه وقدم له و علق عليه
الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

منشورات المجمع العلمي

مطبعة المجمع العلمي
بغداد ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م





في سنة ١٨٩٧ وقف الأب انستاس الكرملي، عالم اللغة المعروف (١٨٦٦-١٩٤٧م)، على رسالة صغيرة لدى صديقه العلامة السيد محمود شكري الآلوسي (١٨٥٧-١٩٢٤م)، تبحث في تراجم عدد من شعراء بغداد، تحت عنوان "شعراء بغداد في أيام وزارة المرحوم داود باشا والي بغداد من سنة ١٢٠٠ إلى سنة ١٢٤٦، وكتب عليها أنها" تأليف الفاضل، والنبيه الكامل، عبد القادر أفندي الخطيبي الشهراباني" فما كان منه إلا أن استأذن الآلوسي بأن ينسخ لنفسه منه نسخة، فأذن له بذلك، وأودع الكرملي هذه النسخة في خزانة كتبه الشهيرة في دير الآباء الكرمليين لتبقى فيها نحو عشرين عاماً. ولما أصدر جريدة (العرب) سنة ١٩١٧، استشار السيد الآلوسي في نشرها، فوافق ناصحاً إياه باصلاح عبارتها، فقد كتبت بلغة ركيكة وبأخطاء نحوية واملائية فاضحة، وأخذ الكرملي بالنصيحة إذ شرع بإعادة صياغة الرسالة ونشرها على نحو متسلسل في جريدته، ولم تمض إلاّ مدة حتى توقف عن النشر، لأسباب غير معلومة، وكان عدد التراجم المنشورة قد بلغ ٣٤ ترجمة.

وأثار نشر بعض تراجم هذا الكتاب اهتمام الباحثين الذين عنوا عهد ذاك بتتبع تاريخ الأدب العراقي في القرون المتأخرة، فاستأذنوا

صاحبها الأب أنستاس الكرملي بنسخ نسخ أخرى منها، وحاول كل منهم أن يجتهد في معرفة حقيقة الكتاب وهوية مؤلفه، ففي سنة ١٩٣٠ استطاع المحامي عباس العزاوي (١٨٩١-١٩٧١م) أن يحصل على نسخة طبق الأصل من الكتاب، فرغ من نسخها له، بإذن من الكرملي، خطاطه الخاص عبد الرزاق بن الملا محمد الحاج فليح الشيخلي، وذلك في ٢٣ شعبان ١٣٤٩هـ (٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٠م)، وقد علق عليها العزاوي تعليقات متفرقة، وتوصل إلى أن الكتاب هو مختصر بالعربية وضعه عبد القادر الشهرباني، أما الأصل الموسع بالتركية فرأى أنه من تأليف عيسى صفاء الدين البندنيجي، المتوفى سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، فقال في نبذة دونها في صفحة العنوان من نسخته ما نصه "هذه الرسالة منقولة من التركية الى العربية، ولم يذكر اسم مؤلفها ، ومن منطوياتها، ومن اللوح الخطي المدرج في هذه الرسالة، والموجود أصله عندي، تبين أن أصلها لصفاء الدين عيسى البندنيجي، إلا أن داخلها مسخ، وامتزجت بها أغلاط نساخ من الأصل والترجمة، وإني أترقب العثور على أصل النسخة التركية لأتمكن من تصحيحها، والتيسير بيد الله يسهل الكريم ذلك، وأنا الفقير لله تعالى عباس العزاوي المحامي"، ثم زاد الأمر تفصيلاً في الصفحة الأولى من المخطوط فقال" أصل التذكرة لصفائي، وهو عيسى صفاء الدين البندنيجي، كما يفهم من ص١٢ وهامش ١٣ وص١٦ وص٢١ مع الهامش "وعند الرجوع إلى هذه المواضع المؤشرة، تبين أنه

لم يرد فيها إلاّ تعليقات له بالمعنى نفسه، وليس من دليـــل عليـــها علـــى الاطلاق.

وصادف أن استرعت هذه التراجم اهتمـــام البـاحث المعــروف يعقوب سركيس (١٨٧٦-١٩٥٩م)، فطلب من الكرملي في أواخــر ســنة ١٩٣٥اعارته الرسالة ليقف على ما لم ينشر منها، ولدى دراسته الرســالة وتدقيقه النظر في مباحثها عنت له ملاحظات مهمة ســجلها فــي رسـالة مستقلة وبعث بها إلى الأب الكرملي برفقة المخطوط نفسه. وخلاصة مـــا توصل إليه أن هذا المخطوط ليس من تأليف عبــد القــادر الشــهراباني، مستنداً إلى وجود ترجمة له في صدر مخطوطته تضمنت، فيما تضمنــت، تاريخ وفاته، ولذا فإنه عد وجود اسمه على صدر المخطوطة" من خطـــأ النساخ وأشباههم". وانتهى إلى القول بأن أصل الكتاب كان بالتركية وأنـــه يمكن أن يكون عبد القادر قد نقله إلى العربية، لا أن يكون مـــن تأليفــه، واستند في هذا الرأي إلى أدلة رآها، منها ان ترجمة عبد القادر المذكــورة أشارت إليه بوصفه "مترجم التذكرة" والترجمة هنا، كما قال، النقل من لغـة إلى اخرى، وليس ترجمة الرجال إي كتابة سيرهم الشخصية، هذا فضـــلاً عن أن المؤلف حينما أورد شذرات من أخبار والد عبد القادر لــم يسـمه "والدي" وإنما اكتفى بالاشارة إليه بصيغة الغائب، وأن الترجمـــة أشــارت إلى أنه لم يسافر إلى الموصل، بينما يفهم مـــن المخطوطـة أن المؤلـف قضى نحو أربع سنوات في هذه المدينة. ثم أنه وإن قبل بصفة مبدئيـــة أن يكون من تعريب عبد القادر، إلاّ أنه عاد فأبدى شكه في هذا أيضاً، لأنـــه

لاحظ أنه ورد في ترجمة ميرزا محمد اشارة إلى "المرحوم نجيب باشا" فاستنتج أن نجيب هذا هو والي بغداد نجيب باشا الذي حكمها من سنة ١٢٥٨ إلى سنة ١٢٦٥هـ، وتوفي بعدها سنة ١٢٦٧، وفرغ من هذا إلى التساؤل "وكيف يكون التعريب لعبد القادر بعد اطلاعنا على ترجمة ميرزا محمد.. ولعل الأصل والتعريب متأخران عن زمانه". وعدا ذلك فقد تضمنت الرسالة مطالعات شتى عن لغة المخطوط، وأصل عبد القادر وتاريخ أسرته، ومتابعة لأخطاء وقع فيها الكرملي عند نشره بعض المخطوط في مجلة العرب، ثم أنه ختم رسالته هذه بكلمة إلى الأب الكرملي جاء فيها" والأجدر على ما أعتقد إن أردتم طبع الكتاب أن تبقوه بعباراته وجمله بعينه دون مسها، لأن الهدف في نشره التاريخ، وإذ يصعب عليكم أن تستسيغوا انشاءه وجمله المغلوط فيها- والحق معكم في بعض ذلك- فالذي أراه أن لا تقوموا فيه إلاّ الأغلاط الصرفية والنحوية وتصوير الكلم مع ابقاء الأصل على حاله في مواضع الشك والشبهة، وذكر التصحيح بين أقواس وعضادات حرصاً على محافظة النص لئلا يكون فيه من المعنى غير ما يفهمه الضليع من اللغة الفصحى في أول وهلة فيضيع المقصود".

والراجح أن رسالة يعقوب سركيس هذه، وربما ما رافقها من حوار شفوي في مجلس الجمعة الذي كان ينعقد اسبوعياً في دير الكرمليين ببغداد، قد شجعت الأب الكرملي على نشر الكتاب نشراً علمياً حرفياً، فإننا وجدناه يقدم بعد تسلمه رسالة صديقه المذكور على اعداد المخطوطة

للنشر، وقد اختار طريقة معينة في ذلك، فهو قد اكتفى بأن أدرج رســالة سركيس في صدر الكتاب، دونما تعليق، إلاّ بقوله "رسـالة مــن حضـرة الأستاذ المحقق والمؤرخ المدقق يعقوب أفندي نعوم ســركيس إلــى الأب أنستاس ماري الكرملي صاحب نسخة من هذا الكتاب". ولكنــه فضــل أن يكتب للكتاب "خاتمة" بعنوان "نظرات ونقدات" تضمنت مــبررات نشــره الكتاب، وقد أثنى عليه وأكد ما فيه من منافع كبيرة لدارس حالة الأدب في العراق في القرن الثالث عشر للهجرة، وصرح بأن الكتب المؤلفة في هــذا الموضوع قليلة جداً، وغير موفية للباحث، وعليه فإن "كتابنــا هــذا مــن أجزل المصنفات فائدة ولذا يستحق كل تقدير". ثم أنه عبر عن شكه في أن يكون العنوان الذي على صدر المخطوط، ونصه "شعراء بغـداد وكتابـها في أيام المرحوم داود باشا في حدود سنة ١٢٠٠ إلى ســنة ١٢٤٦" هــو العنوان الذي اختاره مؤلفه له، ورجح أن يكون من وضع أحــد الأدبــاء. وتوصل إلى أن عنوان الكتاب في الأصل هو "تذكرة الشعراء" إذ أنه هــو العنوان الذي ورد في بعض مطاويه. وعرج فــي القــول علــى هويــة المؤلف، مصرحاً بأنه يؤيد رأي سركيس، منتهياً إلى القول "لــذا نحــن نرى أن المؤلف مجهول والناقل أيضاً مجهول، وما نسب إلى عبد القــادر هو من باب الانتحال، إذ يصعب علينا أن نتصور رجلاً هو ابن خطيــب، قد انحطت لغته إلى درجة تدل على أنه أحط مقاماً من العوام، إذ هــؤلاء الناس يميزون بين المذكر والمؤنث، وبين المفرد والجمع، وبين الأســود والأبيض، وبين الأعلى والأسفل، بخلاف هذا المؤلف، فإنه يخلط الحــابل

بالنابل، والصغير بالكبير، فتغلق عبارته في بعض الأحيان حتى يصعب على القارئ أن يفهم العبارة على ما وضعت". ثم أنه أتى على نماذج عدة من هذه الأخطاء.

ولعل أفضل ما فعله الكرملي أنه عني باعداد فهارس شاملة ومستوعبة لما في الكتاب، وألحقها بمعجم صغير "يحوي شرح مغلق الألفاظ من عامية ومولدة واصطلاحية وتركية وفارسية ودخيلة وأغلبها لا وجود لها في المعاجم العربية التي في أيدينا"، فصار هذا المعجم دليلا لفهم عشرات الألفاظ التي أماتتها الأيام في هذا الكتاب وغيره.

وهكذا خرج الكتاب إلى الناس، في أحد أيام سنة ١٩٣٦، مشكوكاً في حقيقة عنوانه، وفي هوية مؤلفه، ومترجمه، ومثيراً من الأسئلة ما هو خليق بالاجابة والتحقيق، بيد أن عدم العثور على نسخة أخرى من المخطوط، حال دون التوصل إلى جلية الأمر، فتقبله الباحثون في تاريخ العراق ابان تلك الحقبة على علاته، إذ لا محيص لدارس التاريخ والأدب من الرجوع إلى ما احتواه من تراجم عديدة للتعرف على كثير من تفاصيل عهد قل فيه المؤرخون، ولف الغموض كثيراً من جوانبه. وكانت لغته الركيكة، وكثرة أخطائه الفادحة، قد أثارت خيبة ظن الدارسين والمعنيين بالأدب العربي في القرون الأخيرة، فتساءل الكرملي كيف يمكن لابن خطيب أن يرتكب من الأخطاء كل هذا القدر الفظيع، على ما مر بنا. وتمنى المؤرخ عباس العزاوي أن "تزول الفكرة السيئة التي ولدها كتاب

تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابها أيام داود باشا"[1] هذا على أساس أن لغة الكتاب قد كشفت مقدار التردي الذي كانت عليه لغة أدباء ذلك العصر فضلاً عن عامته.

وكم كانت سعادتنا غامرة حينما وفقنا سنة ١٩٩٧ في الوقوف على نسخة مصورة لدى بعض الوراقين، من كتاب قديم باللغة التركية (العثمانية)[2]، ولدى تصفحه تبين لنا على الفور أنه النسخة الأصل للكتاب

---

[1] تاريخ الأدب العربي في العراق ج٢ ص٣١٢.

[2] بعد الفراغ من نقل الكتاب إلى العربية، علمنا أن نسخة الأصل قد استقرت في خزانة كتب دار صدام للمخطوطات تحت العدد ٤١٦٩٤، وقد ألقى الشيخ محمد علي القره داغي محاضرة في المجمع العلمي، الهيئة الكردية، بتاريخ ١٩٩٩/٥/١٥عن هذا المخطوط بعنوان (تذكرة الأدباء ونسختها الأصلية)، وقد توصل المحاضر الى "أن التسمية الواردة في النسخة المطبوعة (يريد من المختصر الذي نشره الكرملي) ليست التسمية التي أرادها المؤلف لكتابه، بل أن اسم الكتاب هو تذكرة الأدباء"، واستند في ذلك الرأي إلى عبارة أثبتها بعضهم على الصفحة الأولى من المخطوط جاء فيها "تذكرة الأدباء تأليف عبد القادر أفندي خطيبزاده الشهرباني، ألفها لداود باشا والي بغداد رحمه الله، هذه النسخة بخط المؤلف، وتوجد منها نسخة أخرى في بيت إسماعيل أفندي الدفتريزاده، كما توجد منها نسخة أخرى في المدينة المنورة- على ساكنها الصلاة والسلام- في مكتبة داود باشا، أما مسودتها فهي لدى قاسم أفندي كاتب تحرير خوراسنان "(لعلها خريسان من أعمال بغداد)" ولدى الرجوع إلى النسخة المصورة على أصل المخطوط، وجدنا المؤلف يصرح نصاً بما ترجمته أن داود باشا كلفه "بتأليف كتاب من نمط تذكرة الشعراء أجمع فيه نبذاً من سير الشعراء الناطقين بالتركية مع-

الذي نشره الكرملي منذ نحو خمسة وستين عاماً، ولدى مقابلته على المنشور توضحت جملة من الحقائق المهمة، منها أن المخطوطة المنشورة لا تزيد على أن تكون مختصرا يقل عن ربع الكتاب الأصل، وقد بلغ به الاختصار أحياناً حد الاخلال بالمادة العلمية نفسها، فحذف تفاصيل من تراجم الأعلام، كما أسقط في اختصاره جميع ما ورد فيه من قصائد ومقطعات وتخاميس وأبيات، حتى باتت التراجم بائسة كئيبة، قد جردت مما يدل على مواهب اصحابها الأدبية. ومما يزيد الأمر أهمية أن المختصر أسقط جانباً من تراجم الأصل، فتراجم الأصل يبلغ عددها ٦٨ بينما يصل عدد التراجم التي احتواها المختصر٥٣ ترجمة، منها أربع تراجم لم ترد في الأصل المذكور[1]. والأغرب من هذا أن المختصر زاد أشياء على التراجم التي اختصرها، لم ترد في الأصل نفسه، ومنها ما يقلب المعنى تماماً.

ومما هو جدير بالتنويه، أن العثور على الأصل، حسم كل شكوك العزاوي وسركيس والكرملي مرة واحدة، فمؤلف الكتاب هو- بلا أدنى

=نماذج من أعمالهم الأدبية"، وتعزز هذه العبارة تعليقة في أول المخطوط بخط عبد القادر الشهرباني وتوقيعه، ورد فيه اسم الكتاب على أنه "تذكرة الشعراء"، وهذا الاسم هو الذي اختاره الكرملي ليضعه على غلاف المختصر الذي نشره، لذا فقد فضلنا أن نثبت هذا العنوان لأنه ينطبق على ما صرح به المؤلف نفسه.

[1] إن هذه التراجم المضافة هي لعبد القادر الشهرباني نفسه، الرقم ١، ولثلاثة من العلماء هم علي بن محمد سعيد السويدي، وأسعد أفندي بن صبغة الله الحيدري، وأحمد أفندي المدرس الحافظ (التراجم ٥١، ٥٢، ٥٣).

ريب- الشيخ الأديب عبد القادر الشهراباني، وأنه وضعه بلغة تركية قديمة عالية، نمت عن علو كعبه بالأدب التركي، واطلاعه الواسع على الأدبين العربي والفارسي، فقد اورد للأعلام المترجمين نماذج عديدة من أشعارهم باللغات الثلاث، ولم يكن هو بالذي لا يميز بين المؤنث والمذكر، والمفرد والجمع.. الخ على ما ذهب الأب الكرملي، وإنما هذه لغة ذلك المعرب المجهول، الذي اختار من الأصل ما اختار، واختصر مما اختاره ما شاء، حتى بات كتابه يكاد يكون كتابا آخر غير الأصل الذي وضعه مؤلفه.

وإذا كان يعقوب سركيس قد بنى شكه في نسبة الكتاب إلى الشهرباني على جملة أمور، أولها أن الكتاب قد ضم ترجمة في صدره للشهرباني المذكور تضمنت تاريخ وفاته، فإن أصل الكتاب الذي بين أيدينا يخلو من هذه الترجمة، فهي إذن قد أضيفت إلى المختصر بفعل كاتب آخر، ومنها أن المؤلف حينما ذكر ترجمة مختار الشهراباني، وهو والد عبد القادر، لم يذكره بصفة والده مطلقا، فاستنتج ما استنتج اذن، ولدى الرجوع إلى ترجمته في الأصل، وجدناه يصرح تصريحا بأنه والده، بل يذكر أنه لم يختر لقبه (الخطيبي) إلا لأن والده المذكور كان يحمل نفس اللقب، بل أن أحد مالكي الكتاب صرح في تعليقة له في

الورقة الأولى من المخطوط أنه من تأليف عبد القادر أفنـــدي خطيـبزاده (أي آل الخطيب) وأن النسخة بخط المؤلف[1].

ولعل من غير الصعب القول بأن كاتبا غير معروف عــاش فــي النصف الأخير من القرن الثالث عشر للهجرة،أبــاح لنفســه أن يختصــر الكتاب، بعد ترجمته إلى العربية، على هذا النحو المخل، الذي أثــار كـل هذه الشكوك، ولكن الأمر فيه من أوجه الغموض مــا يزيـد علــى هــذا الفرض، لأننا حينما قابلنا المختصر على الأصل الذي بين أيدينا وجدنـــاه يختصره في مواضع عديدة، ولكنه يزيد عليه بعض التفاصيل أحيانا، بــل يأتي بمعلومات تناقض الأصل تناقضا بينا، فمن أين أتى هــذا المــترجم-المختصر بمثل هذه الزيادات التي تخص أفرادا لـــم يعــاصرهم، أو لــم يعاصر أغلبهم، لأنهم عاشوا في أواخر القرن الثــاني عشــر، والنصــف الأول من القرن التالي، ولا تفسير لدينا لهذا الأمر إلا بوجه واحد، وهـــو أن الشهراباني كتب غير نسخة واحدة من كتابه، وهي تختلف في بعـــض

---

[1] هذا ما ذكره، وإلا فإننا وجدنا تعليقة على الورقة الأولى من المخطـــوط تتضمــن طلبا إلى من اسمه علي نجيب بك بتعيين سليمان آغا مهترباشـــي (رئيــس فرقــة الموسيقى) في بعض الدوائر التابعة لادارته، وهي بتوقيـــع عبــد القــادر نفســه، ويختلف خط هذه التعليقة عن الخط الذي كتب به الكتاب. وتشير التعليقة أيضا إلــى أن سليمان آغا المذكور كان قد قدم إلى من تسميه (أفندينا) تذكرة الشــعراء هــذه هدية سنة ١٢٤٥، وهذا هو تاريخ الفراغ من النسخة نفسها كما ورد في آخرهـــا، فيكون المهدى إليه هو والي بغداد داود باشا نفسه، وهنا يحق لنا أن نتساءل : لــم لم يتول عبد القادر اهداء كتابه بنفسه إلى داود وترك غيره يهديه إليه؟.

التفصيلات عن النسخة الأخرى، وهذه النسخة هي التي وقع عليها المترجم المختصر فترجمها واختصر مادتها، وأضاف إليها ترجمة المؤلف، كما أضاف بعض الزيادات التي تابع فيها مجريات تراجم أفراد ذكرهم المؤلف الشهراباني في المدة التي أعقبت زمن تأليفه للكتاب، ومما يعزز هذا الرأي أن أحد مالكي الأصل قد كتب في تعليقة له على الصفحة الأولى من المخطوط أن منه نسختين أخريين، احداهما في مكتبة داود باشا في المدينة المنورة، أما مسودتها "فهي لدى قاسم أفندي كاتب تحريرات خوراسان". فالظاهر أنه ثمة اختلافات بين مسودة الكتاب ومبيضته التي أخرجها المؤلف، هي السبب وراء وجود الزيادات والاختلافات الواردة في المختصر والتي لا نجد لها أصلاً في المخطوطة التي بين أيدينا. وإذا كان المترجم المختصر قد حذف من الأصل الذي اختصره جميع ما ورد فيه من قصائد وقطع وأبيات بالتركية والفارسية والعربية، فإن مما يثير الاستغراب أنه أورد بدلاً مما حذفه قصائد وأبياتاً نظمت بالعربية أصلاً، فمن أين أتى بهذه الآثار الأدبية العربية، وهي التي خلا الأصل التركي منها، وكيف أبدلت بالقصائد التركية والفارسية نماذج عربية أخرى للشعراء أنفسهم؟ ألا يبعث هذا في الظن أن للكتاب نسختين أصليتين، إحداهما بالتركية وهي التي توصلنا إليها، والأخرى بالعربية وهي التي اختصرها ذلك الكاتب المجهول وقام الكرملي بنشر المختصر منذ نحو سبعة عقود من الزمن.

ويلاحظ أن المختصر وإن تحدث عن أعلام هم من الأدباء والشعراء خاصة، فإنه من النادر أن يورد لهم نماذج من أعمالهم الأدبية، وهذا أمر يستغرب في هذا النمط من الكتب التي شاع تأليفها في العصر العثماني وتجمع في ثناياها بين ترجمة الرجل والنماذج الكثيرة من شعره، و يعرف أحدها عادة بتذكرة الشعراء، ونعتقد أن سبب هذه الظاهرة هو في أن مؤلف الأصل نفسه لم يجد نماذج كثيرة من شعر من ترجم لهم من الأعلام بالعربية خاصة، لأن أكثرهم قد نبغ بلغتين أخريين، هما التركية والفارسية، فمن وجد له شعراً عربياً أثبته في النسخة الأخرى، التي وجدت طريقها إلى المختصر المجهول، ومن لم يجد له شيئاً منه، تركه واكتفى بأن أورد نماذج من أدبه باللغتين المذكورتين في النسخة التركية. ويكفي أن نقدر حجم اختصار ذلك الكاتب للكتاب بأن المختصر لم يتجاوز الاثنتين والأربعين صفحة عادية مطبوعة، بينما جاء الأصل في أكثر من مائة وتسعين صفحة كبيرة مكتنزة، وفضلاً عما أورده صاحب الأصل من نماذج مهمة من أدب ذلك العصر، فإنه تضمن معلومات تاريخية عديدة لم تجد طريقها إلى المختصر، وبعض هذه المعلومات مهم في بابه لأنه لم يرد في غير الأصل من كتب، من مثل حديثه عن غرق بغداد سنة ١٢٤٠ وإنشاء أول مطبعة في بغداد سنة ١٢٤٢ والحملة على الخزاعل في منطقة الإسكندرية، والحملة على تمرد بعض أمراء زهاب أيام كانت جزءاً من ولاية بغداد، ووصف بعض قصور السراي في ذلك العهد، وما ضمته من قاعات فخمة وجنائن، فضلاً عن وصف مساجد وخزائن كتب

أنشئت في بغداد آنذاك، ومثل ذلك كثير. وقد سبق للكرملي أن نوه بفوائد المختصر الذي عني بنشره من هذا الكتاب، ونحن نضيف إلى ذلك أن الكتاب في أصله الذي نقوم بنشره قد كشف عن صفحة مجهولة من تاريخ الحياة الأدبية الرفيعة التي عاشتها بغداد في القرون المتأخرة، فليس قليلا أن تضم مدينة واحدة، خلال حكم وال واحد تقريباً، وفي عهد أعتيد على وصفه بالتخلف الثقافي، هذا العدد الكبير من الشعراء والأدباء الذين نظموا أشعارهم، وبعضهم من أصحاب الدواوين الذائعة، بلغات عصرهم الثلاث، العربية والتركية والفارسية، وزاوجوا بين أساليبها وأخيلتها معاً، وظاهوا في بعض أعمالهم أشعار قمم أدباء تلك اللغات، أمثال فضولي وسعدي ونابي وثابت وغيرهم.

والكتاب، سواء في أصله أو في مختصره، لا يختص بشعراء بغداد وأدبائها فحسب، وإن كان أكثرهم منها، وإنما تناول سير غيرهم من أهل الموصل وكركوك وبندنيجين (مندلي).

مؤلف الأصل

ذكرنا أن صاحب المختصر أثبت في صدر كتابه ترجمة للمؤلف عبد القادر الشهرباني، كتب في أولها أنها لـ"مترجم التذكرة" فأثارت هذه العبارة شكوك يعقوب سركيس في معنى الترجمة هنا، أهي نقل الكتاب من لغة الى أخرى، أو أنها بمعنى الترجمة للأعلام، أي تدوين سيرهم الشخصية، وإذ قطعنا- كما دل الكتاب الذي بين أيدينا نفسه- أنه من

تأليفه، يكون ما قصده هو المعنى الأخير لا محالة، فالكتاب من تأليفه وحده، وأنه أنشأه إنشاءاً، ولم ينقله من لغة أخرى، فمن هو هذا الشهرباني إذن؟

ولد عبد القادر الشهرباني في بلدة شهربان (التي سميت فيما بعد بالمقدادية) من أعمال شرقي بغداد، وإليها نسب، وهو سليل أسرة قديمة تولت الخطابة والتولية في جامع شهربان الكبير منذ قرون، وذلك بموجب تكليف أصدره إليها أحد السلاطين العثمانيين في فرمان خاص بالأسرة، وأن والده الملا مختار بن فتحي أفندي كان خطيباً في هذا الجامع، وأن له بيتاً كبيراً في البلدة يتردد إليه الأدباء عند نزولهم البلدة، وفي هذا البيت كان يجري تطارح الأشعار بلغات العصر الثلاث، التركية والعربية والفارسية، وتستذكر أخبار الشعراء أنفسهم. ولم تقتصر ثقافة مختار هذا على أفانين الأدب، وإنما كان فقيهاً وهو ما ينسجم ولقبه (ملا) الذي كان يطلق عادة على فئات من أهل العلم عهد ذاك، وبخاصة الذين يعانون وظيفة تعليمية، ويظهر أن تنوع ثقافته لم تقتصر على ذلك فحسب، وإنما امتد ليشمل مجالات علمية مختلفة، فكانت له اهتمامات بالرياضيات، وبصناعة الورق، والظاهر أن معرفته في هذه الصناعة التي تعتمد على مواد كيماوية، أدت به إلى الاهتمام بالكيمياء ذاتها، حتى قيل أنها بلغت به حد الهوس، وكان العلم الأخير يعني تحديداً تلك الجهود التي تبذل من أجل تحويل المعادن الخسيسة، وبخاصة النحاس، إلى ذهب إبريز، وهي جهود طالما استهوت كثير من العلماء في ذلك العصر وغيره. ولم يستهو اهتمام

عبد القادر من هذه المعارف المتنوعة، إلا ما له علاقة بالأدب والأدباء، وهو ما دلت عليه ترجمته، فضلا عما نم عنه كتابه الذي نقوم بنشره الآن. فكان طبيعيا أن تؤثر بيئة أدبية من هذا النوع على اهتمامات عبد القادر وتوجهاته الثقافية، فقرأ كتب العربية، ونبغ بالأدب الفارسي، وتأثر بكتب التاريخ التركية، وهكذا فقد وسعت تجربته الأدبية الثقافات الثلاث، وشرع بنظم الشعر شابا، ويظهر أنه كان يعيش عهد ذاك في كنف أبيه في شهربان، يتفيأ ظلال نخيلها، ويتنقل بين بساتينها، وهو يصفها بأنها "كانت محاطة ببساتين النخل والرمان، وآية من آية الجنان". ولا شك في أنه أكثر تأثرا بأبيه، وقد أشاد بطول باعه وسحر بيانه في ساحتى النثر والنظم معا، وذكر أنه كانت له القدرة على سحر السامعين كلما ارتقى منبر الجامع خطيبا، كما كانت له المكنة على حمل البهجة إلى قلوب أصدقائه بما كان يعرف به من روح مرحة تميل إلى الممازحة وقص النكات. وأنه كان كسائر أدباء عصره له اسم أدبي يوقع به قصائده، هو (خطيبي).

وكان أبوه قد اعتاد على السفر بين حين وآخر إلى بغداد[1]، والإقامة فيها مدة ضيفا على بعض أصدقائه من علمائها، يأخذ العلم على أيدي هذا العالم، ويشدو الأدب في مجلس ذلك الأديب، ويظهر أنه كان

---

[1] في وقفية أحمد أفندي بن علي أفندي على جامع المصرف ببغداد، المؤرخة في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٢٣هـ نقرأ أن من بين الشهود على الوقفية "ملا حسين بن محمد مختار أفندي خطيب زاده" فلعله اخ لعبد القادر المذكور.

يصطحب عبد القادر في تلك الزيارات، مما وسع من مـــدارك الأخـــير، وجعله أكثر معرفة بأدباء بغداد وشعرائها وعلمائها، بل نشأت بينه وبيـــن بعضهم صلات شخصية عززتها مواهبه الأدبية فضلا عن مكانة أســـرته الاجتماعية، فكان ممن تابعهم وتأثر بأدبهم وتتلمذ عليهم الشـــاعر النابـــه نابي وغيره.

وعلى الرغم من توريث الأسرة لمنصـــب الخطابـــة فـــي جـــامع شهربان، فإن عبد القادر لم يشأ أن يتبوأ منصب أبيه، بعد وفـــاة الأخـــير سنة ١٢٢٦هـــ، وربما كانت سنه الصغيرة سببا في ذلك، إذ لـــم يتجـــاوز آنذاك السابعة عشرة من العمر. ولأسباب لم نعرفها فإنه غـــادر موطنـــه قاصدا الموصل، حيث مكث هناك من سنة ١٢٢٧هـــ/١٨١٢م إلى ســـنة ١٢٣١هـــ/١٨١٥م. ولم يذكر لنا عبد القادر شيئا عن اقامته في الموصل، ومن المحتمل أنه نزل عند أخوال له هناك، وتعرف وهو مقيم هناك بعـــدد من أدباء الموصل وعلمائها، ربما كان منهم الشـــاعر الخطـــاط المجـــود صالح السعدي فإنه أخذ عنه بعض ضروب الخط، وحصل على الإجـــازة في الخط منه، ومنهم عبدي أفندي الأربيلي المتخلص بمائل، وذلك ســـنة ١٢٢٨هـــ/١٨١٣م[١]. وعند عودته مر باربل، فالتقى في أثنائها ببعـــض شعراء المدينة وأدبائها، منهم الشاعر غريبي أفندي يوســـف افنـــدي بـــن خليلي الجبوقجي الاربلي، فجالسه وطالع ديوانه[٢]، وفي كركوك أقام فـــي

---

[١] المختصر ص٣٩.

[٢] المختصر ص٥٧

مسجد هناك أربعين يوما، فكان ممن تعرف عليه فيها مصطفى أفندي الكركوكي، وكان شاعرا مشهورا، فجالسه وأفاد منه، وآصف زاده محمد صالح أفندي، وهو إمام المسجد الذي أقام فيه. وتكررت رحلاته إلى الموصل، ففي سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م قصدها وهو في طريقه إلى مدينة ماردين، فكان أن زار الأديب صالح السعدي المذكور.

وحينما تولى الوزير داود باشا حكم بغداد فضل أن يعمل كاتبا في المصرفخانة ببغداد، وكانت هذه المؤسسة المالية تضم أفضل كتاب العصر وأدبائه، خاصة ممن يجيدون النظم والنثر باللغات الثلاث جميعا. وفي المصرفخانة توثقت عرى الصداقة بينه وبين أدباء بغداد وشعرائها، وتعرف على من لم يكن يعرفه منهم، واطلع على دواوين شعرهم وعلى أعمالهم الأدبية الأخرى، وانتخب في دفاتره نماذج عديدة منها. ومن المنطقي أن تلفت هذه الاهتمامات انتباه داود باشا وأن تثير اعجابه، فكان أن شجعه على تأليف كتاب من نمط الكتب المعروفة بـ"تذكرة الشعراء"، يجمع فيه أخبار شعراء عصره وأدبائه، فيسجل تراجمهم، ويضم إليهم نماذج موسعة من جهودهم الأدبية، على اختلاف اللغات التي كتبوها بها، فكان أن كتب هذا الكتاب الذي نقوم بنشره الآن.

قضى عبد القادر أسعد أيام حياته في بغداد، موظفا في المصرفخانة، مقربا من داود باشا، محتلا مكانه بين شعراء المدينة وأدبائها، ينظم القصائد، ويجيز قصائد غيره، حتى إذا ما قاربت شمس ولاية داود بالمغيب، تبدلت سعادته شقاءا، وأمنه قلقا واضطرابا، فقد داهم

الطاعون مدينة السلام في السنة الأخيرة من عهد داود على نحو لم يشهده العراق منذ عهد بعيد، فقتل عشرات الألوف من سكانها، وشرد عشرات غيرهم، وساعدت مياه الفيضان الذي أغرقت المدينة في الوقت نفسه على مضاعفة حجم الكارثة، واضطر كثير من الناس إلى الفرار من بغداد والالتجاء إلى المدن والقرى الأخرى، فكان أن اختار عبد القادر بلدة آبائه شهربان ملجأ له، ولبث فيها نحو أربعة أشهر، ولما عاد إلى بغداد بعدها وجد كل شيء قد تغير فيها، فكثير من أصدقائه ماتوا طعنا، واندثرت محلات بكاملها غرقا، واضطر هو إلى مزاولة عمله في المصرفخانة، لكنه لم يلبث أن اضطر إلى تركها، إثر تمكن قوات الدولة العثمانية من تصفية نظام داود، وسعى بعد استعادة الحكم العثماني المباشر، إلى العمل خارج بغداد، واختار أن يعمل موظفا ماليا في البصرة، فكان له ما أراد، وسافر إلى البصرة صحبة متسلمها الجديد ليمضي فيها عدة شهور من سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، ولكن الطاعون لم يلبث أن وصل إلى المدينة، فكان ممن فتك بهم، متسلمها المذكور، وعبد القادر الشهراباني نفسه، وهكذا انقضت أيام هذا الأديب العراقي النابه، ولم يكن قد جاوز من العمر الثامن والثلاثين عاما.

عملنا في الكتاب

تقع مخطوطة الكتاب في ١٩٣ صفحة، في كل منها ٢٥ سطرا، وهي بخط يتراوح بين النسخ والنس تعليق، تتقدمها ورقة فيها تعليقة

للمؤلف أشير إليها من قبل، وفي آخر المخطوطة ورقتان فيهما نصـــوص لا علاقة لها بموضوع الكتاب[1].

كتب الشهرباني كتابه هذا بلغة تركية عالية، مما كان يعرف بلغـة الدواوين، وتتميز هذه اللغة بتضمنها مفردات تركية وعربية كثيرة، وربمـا ألفاظا تركية قديمة، وقد سبق أن اشتكى المرحوم موسى كاظم نورس مـن صعوبة ترجمة هذه اللغة حينما اضطلع بترجمة كتاب (دوحة الوزراء فـي تاريخ وقائع بغداد الزوراء) إذ قال "إن المؤلف رحمه الله قـد دون كتابــه هذا بلغة لا هي عربية ولا هي تركية ولا هي فارسية، وإنما هــو خليـط عجيب من اللغات الثلاث... وكثيرا ما يخــرج بأسـلوبه مــن الأسـلوب التاريخي إلى الأسلوب الأدبي السائد حينذاك، بالإضافة إلى وضعه بعـض العبارات العربية أو الفارسية في غير مواضعها، ولهذا يصعب على مـــن لم يتقن اللغات الثلاث أن يترجم هذا الكتاب".

وبناءا على هذه الشروط الصعبة التي وضعها المرحوم نورس لمـن يتصدى لترجمة هذا النوع من الكتب، فقد اتصلت بالأديب الأسـتاذ فـؤاد

---

[1] تتضمن النص الأول تسجيلا لما دار في أحد مجالس ولي النعم (يظـهر أنـه داود باشا نفسه) حول أفضل علاج للزكام، وهو الفصد والاستحمام، ثم خطابا موجـها إلى شخص ذي مكانة عالية لتبليغه بتوجيه ايالة البوسنة إلى عهدته، وتقديم التهاني إليه بهذه المناسبة السعيدة. ويتضمن النص الأخير صورة لبطاقة دعوة موجهة إلى أحد رجال الدولة بخصوص وجوب الحضور في جامع بكلربكي للاشـتراك فـي ندوة ستعقد هناك في اليوم التالي لذلك التاريخ في حدود الساعة الثانية مع ارتـداء الزي الرسمي.

حمدي، وهو الضليع باللغتين التركية القديمة والفارسية، فضلاً عن العربية، وعرضت عليه فكرة نقل الكتاب إلى العربية، فرحب بالمشروع كله، وأقبل على ترجمته بدقة مشهودة، وإتقان يثير الإعجاب. وزاد من صعوبة عمله، أن الكتاب يضم العديد من الأبيات والقطع والقصائد بالتركية والفارسية[1]، ومن المعلوم أن نقل الشعر من لغة إلى أخرى أمر تكتنفه صعاب خاصة، فكان أن بذل جهده كله في هذا النقل، وحرص أن يكون نقلاً حرفياً مباشراً، يؤدي المعنى بصورة قريبة من الأصل، وهكذا فقد جرت ترجمة هذا الكتاب.

ولابد من القول أن الكتاب يضم عدداً كبيراً من المصطلحات الإدارية والحضارية التي كانت مستخدمة في العصر العثماني، فترجم الأستاذ حمدي معانيها إلى العربية، ونظراً لأهمية هذه المصطلحات في تاريخ تطور الإدارة والحضارة في العراق، وأن لها معانيها الاصطلاحية التي لا يمكن نقلها بصورة حرفية إلى لغتنا الحاضرة، فقد أدى هذا بي إلى مقابلة الترجمة على أصلها لأعيد هذه المصطلحات إلى ما كانت عليه، هذا مع شرح معانيها في حواش خاصة. ولا أنكر أني تدخلت في مرات عديدة في صياغة هذه العبارة أو تلك، وبخاصة في الشعر، إذ حاولت جهد الإمكان أن أخرجه على نحو أكثر قبولاً مما لو بقي بترجمته الحرفية.

---

[1] ما سكتنا عن تحديد لغته فهو بالتركية، لغة الكتاب الأصل، وما كان بعداهـا فقد أشرنا إلى لغته، إن كانت العربية أو الفارسية.

وفي الكتاب، فضلاً عما ذكرت، أسماء كثيرة لأعلام من الأدباء والشعراء وأصحاب المناصب الإدارية من الولاة والموظفين، وأسماء لمواقع جغرافية ومؤسسات ثقافية كانت قائمة عصر ذاك، وحوادث تاريخية ترددت أخبارها في ثنايا تراجم أعلامه، فاقتضى ذلك مني أن أتناول بالشرح والتعليق كل هذه الأسماء، في حواش خاصة أثبتها في مواضعها.

وكان لابد لي من مقابلة الكتاب الذي بين أيدينا بالكتاب المختصر الذي نشره الكرملي قبل أكثر من ستة عقود من السنين بعنوان (تذكرة شعراء بغداد)، لأثبت أوجه الاختلاف بينه وبين هذا الكتاب من زيادة أو نقصان، وقد سميته حيثما وردت الإشارة إليه بالمختصر، تمييزاً عن الأصل الكامل الذي نقوم بنشره الآن.

وأخيراً، لا بد لي من ان أتقدم بجزيل الشكر والثناء إلى الأخ الكريم الدكتور صبحي ناظم توفيق على ما بذله من معاونة نبيلة في إخراج هذا الكتاب، منذ أن كان فكرة إلى أن ظهر على النحو الذي يراه القارئ الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف
بغداد في ٢٧ رمضان المبارك
سنة ١٤٢٢ للهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الثانية من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط



المقدمة

بيتان معناهما

اللــهم أنقنــي نعمـــــاء المعرفــــة وأطلعني على خزائن الفيض والإلــهام
فاني مكلف بتدوين تراجم الشــعراء[1] فأمددني بعونك ويســـر لــي المـــهام

بمقتضى مآل أكمام الورد الواردة في صحيفة التنزيل: ﴿وإنْ مِــــن شيءٍ إلاّ يُسَبّحُ بحَمْدِهِ﴾[2]، والزلال الباعث لنشوة الحمد والمنة حسب لغـة باقة الريحان الناطقة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنّكُمْ﴾[3] ومعين ماء الشكر الجاري بلا قيد ولا حساب، نحو منشئ جنان القدم، وتجاه ناظر روضـــــة: ﴿عَلّـمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]. فيوجه كل ذلك ويجري اسالته نحو مجرى الــرضا والقبول لرياض الرحمة لحضرة المولى، إذ جعل النوع الانساني متحليـــاً بالآيات القرآنية، حسب فحوى: ﴿علّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. بما أن زمـــرة الشعراء المتصفين بفصاحة البيان وفرقة النـــاظمين المعروفيـــن ببلاغـــة

---

[1] في الأصل: الشعراء الترك، ولا وجه لهذا، لأن الكتـــاب ضـــم تراجـــم شـــعراء عراقيين، من بغداد والموصل وكركوك وشهربان ومندلي وغيرها مـــن البلـــدان العراقية، ولعله يريد: الذين لهم نظم بالتركية.

[2] الإسراء ٤٤.

[3] إبراهيم ٧.

[4] العلق ٥.

البيان، يعمهون في الظلام، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[1]. وبينما كـــان الحال على هذا الخط، إذا بمشكاة مصباح الايمان يهدى المســـلمين إلـــى الطريق الصحيح بمشعل الاستثناء: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُـوا﴾. فأخرجـــهم إلـــى النور، إذ هو الرب فرداً فلا ند له، وهو الحق جداً فلا ضد له. انه عليـــم وقد أحاط علمه بالاكوان، وعَمَّ لطفه العالمين اجمعين.

والامر الواجب الاذعان الصادر من سلطان كن فكـــان، وملـــك الكون والمكان ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْـــهِ وَسَـــلِّمُوا تَسْـــلِيمًا﴾[2]. فامتثالاً لهذا النص الشريف، فإن دراري الصلاة والسلام المستخرجة مـــن بحر الفؤاد والروح، يجري نثارها ملء الاطباق إلى ذلك المـــتربع علـــى عرش: ﴿وعَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والحكم المتنفذ في ملكه: (أنا افصـــح العرب والعجم). البيغاء النطق العذب، ﴿وَمَـــا يَنْطِـــقُ عَـــنْ الْـــهَوَى﴾[3] والعندليب المنشد على الأغصان: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[4] فـــهو قـــد قطع المراحل في مجال ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ وصار نشاباً في ساحة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[5].

---

[1] الشعراء ٢٢٤.

[2] الأحزاب ٥٦.

[3] النجم ٣.

[4] النجم ٤.

[5] النجم ٩.

شعر

(انــه ممـــدوح حسّــان العجـــم بنعــوت ســـحبان العـــرب)[1]

بيت معناه

إن مادحه هو الرب ورب الكعبـة

اذن يترتب علينا- في هذه الحالـــة- الـتزام جـانب الادب وهــو السكوت.

ضاعت اعواد الثناء الوافر، واريج الترضية المتوافر، على اهـــل ذلك الحي. والسابقون السابقون والحائزون على قصـــب السـبق، اولئـــك المقربون، أي آل البيت الذين هم حماة حومة الدين، والمتمسكون بـــأهداب الشرع المبين، وهم الأعظم، والأصحاب الكرام من حولهم، وكـــل واحـــد منهم: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم). فبـــهذه التزكيـــة النبويـــة المباركة، فإن كل واحد من هؤلاء كوكب وضاء في فلك الصلاح والنقـــاء، وافق الفلاح والبقاء.

أما بعد:

يشرع (المؤلف) خطيبي كاتب الديوان، وهو المستجد تلميـــذاً فـــي مدرسة تعليم حروف الهجاء، وطالباً يتلقى الدروس في كيفية الربط بيـــن

---

[1] يريد بهما: حسان بن ثابت، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وسحبان بن زفـــر الوائلي، خطيب يضرب به المثل في البيان، خضرم للجاهلية والإسلام.

الأحرف، وهو أليف الجهالة، والمفتقر إلى العرفان، المنقطع عن مجالس الفهم والإذعان.

بيت

محتاج اعطاف أهل الآداب　　خطيبي الضال كاتب الباب

على هذا النحو بقلم فرس أدهم كسير القوائم، يحول العنان نحو ميدان التأليف وفرسه يحجل ويعوج، بينما أن قامع أساس أصحاب العتو والاستكبار، والحاط من قدر أرباب الكبر والاغترار، والباسل المقدام الذي لا عديل له، والأمير الفحل المنتصر الذي لا مثيل له، بحر العلوم الزاخر، وقاموس الحلم الغائر، الفارس المغوار في ميدان الفضائل، وحادي ركبان الأدب والكمال، السرو السامق في بستان دار، وحامي خِطّة بغداد، الوالي السامي لمنطقة الزوراء، مولانا أبو الفتوحات ولي النعم داود باشا، الذي إكليل خلافته الجليل، مرصع بجواهر كريمة تعادل الكونين في التقييم، حيث تتدرج في إطار التوبة: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾[1] ومدبج بها، والطينة الطيبة المخلوق منها، قد جرى تخمرها بالماء الصافي الناطق ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[2] كما أنه وفقاً لقوله تعالى ﴿وَأَلَنَّا لَهُ

---

[1] ص٢٦.

[2] الآية نفسها.

الْحَدِيدَ﴾[1] يطاوع الجبل الصلب بيد البطولة القاهرة، كالشمع اللين. على الخصوص إن صفاته التي من النسخ النادرة الوجود.

بيت

أحاط بعلم لو يُبثّ أقلُّه	على من على الغبراء لم يبق جاهل

فهو مجدول بهذا المقال ومزركش، وعطاياه الحاتمية وهداياه الكريمة.

قطعة

هو البحر من أي النواحي أتيته	فلُجّته: المعروف، والجود ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنه	أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو لم تكن في كفه غير روحه	لجاد بها فليتق الله سائله

تلك هي سيرته التي يحسده عليها الكرم الحاتمي، كما هو منقوش في لوح الاشتهار ومسطور في مطاوى الأيام. وفي الجملة ان علومه الطفيلية[2] هي انشاء الشعر التركي والعربي بمشيئته تعالى.

بيت

مهما تعددت صفوف ارباب الكمال	فإن مركز الصدارة لمولاي حقا

[1] سبأ ١٠.

[2] يريد: هوايته.

هذا هو نعته السامي، واسمه المشتهر قد صار المقال الافتتاحي لجريدة المناقب والفهرست لمجلة الآمال، فالغزليات المتنوعة الأداء تنبع عن قلمه العباسي[1]، ويكون البعض منها زينة لصفحات الطروس مثلها في ذلك مثل تحجيل[2] العروض وتزيينها. أما طبعه الآصفي[3] النابع بالرحمة فيميل ويشتاق صوب الأدب، ويستحث أربابها ويشملهم بعنايته ورعايته، فترى أصحاب الأدب ينفسون عن كوامن صدورهم بالكلم المنظوم كما يفصح الببغاء عن مكنون صدره بالنطق الجميل العذب البيان والنابع عن طبعهم الشاعري. ولما تنعكس أعمالهم الأدبية على مسامعه الخديوية[4] التي هي بمثابة زجاجة مرآة العالم الصافية، والى أدراكه السريع الدراك، تلقى من لدنه موقعاً حسناً.

واتباعاً لهذا الموقف الحسن من أرباب الكلم المنظوم، كلفني حضرته بتأليف كتاب من نمط تذكرة الشعراء، أجمع فيه نبذاً عن حياة الشعراء الناطقين بالتركية مع نماذج من أعمالهم الأدبية سواء كانوا من

---

(1) يريد المؤلف بالقلم العباسي الخط المنسوب الذي تطور في العصر العباسي تطوراً مدهشاً، واتخذت أنواع الخطوط أو أقلامها أشكالها المعروفة فيه.

(2) يريد تزيين أقدام الخيل، وأصل التحجيل: بياض في قوائم الخيل.

(3) نسبة إلى (آصف) وهو على ما قيل ذلك للجني الذي كان في خدمة النبي سليمان عليه السلام، وقد جرى تشبيه الرجال العظام به في الأدب الفارسي والتركي بوصفه رمزاً للسطوة القاهرة، واشتهر داود باشا بلقب (آصف الزمان).

(4) خديو لفظ استعمله العثمانيون بمعنى: ملك أو أمير أو كبير القوم، ثم اختص به حكام مصر من آل محمد علي باشا.

المعاصرين لأيام وزارته في بغداد، أو من الذين طواهم الزمن ولكن تراجمهم ونتاجهم الشعري قد وصل إلى مسمعي، هذا في حين أن بوابة دولته مزدحمة بصفوف الأكامل والفصحاء والافاضل والبلغاء الذين هم اكثر مني قدرة، وانني لا امثل إلا ذرة في منتهى الصغر بالنسبة إليهم. بينما هؤلاء يحاكون الشموس الساطعة في مجال العلم والأدب. لذا فإن هذا الاختيار قد وقع مني موقع الافتخار، باعتباره خدمة مبرورة اعتز بها واتباهى، ففي معرض الشكر بهذا السياق اورد:

ولو أن لي في كل منبت شعرة لساناً يبث الشكر كان مقصراً[1]

إذ مصداقاً لما جاء في هذا البيت الشعري، انه لو كان لي فوهة في كل منبت شعرةٍ في جسدي، وفي كل فوهة مئة ألف من الالسن، وكل لسان منه أوتي معجز البيان، لما تيسر لي من ايفاء الشكر والامتنان اللازمين إزاء شرف هذه الخدمة الجليلة المناطة بي، لذا فانني أعد القيام بتنفيذ هذه الخدمة الجليلة واجرائها شكراناً بعينه.

شطر بيت

فقولـه مسموعٌ وأمـره نـافذٌ

وبهذا الجواب اظهرت الاستجابة وأبرزت العهد والطاعة، غير ان خزانة ضميري المكتنفة بالجهل كانت خالية من نفوذ العلم في هذا

---

[1] في النص الأصلي: كان مقصداً.

المضمار، وكل ما اتذكر في هذا الباب، انني كنت قد درست في وقته بعض الأشياء على المرحوم نابي افندي[1] الساكن في رياض الجنان. فالتصدي للدخول في مثل هذه البضاعة اليسيرة، في هذه المحطة الممتنعة الدخول

بيت معناه

يا من دخل في السوق بيد خالية عن النقود

اخشى ان تعود إلى البيت خالي الوفاض

انه لمن هذا القبيل، ان غلبة نشوة معجون الفكرة، قد جعلت رؤية عقلي وادراكي حبيسة في زجاجة مشكاة الحيرة، وقضيت أياماً عدة تراودني الأحلام بالتملص من هذه المهمة الصعبة، فصارت دخائل نفسي المشحونة بالمحن ممراً لقوافل الأكدار، ومحطاً لما لا يحصى لرحال الأفكار. وأخيراً:

مفرد

إن كان ثمة دواء فأنت الذي عندك الدواء

وإلا فيبقى المبتلى حتى يوم الحشر في ابتلاء

---

[1] هو يوسف المتخلص بنابي، من مشاهير الشعراء العثمانيين، أصله من أورفه، تميزت أشعاره بالرصانة والرقة معاً، له منظومات طار صيتها، ومؤلفات، توفي سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م (قاموس الأعلام ج٦ ص٤٥٣٥) ولم يكن مؤلف الكتاب من معاصريه، فالظاهر أنه يريد أنه أفاد من أدبه.

وقد لهجت بذلك وانا استمد العون من القلم الواسطي[1] الاصيل الذي هو لسان أهل البيان:

مفرد معناه

كالقلم مكسور الساق مُسخَّم الوجه منقلباً رأساً على عقب

كل من كان مستثيم المنظر أعوج القلب

بينا ذلك مثل يحتذي به ارباب الأدب والكمال، فكيف تتعامل مع الذي يتوجه اليك بالتردد؟.. هكذا واجهني بخطاب مليء بالعتاب. وعلى كل حال

بيت لمؤلفه معناه

انت اللسان المعبر عن أصحاب الذهن الشرود

وانت الترجمان عنهم في كل حال

بما انني صرت أحظى بالسرور والسراء بهذا القصيد المار ذكره

بيت معناه

سأبقى ممسكاً بذيل الإهاب

إلى أن أجر ذيل الاكفان تحت التراب

---

[1] نسبة إلى مدينة واسط التي طالما اتخذ من قصب أجماتها قصب الخط والكتابة والتصوير، ومنها ظهر الفنان النابه يحيى بن محمد الواسطي الذي اشتهر بتصويره مشاهد مقامات الحريري في القرن السابع للهجرة.

بمثل هذه المقولة، تمكنت من اخضاع قلمي إن شاء أم لم يشأ، فباشر بجمع المعلومات اللازمة عن الشعراء الموجودين في القطر العراقي سواء الراحلين منهم أم الذين لازالوا في قيد الحياة بدءاً من المرحوم اسعد افندي[1] كاتب الديوان في عهد ولاية سليمان باشا الحاكم في بغداد[2]، دار السلام واعتباراً من تاريخ ألف ومائة وستة وتسعين[3] وهو في مقدمة قائمة الشعراء وصاحب الفضل والعرفان وحتى تاريخ

---

[1] هو اسعد بن عبد الله الفخري الأعرجي الموصلي، وسيترجم له المؤلف فيما يأتي من هذا الكتاب.

[2] يريد سليمان باشا الكبير (بالتركية بيوك)، أبو سعيد. بدأ حياته مملوكاً لمحمد أفندي الماردينى متسلم ماردين، ثم رحل إلى بغداد ملتحقاً بخدمة سميه سليمان باشا أبي ليلة أول ولاة المماليك، وبرزت مكانته في عهد عمر باشا، فعينه هذا متسلماً للبصرة غير مرة في السنوات ١١٧٧-١١٩٠هـ/١٧٦٣-١٧٧٦م، وصادف أن حاصر كريم خان الزند البصره ثم احتلها، فأرسل سليمان مخفوراً إلى شيراز حيث بقي أسيراً هناك طيلة مدة الاحتلال، وعند اطلاق سراحه وعودته إلى العراق نال منصب ولاية بغداد سنة ١١٩٢هـ/١٧٨٠م، ويعد عهده من أحسن عهود المماليك في العراق، حيث دام حكمه نحو ٢٢ سنة، استطاع خلالها تقوية سلطة المماليك، ومواجهة خطر القبائل الثائرة في البصرة وفي أنحاء أخرى من العراق، وعني بتحصين مدن عراقية عديدة، وكانت وفاته سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص ١٥٤ وعثمان بن سند: مطالع السعود ص١٤٠-٢٤٢ وسليمان فائق: مرآة الزوراء (نشر بعنوان تاريخ بغداد) ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢، ص١٥ وغير ذلك.

[3] أولها ١٧ كانون الأول سنة ١٧٨١م.

ألف ومائتين وخمسة وأربعين[1]. وتصنيفهم حسب ترتيب الحروف الهجائية لاسمائهم في التسلسل. ذلك رغم عدم وجود خبرة سابقة لي في هذا الباب، أو القدرة الكافية لطرقها، فكان مثلي في ذلك: كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن انفه بكفه[2]. فأخذ القلم يخط السطور على صفحة صحيفة المرام والمقصد، وكلي رجاءً ان ينظر إلى كل ما فيه ظاهراً أو باطناً من العيوب بعين الرضا والمسامحة.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

وحسب المثل القائل:

كل عيب يستحسنه السلطان اتقان

حيث يكتب له القبول عند عامة الناس كذلك، لأن الناس على دين ملوكهم. فيحظى باستحسانهم ايضاً.

وأخيراً المرتجى من حضرة واهب الآمال، الملك القادر ذي الجلال، تنزه ذاته عن النقصان والزوال، أن يحفظ مولانا ولي النعمة السابغ بالأمن والأمان على العباد في بغداد أولاً، ومن ثم على نجله العزيز سيدنا حسن بك افندي فلذة كبده المحبوب من قبل العالمين أجمعين من نشاب طوارق الليل والنهار، وسهام حوادث الزمن والايام، ويرخي عليهما ستر الحماية، ويغني حجاب الوقاية، ويحفظهما من كل مكروه،

---

[1] أولها ٣ تموز ١٨٢٦م.

[2] في النص: بضلفه والجاذع.

ويصونهما من كل سوء بمنه تعالى، وينعم عليهما بالأمن والأمان، آميــن.
اللهم آمين بحرمة من له قيام السموات والأرضين.

١

داود باشا[1] الوزير صاحب القلب المنير، الموصوف باوصاف آصف[1] عديم النظير، المضفي البهاء على خطة الزوراء، ولي النعمة دام ما دام العالم، ابو الفتوح شاعراً

---

[1] ولد داود باشا في مدينة تفليس عاصمة جورجيا سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م وقيل ١١٩٠هـ/١٧٧٦م وسرقه النخاسون من أهله وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة، وجيء به إلى بغداد، حيث اشتراه مصطفى بك الربيعي أحد وجهاء بغداد عهد ذاك، ثم باعه هذا إلى سليمان بك خزندار بغداد ، حيث شرع داود بتلقي العلم على كبار علماء المدينة حتى نال الإجازة العلمية من أكثرهم، كما نبغ في الأدب، ونظم الشعر بالعربية والتركية، يقول إبراهيم فصيح الحيدري' وقد درس هذا المشير قبل وزارته وفي أثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة، وأخذ عنه عدة أعلام منهم..' (عنوان المجد، بغداد ١٩٦١، ص١٤٢) ولما صار سليمان بك (باشا) والياً ١١٩٣- ١٢١٧هـ/١٧٧٩-١٨٠٢م عين داود في منصب (للدفتردار) فلبث فيه إلى نهاية ولاية سعيد باشا بن سليمان باشا ١٢٢٨-١٢٣١هـ/١٨١٣-١٨١٥م، ثم أنه عمل على عزل سعيد باشا بالحصول على فرمان من الدولة يقضي بتعيينه والياً بدله، فنجح في مسعاه، ودخل بغداد والياً في ٢ محرم ١٢٣٢هـ/٢١ كانون الأول ١٨١٦م ولبث في منصبه حتى عزله في ٥ محرم ١٢٤٧هـ/١٥ حزيران ١٨٣١م. وبعزله انتهى نظام المماليك الذي حكم بغداد وشهرزور والبصرة على نحو شبه مستقل فعلياً منذ ١١٦٢هـ/١٧٤٧م، وأعيدت السلطة العثمانية المباشرة إلى العراق. تميز حكم داود باهتمام واسع بالحركة العلمية والأدبية تجلت بظهور عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، وبنشاط حركة التأليف في معظم علم العصر، وكانت هذه الحركة تحظى بتشجيع داود باشا نفسه. ألف في سيرته=

مخلصه: حاكم

ولد سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م

توفي سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥١م

مطلع ديوان الدولة، وبيت القصيد في قصيدة البهجة والاحتشـــــام. مقطع أنشودة المراحم، ومؤلف مجلدات أسفار المكارم، القمر المنير فـــي جو الحلم، والشمس الساطعة في بيت الشرف للعلم، الدرة الكريمة في بحر الندى، ومخزن جواهر العطاء، وهو المشار إليه حضرة سيدنا ولي النعـم، منذ أن جعل بغداد، بهجة للربع المسكون، لما تولى فيها مســـند الـــوزارة بالحشمة والوقار، وحل في مقر الخلافة المذكورة فـــي منصـــب الإمـــارة بالفخامة والغار، وبتاريخ الفـــأل الحســـن لعـــام الـــف ومـــائتين واثنيـــن وثلاثين[٢].

=كتابان مستقلان، هما مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، لعثمان بـــن ســـند البصري الوائلي، ودوحة الوزراء لرسول حاوي الكركوكلي، وتناثرت أخباره فـــي كتب المعاصرين ودواوين أشعارهم. وألف في سيرته من المحدثين الدكتور عبـــد العزيز سليمان نوار كتاباً بعنوان داود باشا والي بغداد ، القاهرة ١٩٦٨، وللدكتور يوسف عز الدين رسالة بعنوان داود باشا ونهاية عهد المماليك، بغداد ١٩٦٧، وفي المختصر ص٢٢ ترجمة اختصرها مؤلفه من الأصل، ومع ذلك ففيها زيادات لـــم ترد فيه.

[١] المقصود بآصف وزير النبي سليمان عليه السلام، وقد لقب داود باشا به.

[٢] تولى داود باشا بغداد في ٣ محرم سنة ١٢٣٢هـ/٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨١٦م.

بيت معناه

انه لشمس العقل المنير الساطع

قد جعل الله ظله على ملك الزوراء حصناً حصيناً

فمصداقاً لذلك، فإن سكان العراق بأسرهم، قد صاروا يعيشون في بحبوبة من نعيم السلم والوفاق.

شطر معناه

ان معمار لطفه ليعمر الخرائب

وجرياً على هذا المثل، فإن معمار مراحمه، المُلِم بالرسوم الهندسية، قد انجز تشييد العديد من المساجد والجوامع والربط والزوايا[1] على الطراز الحديث، وغيرها من المباني المتنوعة البديعة، فجعل داخل مدينة الزوراء نموذجاً لعروس تأخذ بالالباب، ومثالاً لحليلة تبعث الصفاء في القلب. ان بوابة صالتها الرفيعة البنيان تضاهي قصر زحل من حيث السكينة والوقار، وطاق رواقه السامق يواكب برج الفلك الأطلس، علاوة على ذلك:

بيت

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

---

[1] عرف داود باشا بعنايته للواسعة بانشاء المساجد الجديدة وتجديد القديمة منها تجديداً شاملا، فما أنشأه وجدده: جامع الحيدرخانه، وجامع الأصفية، وجامع الأزبك، وجامع السيف، وجامع رأس الجسر، وأكثر هذه المساجد احتوى على مدرسة.

وبموجب المقولة هذه، فإنه شخصية مجهزة بزينة العلوم الصورية والمعنوية ومزودة بحلية الفنون العقلية والنقلية، وهو إنسان مستجمع الصفات لكل ذلك.

بيت معناه

إذا ما أخذ بحر علومي بالتلاطم

ففي الموجة الأولى يقذف بالمنتهبين بعيداً

في حالة تصدّيه لتبني الدعوى هذه، فإن علماء الدّوران، وفحول الزمان، يظلّون في ساحل الحيرة مبهوتين، وهائمين على وجوههم ولا يقدرون على ان ينبسوا ببنت شفة. تلك هي من الآثار البديهية، وفي خزانة فطرته الرستمية[1] وجبلته الحاتمية نجد لآلئ الشجاعة عالية المقدار، وبدراري السخاء والعيارات مشحونة:

بيتان عربيان

يبكي ويضحك خصمه ووليه	بالسيف والقلم الضحوك الباكي
الدر والدرى خافا جوره	فتحصنا بالبحر والافلاك

بما ان طبعه مطابق لهذه المفاهيم وموافق لها.

بيت

لو لم يكن في الأرض إلا درهمٌ	ومدحتَه لأتاك ذاك الدرهم

---

[1] رستم قائد فارسي قديم يضرب به المثل في الشجاعة.

إن مآل ذلك كامن تحت أوصافه الحميدة كما هــو بيِّــن وعيــان.
فديوانه الكائن في مرتبة الفلك التاسع، ومجاور للمقرنس العاشر، وعشــير المشكاة مع قناديل الثريا والسهى، وهو ديــوان المكــارم أساســاً ومقسام الفردوس قياساً، ترى في بابه كل إنسان متنعماً محفوظاً، وناديــه الأرفــع موئل الخاص والعام، يقصدونه لنيل المبتغى والمرام. كذلك فــي مجلســه الشبيه بالفردوس، يحصد أكارم العصر الأسقاط عنده. ذلك امـــر معلــوم لدى القاصي والداني، ولا يحتاج إلى البراهين أو الشواهد.

من الجلي انه لما يأخذ طبعه الملوكي الذي يحاكى طبع العنــادل[1]، بتقسيم مقام النظم، فكل من له إلمام بأصول الأدب، يبــادر إلــى توجيــه الاستحسان والتصويب ويخصه بـــالتقدير والتقييــم. إن رشــحات قلمــه المتلونة، ونفحات همه العنبرية، كأنها نسيم اقبال، يحصـــب مـــن تحــت سرادقات ضميره وبطء القلم على الطــروس، فأشــعاره البكــر اللطيفــة الشعار، المتدثرة بدثار البلاغة، والمتحلية بزينة الفصاحة، وبما تضمنتـــه في طواياها من الشواهد المندرجة والمكتومة الناطقة بالمعاني، قد جعلــت أرباب الفصاحة وأصحاب البلاغة في موقف حرج يشعرون معه بــالخجل ويتصببون بالعرق لدى ترديدها في مجالسهم، وتتندى أجســامهم بــالعرق من قمة الرأس إلى اخمص القدم، ويطأطئون الرأس إزاءهــا فــي مقــام الحيرة، بوصفه حاكم الدوران والعرفان. فلقد جاء مخلصه الشــريف فــي صحائف الأدوار منقوشاً بـــ (الحاكم).

---

[1] العنادل: جمع العندليب.

ومن جملة أعماله الشعرية انه عندما فرغ من تدبيج قطعة الغــزل هذه، امر بتخميسها عبده هذا، الموشح بحلقة الرق المعلقـــة فـــي أذنـــه، والمبتاع بواسطة النقد الذهبي من قبله، كغـــلام مملـــوك[1]. وقـــد ســـماه بالقصيد النحوي حيث يجري العديد من المصطلحات النحويـــة كـــالمبتدأ والخبر والنعت والنصب والمستند والضمير وما إليها.

فامتثالاً للأمر العالي جرى تخميسها بما معناه:

ان منطقك العذب البيان لينثر

من سلك الآداب والمعاني دررا

وكلامك يضفي على الأرواح روحاً

فيا حبيبي كن من الأواه حذرا

ونحو العاشق اعطف النظرا

فلا مثيل لحسنك الفائق البديع

جعل المحب منشغلاً بكيل المديح

لا يربط القلب إلى غيرك صادقاً

فأنت المبتدأ الأول له في داري الغرام

عن كل ما يعانيه من الجوى قد يأتيك الخبر

من عيني المحب ايها العزيز

---

[1] يجب أن لا تحمل هذه العبارات إلاّ على أنها من باب الاغراق في التواضع، وهـــو ما كان مألوفاً لدى كتاب ذلك العصر، وإلاّ فإن المؤلف من أسرة حرة كريمة لـــم يعرف الرق إليها سبيلا.

لا ينقطع الدمع الغزيـــــر

فالركيز قد جرى خفضه في قدره المرفوع

فانصب النفس وميز الأحوال

ولا تجعل سبيلاً للأكدار إلى القلب المشتاق

بعهدك قد سار على نفي ما عدا[1]

ولا حاجة للافصاح عن ذلك صراحة

في الظاهر انه لا يفصح عما في الضمير

فكل اشواقه نحوك مستندة في فؤاده

وهل يجوز أن تجعليه شريداً طريداً

لا تجعلي لعلك مثل المثقل بالعتاب

عليك من آهات محبي الليل الاجتناب

بفاس جورك يا عالي الجناب

لا تدكي قلب المحب فتورثي فيه الخراب

بل اعملي على عماره ذلك هو الفعل الابر

لو لم يكن العندليب بلطيف المقال

لما لقيت الورود كل هذا العز والدلال

من جراء نواك قد صار مريض الحال

فاستفسري عن خطره متوجهة بالسؤال

---

[1] ان عبارة (نفي ما عدا) هذه قد اقتبسها الشاعر من أول غـــزل لديـوان فضولـــي البغدادي وهي تعني التوحيد لله كناية عن حكمة لا إله إلا الله..

لو لا المحب من يسأل عنك في الخير أو الشر

ألا يا خطيبي قل لذلك اللجيني المقصب

فليحاذر ولا يتغرر بالفضة والذهب

ويميل قليلاً نحو المحب المتأدب

ذلك هو النصح إلى الحبيب الألعب

إلى معشر العشاق يا (حاكم) نوعاً من أثر

كذلك القطعة الغزلية الآتية المعبرة عن سير الفلك الدوار، والسيرة السيئة للدهر وتصاريفه المعوجة، جاء مثلها مثل السحر الحلال في الأخذ بالألباب، وقد ترشحت عن ريشته كالزلال الرائق، ومآلها كلها زاهية زاهرة بالحقيقة.

فقد ظهر العديد من الشعراء المعاصرين ممن نهدوا إلى تخميسها. فسوف نسطر ما جاءت بها قرائحهم في هذا الباب لدى البحث عن تراجمهم الشخصية الخاصة في الفصول الخاصة بهم بكل خير ان شاء الله. لكنه بما ان القصيد المذكور نموذج رائع للإبداع، آثرنا تدوينه هنا لكي يكون مادة أساسية لرونق الكتاب، مثله في ذلك مثل اللآلئ المنتظمة في السلك الحريري. وهذا هو:

كل من جعله دوران الفلك سلطاناً في الرفات

قد جعلته في آخر الأمر قيد الحرمان

كل ما تجد من بناية خربة ضمن هذا الدير العتيق

كانت قصراً لاسكندر زمان، قد خربها الزمان

أية ذات وجه ملائكي لم يطل النظر إلى خدها

بفعل الدهر الغادر مع الأرض سيان

لا تحسين السماء اللازوردية تميل لأصحاب الدهاء

فكم من دهاة جعلتهم حماليـــن لحمقى الزمان

لقد مضت سنة الأولين على عتــاب الفلك دوماً

بينما دمج خالق الأفلاك الحكمة في حكمة فنان

كذلك من جملة نتاج شجرة قلمه المثمرة، ما اندرجت في جنان طرز للصحائف قوله بيت معناه:

لاجل تسخير ثغور الحسن ان تفاحة الغبغب تلـــك قــد اجتــازت الحدود الرومية فدخلت في اصقاع قيزيل آلما[1].

ان منظوماته الغزلية المفردة كلما وصلت إلى أيدي أرباب الشــعر وأهل الكمال، كالبرتقالة اليانعة، تراهم يسارعون إلـــى تخميســـها بشــوق ولهفة زائدين، فستقدم نماذج منها كلما وصلنا إلى البحث الخاص بـــهؤلاء في الفصول القادمة ان شاء الله وكلاً على انفراد. لكن قبل المبادرة بـــهذه الترجمة التي لا رأس لها ولا قدم، فإن ثمة قصيداً رائعاً للمرحوم ســـاكن

---

[1] قيزيل الما أي التفاحة الحمراء مصطلح جغرافي اسطوري يراد بـــه الوطـــن الأم القومي لعموم الترك.

الجنان وصاحب الديوان ومركز دائرة الفضائل راغب محمد باشا[1]، قد أمر سيادته أصحاب الكلم المنظوم المعاصرين راجياً تنظيره من قبلهم.

وتلبية للطلب الواقع، انصرف كل واحد منهم إلى نظم شيء في هذا الإطار. ولدى استعراض النتائج في مجلسه قد جاءت كل واحدة منها آية في الابداع وكأنما هي شموع مضيئة في مجلس الأدب لأول وهلة. غير انه ما أن جاء دور حضرته فأخرج اليهم ما جادت به قريحته من قصيدة رائعة في ذات الموضوع، حتى بهت الجميع وفغروا فاهاً امام هذا الابداع الرائع، فصارت أعمالهم مثلها كمثل السراج الخابي امام ضوء الشمس الساطع، واستقرت في دهاليز الإهمال، فسوف نذكر كل واحدة منها في الفصول المقررة لأصحابها. أما القصيدة الحليلة الجليلة لحضرة ولي النعمة فهاكها:

أبيات معناها

في عارضه بسواد العذار قد اختلق كتابة

لأسطر كتابه في الدنيا قد اصطنع يراعه

ان أمير الحسان ذاك باحتساء دم العشاق دوماً

---

[1] أديب تركي، عالم بالعربية، ولد باستانبول سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م، وتدرج في المناصب حتى صار والياً على مصر، فالرقة، فحلب، ثم الشام، وتولى منصب الصدر الأعظم اكثر من ست سنوات، وتوفي في استانبول سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٣م، وله مؤلفات عدة باللغات العربية والتركية والفارسية. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣٥٩.

قد حاكى بشفتيه اللعل وخده بالمدام

سحر الدنيا بحسنه فانقاد العالم طراً لأمره

وجعل العراق المليء بالنفاق شبيهاً بالشام

ان الأولى بالنطق هو حرف الوفاء بالنسبة لفمه

لكنه لمذاق العشاق قد عودت على رديء الكلام

إلى متى تعليق توبة الإنابة على الغد يا (حاكم)

من الذي تمكن من تنظيم حياته وفق ما يريده هو؟

ان الغزل الآتي المتموج من بحر طبعه اللجب الزاخر والمتلاطم المعاني كذلك قد اوقع غواصي بحار المعارف في حيرة مثلهم في ذلك مثل السمكة الواقعة في مكان انقطع عنه الماء، فصارت نهبة الهواجس والقلق:

قطعة معناها

لا تحسبن ثمة على وجه البسيطة من لقي حبيباً وفياً

إن سألت العشاق فذلك هو رأيهم جميعاً

لا ترق ماء الحياء ازاء الحسود أملاً في نواله

فالنخلة اليابسة لا تثمر التمر لو سقيتها مليا

لا جدوى من اللهاث الحثيث وراء مطلب

فالمرام إن لم يتأيد بتوفيق المولى الكريم يبقى قصيا

إذا ما لم يقدم السلطان خبز الشعير إلى فرسه

لسوف يُورِث فرسه لخادمه ولن يبقى له حفيا

لا يكف الظالم يده عن الظلم بموافاة يا (حاكم)

فريش العقاب صار ريشاً للسهام أخيراً

ومن الجدير بالذكر، إن الوزير عديم النظير المشار إليه، لم يكن في مجال قرض الشعر باللغة التركية وحدها ممن يشار إليه بالبنان من قبل الناس كما يشار إلى القمر المنير، بل انه كان ذائع الصيت حتى في النظم العربي والمعروفين كالأنجم المعروفة في الآفاق عند أهل الزمان. وفي الجملة فإن الشطر القائل:

أضاع المسك أم هل ضاع عقلي

لما فاح أريجه بين أرباب الشعر من يراعه العنبرية وفي مجالس الأدباء، أمر سيادته الشيخ صالح التميمي[1]، الموظف في

---

[1] هو الشاعر الأديب الشيخ صالح بن درويش بن علي زيني التميمي البغدادي، ولد في قصبة الكاظمية سنة ١١٩٠ وقيل سنة ١١٨٨، أو ١١٨٠هـ، نشأ في بغداد وتلقى العلم في النجف، ثم عاد إلى بغداد حيث مدح أرباب أمرها البارزة، واتصل بوالي بغداد داود باشا، وكتب فيه أكثر مدائحه، وأرخ بحساب الجمل معظم ما أنشأه أو جدده في بغداد من المساجد والسقايات والمنشآت العامة الأخرى، كما سيذكر المؤلف هنا، وصفه الشيخ علي علاء الدين الآلوسي بأنه كان "فصيح اللسان قوي الجنان ذا وقوف على اللغة العربية واطلاع على غرائبها الخفية"، وله ديوان شعر (طبع في النجف سنة ١٩٤٨) ومؤلفات في الأدب منها-

المصرفخانة[1] العامرة، والمشتغل بالكتابة العربية[2] فيها حالياً، وهو المتميز بتأريخ افتتاح المشاريع العمرانية التي أنجزها سيادته في المدينة، ومنها باب الجسر الذي تم افتتاحه في الجانب الشرقي أخيراً[3]، طالباً

-(شرك العقول وغرائب النقول) و (وشاح الورود والجوهر المعقود في مدح الوزير داود) و (الأخبار المستفادة في منادمة الشاه زاده) توفي سنة ١٢٦١هـ-١٨٤٤م. ينظر في ترجمته علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص١٢٢-١٥٠، ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر، بتحقيق عبد الله الجبوري، للرياض ١٩٨٢، ص٢٤١، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج٢ ص٢٢٦ وص٣١٨، وعلي الخاقاني: شعراء الحلة ج٣ ص١٤٢ وغير ذلك.

[1] كلمة مركبة من لفظين: مصرف، وخانة، والأخيرة بمعنى المكان، والموضع. وهو اسم لمؤسسة برزت في العراق في عهد المماليك وفي حكومات الأسر المحلية المعاصرة لها، وكان رئيسها يعد مسؤولاً عن الإيرادات والمصروفات الخاصة بالسراي، فهو يشبه منصب (مدير الحسابات)، ويسمى ذلك المسؤول (المصرفدار) أو (المصرف).

[2] من الواضح أن المصرفخانة كانت تضم كتاباً بغير العربية، وفي الأغلب فإنهم يكتبون بالتركية لغة الدولة والسلطان، وسيذكر المؤلف عدداً من المترجمين ممن كان يعمل كاتباً في تلك المؤسسة.

[3] المقصود به الطريق المحاذي لجدار جامع الأصفية النافذ من الجسر، وهو جسر بغداد الوحيد يومذاك، إلى منطقة الأسواق والخانات المجاورة، وهي التي شق فيها فيما بعد شارع المأمون. وكان جماعة من العلماء قد طلبوا من قاضي بغداد إبراهيم أفندي بن محمد أفندي في ٢ رجب سنة ١٢٤١هـ أن يعرض على داود-

إضافة الأبيات إلى الشطر المذكور وإخراجه في قالب لائق، إذا بالموصـا إليه يقوم بتنفيذ الأمر وإسعاف الطلب في وقت قصير، ويقدمه إلى تـراب خديويته الاكسيرى النصاب.

وجرياً على قاعدة: أينما قدر الذهب لا يعرفه إلا صائغ الذهـب، والجوهرة لا يقدرها حقها إلاّ الجوهري، فقد لقي ذلك من لدن حضرتـه استحساناً وتقديراً بالغين عن جدارة. واليك نصه بالكامل:

طرقـت الحـي ليـلاً والثريـا	تلوم كواكب الجـوزاء بعذلـي
وزرت مهفهفاً حسـن التـثني	بميـس بليـن اعطـاف وكفـل
وما راقبت من بيـض وسـمر	ولا حاذرت من أسـد وشـبل
ودون الحي من فرسـان ذهـل	تصون الخدر فـي روع وذهـل
قضيت الليـل ضمـاً واعتناقـاً	وقدر مراجل الأشـواق تغلـي
ومن أردانها استنشـقت نشـراً	حكى نشر الخزامى غـب وبـل

-باشا ضرورة فتح باب للجسر، غير الباب الموجودة الممتدة مـن المسناة الـى القهوة الشهيرة بقهوة زنبور (قهوة المميز فيما بعد، وكـانت تحتـل جـزءاً مـن المدرسة المستنصرية)، ولن يفتح الباب من مكان في حذاء الجسر هدمت عمارتـه وهو الآن خراب، وبعد إلحاح، عرض القاضي الأمر على الوزير، فشـرع فـي عمارة الباب والطريق العام، وعمر عمارات في رأس الطريق، منها مقهى مشرفة على دجلة، وخان للتجار، و٢٦ دكاناً، ودكة صراف، و (كرخانة) يحمـص فيـها قهوة البن، ومخبز، وبهذه المناسبة فإنه عمر تكية المولوية (التي عرفت منذ ذلـك الحين بجامع الأصفية) تعميراً شاملاً. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص١٠٦.

فضيعت البصـــيرة لســت أدري   أضاع المسك أم ضـــاع عقلـــي

وفي تاريخ سنة خمسٍ وثلاثيـــن [ومـــائتين وألـــف][1] العميمـــة الميمونة، قام حضرته باقتباس المعنى من البيت الفارسي الذي هذا معناه:

لا يفيد لجرح اللسان أي علاج ناجع   إلا إذا كان حاملاً لخواص نفس الداء

فحصر ذلك المعنى في الشطر الآتي وعلى طريقة التضمين:

جرح اللسان كجرح لا يلتئم

ثم طلب من الشيخ صالح التميمي، أن يصوغ نظماً كاملاً متممـــاً للشطر المذكور. فامتثل الموما للأمر، وأطاع علـــى النحـــو الآتـــي فـــي استعمال القلم:

قسـماً بجـودك بـل بعدلـك اقسـم   يا مـن بصفحـك يطمئـن المجـرم
لـولاك مـا طـالت قنـاة مكـارم   كـلا ولا نصـرت مـواض تظلـم
عـدل تبسـم ثغـره وسـباته   منـها الرعيـة ثغرهـا تبتسـم
لازلت تأتي الحـربَ مـن أبوابـها   والنقـع صـرح والمذاكـي سـلم
شـرفت دجلـة بعـد ان جاريتـها   جوداً ومـا فـاضت عليـها زمـزم
ليـس الـذي فـي كـل فـنٍ عـالم   قـال الإلـه كمثـل مـن لا يعلـم
سـرٌ سـرى فاسـتعجمت اطلالـه   طلـق اللسـان بقيـده يتعلـم
حشـرت بنـو الآداب فـي غلوائـه   وكبـا هنـاك كميتـهم والأدهـم

---

[1] الزيادة يقتضيها السياق، ويوافق أولها ٢٠ تشرين الأول سنة ١٨١٩م.

ولذلك قد قالوا المليك كلامه ملك الكلام إذا نهى المتكلم
فوردت خدمة قوله متشرفاً بإجازة والقول مما يخدم
قد زاد في المعنى لاختصارك قائلاً جرح اللسان كجرحه لا يلأم

لقد حدث لي قال عمر افندي الراوي[1]، نقلاً عن لسان المرحوم ساكن الجنان الشيخ عثمان الزُّبَيْري[2] العلامة الفاضل والعالم العامل، بأن مهمة التدريس خاصة بآل خُوشْناو[3].

---

(1) هو عمر بن الحاج محمد الراوي، من عشيرة السواهيك الحسينية، وكان كليتداراً لتربة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، توفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م.

(2) هو المؤرخ الأديب عثمان بن سند البصري الوائلي، ولد سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م في جزيرة (فيلكة)، وانتقل إلى الأحساء صغيراً، فأخذ عن علمائها، وشدا الأدب، وألف ونظم، ثم هاجر إلى البصرة سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م، وأخذ العلم عن شيوخها، ورحل إلى بغداد سنة ١٢١٤هـ/١٢٩١م، حيث شارك في الحياة الثقافية فيها، وألف جملة من الكتب، وسافر إلى الشام، ثم استقر ببغداد بصفة نهائية، وشرع يؤلف كتابه المهم في تاريخ العراق على عهد واليها داود باشا، وقد عنونه (مطالع السعود بطيب أخبار داود)، وأتمه سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وكانت وفاته في ١٩ شوال من تلك السنة. تنظر مقدمتنا لكتابه مطلع السعود (بتحقيقنا، الموصل ١٩٩١) ص٧- ٤٦، وينفرد المؤلف هنا بنسبته إلى الزبير، ويظهر أنه عاش في هذه البلدة التي يسكنها النجديون بعض الوقت في أثناء هجرته إلى البصرة.

(3) خوشناو قبيلة كردية معروفة، عرفت بكثرة من خرجته من العلماء، والراجح أن الذي رشحه ابن سند للتدريس في الأصفية هو الشيخ محمد الخطي. ينظر مطالع السعود ص٣٧٣. والشيخ الخطي هذا هو الذي ترجم له إبراهيم فصيح الحيدري-

لما طرق ذلك سمع مولانا المشار إليه، قال موجهاً الخطاب العذب المقال إلى الشيخ الموما إليه[1]:

سمعنا لتدريس الفنون شريطة تؤدي بتحرير تكمل خشناوي

سألتك بالله الخبير وبالنبي أصح لديك الشرط ام كذب الراوي

والخلاصة- بصرف النظر كون مقولة كلام الملوك ملوك الكلام بديهي الثبوت- فإنه حتى لو جاء بديع الزمان صاحب منطق أهل البيان الأول، وبذل الجهد الجهيد في وصف الخصال الحميدة لصاحب الدولة المشار إليه، فانه سوف لا يكتب له من إيفاء حقه حتى بقدر عشر المعشار، فقس على ذلك، فما سيكون مقدار توصيفه، وتعداد مآثره الحميدة، من شخص عديم الفهم والإدراك مثلي، ومكارمه الأصفية ولا يتعدى ذلك.

=بقوله "ومن أجل من أدركت عصره العلامة المحقق والفهامة المدقق صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد وشيخ العلماء الورع الصالح اللوذعي محمد الخطي الكردي، وكان من أعظم علماء العراق، وقد انتفع به خلق كثير، وصار شيخ عصره في كل فن، وكانت له اليد الطولى في التحقيق والتدقيق.. له آثار دقيقة على بعض كتب المعقول، وله رسالة عجيبة في مسألة العلم من علم الكلام.." وسكت عن تاريخ وفاته. عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد ١٩٦١، ص١٤٤.

[1] البيتان ومناسبتهما في مطالع السعود ص٢٧٣.

وعملاً بالقول المأثور: ما لا يدرك كله، فلا يترك جلّه[1] فإني اكتفيت بالتجوال والاستكشاف في شواطئ نثائه حتى تيسر لي الحصول على بعض الدرر الثمينة الواردة في حقه من بعض الوجوه. وبما أن العجز عن درك[2] الإدراك إدراك. فحسبي ذلك فخراً، وفي ذلك مسك الختام.

---

[1] في النص: لا يترك.

[2] كذا في الأصل، والمعروف: إدراك. وهو من العبارات التي تدور على ألسن الصوفية.

٢- اسعد افندي آل فخري
كاتب الديوان
مخلصه: نقي الاسم
ولد سنة ١١٣٨هـ/١٧٢٤م
توفي سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٢م

ذكر رأس كتاب الفضل والعرفان، المرحوم اسعد افندي كاتب الديوان إن الموما إليه[1] موصلي الأصل وبغدادي الوطن، تتصل سلسلة نسبه الشريف بالدوحة الهاشمية والعصابة الفاطمية، فقد تحدّر عن الصلب الطاهر لنشاطي عبد الله أفندي آل فخري كاتب الديوان، وهو أي والده ساكن الجنان حالياً. واسمه المتّسم باليُمن في جريدة الأيام هو محمد اسعد أفندي.

بيت معناه

إن لم يكن الأدب في المرء فطرة

فتحصيله بالتعزيز والتكدير هباء

---

[1] على الرغم من أن جميع الدلائل تشير إلى علو كعب السيد أسعد بن عبد الله الفخري في الأدب والشعر والتاريخ، إلاّ أننا لم نعثر له على ترجمة موفية، وهذه الترجمة هي الوحيدة التي تلقي الضوء على حياته، وقد اختصرها مؤلف مختصر الكتاب اختصاراً مخلاً في سطر واحد، وغاية ما ذكر أنه "موصلي الأصل، وكان متوطن (يريد: متوطناً) في بغداد، نجل المرحوم نشاطي أفندي" (ص٢٢).

ووفقاً لهذه المقولة فإن لآلي الاستعداد المودعة في أصداف عروق فطرته، وخزانة طينته وجبلته بيد القادر، كانت باعثة لرقيه وبروزه فـــي سوق العلم والأدب، فانه قد قطع شوطاً بعيداً في مضمار العلم حتى كـــاد ان يبلغ منه مبلغ الكمال. سيما وإنه كان على اطلاع واسع علـــى العلـــوم الرياضية بصورة خاصة، وعلى دراية تامة برموزها وغوامضـــها حـــق الدراية، كما كان ذا باع طويل في فن الإنشاء إلى درجة ان أمهر الكتـــاب وأساطين الشعراء كانوا يقفون فاغري الأفـــواه ومشـــدوهي الفكـــر إزاء إبداعه. ولما لاحظ والده العالي القدر هذه القدرة الأدبية والعلميـــة منـــه، سعى لدى الجهة المعنية حتى تمكن تعيينه في الديوان كاتباً بـــدلاً عنـــه، فحظيت الدرجة الوظيفية المذكورة بمرتبة عالية مرموقـــة لشـــغلها مـــن موظف كفؤ متسم بمواصفات ومعارف شتى.

بيت معناه

لا يعلو شأن المرء بعلو منصبه

فربما علا شأن المنصب بشـــاغله

إذ من المسلم به أنه كان متمكناً من الأعمال الكتابية والبيانية نظماً ونثراً، وبذلك اعترف أهل الأدب قبـــل غـــيرهم، خصوصـــاً فـــي وادي استعمال المحسنات اللفظية والمعانية. فالدرر العصماء التي نظمها في هـذا الباب، حرية أن تتخذ تمائم للأولاد وقلائد للغلمان من وسائل الزينة.

من الجلى أن ديوانه نابع من ريشته البَهْزادية[1] البديعة، فإنه في غاية الإبداع ونموذج رائع لأدب زمانه. لقد اخترنا من ديوانه هذه القطعة الرائعة والتي تعد بحق نموذجاً فريداً لأعماله الشعرية التي نظمها في وقته. وذلك تنظيراً لقطعة تعود لفريدي افندي[2] وفي نفس القافية والمعنى[3]. إذ جرى تزيين جبهة الكتاب بها:

المعنى

بفضل لوعة الغرام جعلت نفسي شبيهاً بالهلال

على هذا النمط كونت اتصالاً مع شمس الجمال

جعلت الحبيبة تسيء الظن لما أردت قبلة على ثغرها

لقد افلت مني نيل وصلها فلا جنيت شمعاً ولا عسلاً

في ليلة السمر حللت أزرار الحصار من جانب جيدها

جاعلاً من باقة ثوبها مشرقاً لصبح الوصال

حصول شاهد السر دليله مطلع الحاجب

---

[1] رسام ايراني شهير، عمل في مدرسة بخارى، وضرب به المثل في اتقان التصوير، توفي سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م.

[2] ومحمد بهاء الدين المعروف بفريد أفندي، من الشعراء العثمانيين المتأخرين، وهو معاصر لمؤلف الكتاب، لأنه توفي سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م. سامي: قاموس الأعلام ج٥ ص٣٤٠٤.

[3] التنظير فن أدبي، كانوا يمارسونه من قبيل المجاراة فحسب وليس من قبيل التقائض. فالشاعر الصغير هو الذي يقوم بذلك عادة مع ترديدهم مقولة: الفضل للمتقدم في هذا المناسبات.

وقد استخرتُ كتاب الحسن فجاء حسنا

لما صارت نسخة حسنها مهشمة بخط القدرة

حاولت تحصيل المال باستدراك رموز دلالها

ماذا لو تسأل الشمس والقمر النور مني لانني

جعلت من شعلة عارضها شمعة لخدر الخيال

انني أنسج على منوال فريد العصر يا اسعد تعبيراً حسنا

توخيت من وراء القصيد المقبول هذا السحر الحلال

ان هذا النجم السعيد لبرج السعد قد اشتهر بمخلص أســـــعد بيـــن ظهراني اقطاب الفضلاء والشعراء، أما في معرض توصيفـــه وتعريفـــه، فلقد اختار القوم طريق الإيجاز في ذلك. وهو من دواعي الأسف كما جـاء في قول الشاعر:

بيت معناه

تحفل السموات السبع بأصداء هذه القصـــــــــة

لكن أهل قصر النظر قد أوجزوا الحديث في شأنها

هذا وان عروس ذاته لغنية عن حلل التعريف وأصباغ التوصيـف، مصداقاً لما جاء في الشطر الفارسي هذا:

معناه

إنما الوجه الجميل ليس بحاجة إلى عمل الماشطة

مع انه امضى من العمر سنين في إضفاء الشــرف علــى دست الوظيفة التي كان يشغلها عن جدارة وكفاءة تامتين، فإنه كان قد اتخذ مــن المقولة العالية فلسفة لنفسه في درب الحياة:

لئن دار الفلك حسب هواك بعض الأيام

يا من تدري بما تضمره للأنام

لا تتوقعن صداقة من معاديــــك

فلن يسقطك من الحساب قاتل جدك وأبيك

لذا لم يغتر بالوظيفة المرموقة أبداً، ولم يدع للتكبر والتجبر إلـــى قلبه سبيلاً، وللغرور طريقاً إلى داخل نفسه، فكان المتن المتين لأحواله هو الزهد والصلاح، وأوراق صفاته محلاة ومطلية بالنقاء. وحينما يكون علـى بينة من أحوال بعض الفقراء ممن أعوزتهم الحاجــة، أو أصيبــوا بغــدر القدر الساخر، ومن هو داخل في نطاقهم، فإنه ينظم العرائــض باســمهم، وبدون علم منهم، بل حسبة لله، ويقدمها إلى مقام الوزير لأجل الحصـــول على بعض المساعدات المالية لهم، فيكـــون ســبباً فــي نيلــهم المكـــارم والألطاف والأنعام.

بيت معناه

إنني غلام لهمة ذلك الإنسان الكريم

الذي يعمل الخير بغير تملق أو رياء

كان المرحوم سريعاً في نظم الشعر، وله مكنة في الارتجال وهــو عذب اللسان، حلو المقال، مشهور بين الفصحاء.

ولقد ورد سيف مرصع المقبض بالأحجار الكريمة إلى والي بغداد المرحوم عبدي باشا[1]، ولدى عرضه على أنظار الندامى في الديوان، إذا به يهمس في أذن الشخص الجالس بالقرب منه بهذا البيت ارتجالاً، وباللغة العربية:

كسّر ذهب السيف وصغه لك خلخالاً
ما تصنع بالسيف إذ لم تك قتالاً

وذلك على وزن البيت المعروف:

شقق ورق الدرس وحصل لك أموالا
لا ينفعك افعل يفعل، افعلالا

وما إن فطن الوزير إلى ذلك واستفسر عن جلية الأمر حتى أمر بنقش البيت هذا على السيف المذكور ليخلد بوصفه ذكرى وتاريخاً لهذه

---

[1] هو والي بغداد عبدي باشا بن سرخوش علي باشا، تولى بغداد في جمادى الآخرة سنة ١١٩٠هـ، وعزل عنها في شوال من السنة نفسها. ينظر عنه ياسين العمري: غاية المرام ١٨٧ والدر المكنون (مخطوط) وزبدة الآثار الجلية ص٢٤٠ وعبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص٥٦ و٦٢ ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٥٦، ومحمد ثريا: سجل عثماني ج٣ ص٤١١ والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٦ ص٦٥ وكتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق ص٧٢.

المناسبة. هذا وإن حضرة ولي النعم المسؤول الأول على رأس قطر العراق، وهو لسموم الإدارة الحكومية بمثابة الترياق، لا تغيب عنه أية شاردة أو واردة، مثله كمثل طير الشاهين المحلق في الأجواء، لا تفوته طيور الشعر السابحة في أجواء الشعر والخيال، فمخالبه تقبض على أسرار المعاني والبيان بكل مهارة:

دوبيت معناه

رب كلام في خارج الأثير

لكن فكره الثاقب كاشف للضمير نقّاب

لئن كان الكلام عند البعض جاء مسلسلاً

فهو عنده من قبيل حساب الاسطرلاب

بما ان اختلاس النظر في وجوه الحسان من دواعي جلب الصفاء إلى الروح والبهجة إلى القلب، وعاملاً لصقل مرآة الطبع واستجلاء البصر والبصيرة لدى زمرة العارفين، فكان يميل نحو أحد أغوات الخدمة الداخلية في قصر المرحوم عمر باشا[1]، أيام كان على قيد الحياة، واقعاً في قفص حبه، وأسيراً متولهاً مغلولاً بحبائل هيامه.

---

[1] والي بغداد من أواسط ١١٧٧هـ الى أواخر ذي الحجة ١١٨٩هـ(١٧٦٣-١٧٧٥م)، بدأ حياته العملية في سلك المماليك في بغداد، وترقى في المناصب حتى صار كتخدا لسليمان باشا أبي ليلة أول ولاة المماليك، عرف ببطشه وطموحه، فعندما عين زميله علي باشا الكتخدا والياً على بغداد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م قاد هو حركة شغب انتهت بمقتل علي باشا وتوليه الحكم مكانه، ثم قام بحملات-

كل من لم يعشق الوجه الحسن   قدم الرحل إليه والرسن[1]

غير انه بناء على انكشاف خبايا الحال إلى الباشا المشار إليه.

بيت

لا تلمني على إباحه سرّي   فكل عشق لأهله فضاح

لقد كان يحدث احياناً ان يقدم بعض قطع الحلوى بيده إلى ذلك الغلام فيأمره بوضعها في فم المومأ اليه، وذلك في معرض المزاح والملاطفة معه. فكان يتقبل ذلك بكل سرور، وهو يردد في مثل هذه المواقف:

بيت معناه

اعزف عن التناول حتى وان قدموا لي سكراً

لكن لا مانع لدي من تجرع العلقم من حبيبي

–عسكرية عدة لضرب القوى القبلية القوية، ومارس ضغطاً على حكومة الجليليين ولاة الموصل، إلاّ أن حدوث الطاعون الهائل سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م وغزو الايرانيين البصرة سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م أضعفا من سلطانه، وفسح المجال لمناوئيه للعمل ضده، فلقي مصرعه على يد القادة الذين أرسلتهم الدولة لتخليص البصرة من الايرانيين في تلك السنة. عثمان بن سند: مطالع السعود ص ٩٤ والكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٥٦ وياسين العمري: زبدة الآثار الجلية، بتحقيقنا، النجف ١٩٧٤، ص١٤١، وغاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد ١٩٦٨، وغير ذلك.

[1] كذا بالعربية في النص. المترجم

وذات يوم أديرت في الديوان فناجين القهوة على الحضور كالعادة، وبناءً على إشارة من الوزير المشار إليه تناول أحد الخدم السودانيين الفنجان وجاء به إلى المومأ اليه، لكن هذا اعتذر عن تناوله بحجة انه صائم. لكنه بعد قليل جاءه ذلك الغلام المتوله في حبه بفنجان القهوة فإذا به يتناوله من يده بشكل اعتيادي، فتجرعه كالعادة. ولما استفسروا منه عن سبب التناقض هذا، أجاب قائلاً: بما ان هلال العيد قد بدا في أفق الملاحة فإنني أفطرت حسب الأصول.

عاش مدة تجاوزت الستين سنة، وفي السنة الثانية من حكومة سليمان باشا[1]، وهي تاريخ [ألف ومائة و] ثمانية وتسعين[2]، انتشى كلس ﴿كلُّ نَفْسٍ ذائِقةُ المَوْتِ﴾[3] هذه المرة فشد الرحال إلى جنان النعيم.

وأودع الثرى بالقرب من بستان الجنة الواقع في جوار جامع الإمام الأعظم عماد الدين رحمة الله عليه.

بيت عربي رباعي

رأيت خيال الظل أكبر عبرة	لمن كان في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي	ترى الكل يفنى والمحرك باقي

---

[1] من الواضح أنه يريد سليمان باشا الكبير، وقد تقدم التعريف به.

[2] ويوافق أولها ٢٦ تشرين الثاني ١٧٨٣م.

[3] آل عمران ١٨٥.

٣- أحمد باشا والي الموصل[1]

مخلصه: أديبي

ذكر الماجد المزدان بالمعارف الكثيرة، والي الموصل الأديبي أحمد باشا

هو ابن كتخدا الموصل الآتي ذكره، أبــو بكـر افنــدي حَسَنبي المَخلَّص، وهو نعم الخلف لخير سلف. موصلي الأصل والوطـــن، تلــك برج الأنبياء الموصل الحدباء.

---

[1] هو أحمد باشا بن بكر أفندي بن يونس أفندي، من أسرة موصلية قديمــة اختارهــا الولاة الجليليون لتولي رئاسة ديوان الإنشاء، وأضافوا إلى منصبهم هــذا، منصبــاً أكثر أهمية، وهو (الكتخدائية)، المنصب الثاني بعد الوالي، وصاروا بذلــك نوابــاً للوالي نفسه، وقد منح المنصبان إلى أحمد أفندي (باشا فيما بعد) ليتولاهما في أثناء حكم محمد باشا بن أمين باشا الجليلي (١٢٠٤-١٢٢١هـ/١٧٨٩-١٨٠٦م) وفـــي هذه المدة، جرت محاولته للوصول الى منصب والي الموصل، وهي المحاولة التي وافقت رغبة والي بغداد سليمان باشا الصغير في التخلص من زعامة الجليليـــن، فولاه حكم الموصل، ومنحه لقب (باشا) تعزيزاً لموقفه. وقـــد تنــاولت مصــادر العصر شذرات من سيرة صاحب الترجمة فيما يتعلــق بمحاولتــه تولــي ولايــة الموصل في محرم ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م، ينظر ياسين العمري: غرائب الأثــر فــي حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل ١٩٤٠، ص٨٣-٩٢ والســيف المــهند فيمن أسمه أحمد (مخطوط) ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الـــوزراء ص٢٤٧ وعثمان بن سند: مطـــالع الســعود، الموصــل١٩٩١، ص٢٧٠-٢٧١ وكتابنــا: الموصل في العهد العثماني، النجف ١٩٧٥، ص١٣٩-١٤٣. واختصر صــــاحب المختصر ترجمته في ص٢٢-٢٣.

نمت دوحته الذاتية بالاغتراف من جدول التهذيب، وترعرعت في غابة المعارف، وتساوقت في روضة العوارف.

بيت معناه

ما كل حجر يصلح ليكون المرجان واللآل

فنقاوة العنصر شرط لبلوغ الكمال

كان صاحب أدب جم وسميراً كامل الدراية، لذلك فلقد فاتح والي بغداد سليمان باشا المقتول[1] الباب العالي بخصوص اناطة منصب ولاية الموصل إلى عهدة الموما إليه لكونه كفوءاً لإشغال ذلك المقام. ولقد تكلل الترشيح هذا بالنجاح فورد الفرمان السلطاني الموشح بالطغراء الخاقانية

---

[1] تولى منصب الكتخدا في عهد سلفه علي باشا، ثم اختاره العلماء والوجوه والياً على بغداد فأقرت الدولة ذلك، وتولى الحكم فعلياً في ٤ محرم ١٢٢٣هـ/ ١ آذار ١٨٠٨م وحفلت مدة ولايته بالعمليات العسكرية التي قادها بنفسه ضد الأسرة البابانية في السليمانية، وضد اليزيدية في سنجار، كما سعى الى ضرب زعامة الجليليين في الموصل بإسناد الحكم في ولايتهم الى أحمد باشا المذكور، فلما احبطت مساعيه، وقتل أحمد باشا، أصدرت الدولة العثمانية أمرها بعزله سنة ١٢٢٥هـ/ أواخر تشرين الثاني سنة ١٨١٠ ولكنه أعلن عن عزمه على المقاومة، وخرج بقواته لمواجهة القوات العثمانية الزاحفة لعزله، وبعد قتال بين الطرفين جرى في نواحي (خرنابات) في شرقي بغداد، اضطر إلى الفرار إلى الجانب الثاني من نهر ديالى، حيث قتل على يد بعض عشيرة الدفاعي هناك في أواخر شوال سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م. مطالع السعود ص٢٦٨-٢٧٣ ودوحة الوزراء ص٢٥٠.

بشأن تعيينه في المنصب المذكور ليتولى المتطلبـــات الوظيفيـــة الثقيلـــة والمهام الإدارية العويصة هذه، فانصرف إليها كلياً وعن طيبـــة خـــاطر، وهو ما أدى به إلى سلب راحته وانشغال باله كثيراً.

بيت معناه

كنـــت كالفرجـــال خلـــي البـــال

فألقيت أخيراً في حومة الـــنزال

وبما أن سلالة آل عبد الجليل[1] لا يرضون بتسليم مهمة الولايـــة إلى أي شخص آخر من دونهم، مالم ينقطع نسلهم، كأنما هـــذا المنصـــب خاص بهم وحدهم، فإنهم أذاقوه كأس الحمام من سلسبيل الشهادة بالســكينة الحادة ولما يمض من مدة حكمه ستة أشهر، وذلك في تـــاريخ [ألـــف و] مائتين وخمسة وعشرين[2]، فأطاحوا بتلك الشجرة الناشئة النادرة الوجـود، الكريمة المثمرة، وكان عمره إذ ذاك في حدود الخامسة والثلاثين.

بيت معناه

لا اعتماد على تصـــاريف الدهـــــر

لطالما استحل الدهر ضرب الرقـــاب

---

[1] يريد الأسرة الجليلية التي تولت حكم الموصل سنة ١١٣٩هـــــ/١٧٢٦م، ولبثـت تحكمها، على نحو مستمر تقريباً، حتى سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م.

[2] أولها ٦ شباط ١٨١٠م.

ومع أن مدة حكمه كانت قصيرة، إلا انه بحكم كونه كريم النسب، ومتحلياً بالصفات الإنسانية الحميدة، وجرياً على المثل القائل بان الإنسان العريق النسب لا يصدر منه الخطأ، لم يبدر منه أي ميل نحو إيذاء الناس والجور في العباد، فكان رأيه منذ نشأته الأولى في الحياة وحتى نهايتها. هو العمل على تطييب قلوب الناس وإدخال الفرح عليها. فاتباعاً لقول الشاعر:

القلب عرش إلهي فلا تهدمه

فليس للبشر ترميم ذلك البيت

كانت تلك هي فلسفته في الحياة التي اشتهر بها. والحق يقال انه كان متنعماً بثمار الأدب والكمال، ومعروفاً بمخلص (الأديبي) بين معشر الأدباء والشعراء. ومن جملة عصارة يراع قلمه هذا الشهد الفائق من نمط الرباعية. يقول الشاعر ما معناه:

ان غبار دربك توتياء لدمع عيني المنسجم[1]

كما ان رباط بوابتك في نظري مسند جم[2]

انني حامل مفتاح درة المعرفة الأعظم

اني تسلمت مخزن الفيض الأكدم

---

[1] التوتيا مادة كانت تستعمل طبياً في علاج أمراض كثيرة، منها ما يصيب العين خاصة.

[2] جم هو مجزوء من اسم جمشيد، أحد ملوك الفرس القدماء، وبما أنه كان ميالاً للقصف وتناول الخمور واللهو، فقد أصبح بمثابة شيخ الحانة في الأدب الفارسي القديم.

٤- الملا محمد صالح المكتبدار[1]

مخلصه: آصف

ولد سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

توفي سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م

ذكر مدرسة نظم الاشعار آصف الملا محمد صالح المكتبدار هو ابن المدعو آصف الكركوكي أصلاً ووطناً

شطر بيت معناه

قصر فردوس يمنح لمن عمل

وانطلاقاً من هذا المعتقد، فإنه التزم الخلوة في الزاوية، وذاق لقمة النقاء فكان عبداً صالحاً وزاهداً موافقاً لمعنى اسمه ومطابقاً له.

بيت معناه

مرحى لذلك الشخص الذي يقضي أيام حياته

بخير أعمال وبلا نفاق أو رياء

وبما ان حوصلة طبعه كانت متشبعة بأطايب مائدة الأدب، فإنه كان نزيل زاوية القناعة، يعمل معلماً في المكتب، ومقيماً فيه.

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر. والمكتبدار، لفظ تركي مركب من: مكتب العربية، وتعني اصطلاحاً مكان تعليم الناشئة مبادئ المعرفة والكتابة، ودار بمعنى: صاحب، وسيذكر المؤلف أنه كان يعمل معلماً.

وكان صاحب نكتة ومزاح ورقة في القول، وأشعاره في الحـــلاوة سكرية المثال، فقد ألف في وقته ديواناً ممتازاً في الكلام المنظوم، مزدانـــاً بالفضة والذهب في المآل، لكنه لما حضرته الوفاة جعله طعمـــة للنـــيران أمام ناظريه. لم يتسن لي غير الحصول على هذا الغزل اللطيف الوحيـــد، زينت به السطور، فأمليت معناه على سبيل التقريب:

الترجمة العربية:

قدك الممشوق أشعر السرو بالخجل

وخدك سبب الحرقة للشقائق الحمر في الحقول

مذ أن وقع النظر على شعرك المعنبر المجدل

هام القلب في الفلاة كمجنون في حبك متبول

إذا كشفت عن الوجه المنير من تحت النقاب

بدت الشمس الساطعة وهي خجول

أن نصلي حاجبيك لا يخلوان من اصطدام

إلاّ إذا تدخل خالك.. فكان فصله في الدعوى قضاء

وهذا المقطع الحامل لمخلصه الأدبي، قد وصل إلى سمعي، وهـــو مأخوذ من إحدى غزلياته، ومعناه:

قال ذلك القمر إن آصف هو الفراشة الوحيدة الصادقة

فما على الفراشات الأخريات إلاّ اليأس من شمعة خدي

كتب له من العمر سبعون سنة، وتوفي في عام سبعة وثلاثين [ومائتين وألف][1].

بيت معناه

لا عالم ولا جاهل يخلد في الحياه

تلك في جميع العباد سنة الله

---

[1] أولها ٢٨ أيلول سنة ١٨٢٢م.

٥- خليل افندي[1]

مخلصه: البصير

ولد سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م

توفي سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م

ذِكر صاحب العلم والعرفان، خليل أفندي البصيري

إن الموما إليه موصلي الأصل، بغدادي الوطن، وهو نجل إبراهيم أفندي آل فخري، كان ذا بصيرة وإدراك وفهم درّاك، لكن عيناه كانتا كليلة محرومة من نعمة البصر بفعل نائبة من نوائب الدهر نزلت بهما

---

(١) له ترجمة في المختصر ص٢٣، فيها بعض الزيادات مما لم يرد في الأصل. وترجم له عثمان عصام الدين العمري: الروض النضر في تراجم رجال العصر، بتحقيق محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٤، ج١ ص٢٤٧-٣٥٥، ومحمد بن مصطفى الغلامي: شمامة العنبر، بتحقيق محمد سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٥، ص١٢٥-١٢٣، ومحمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، بولاق ١٣٠١، ج٢ ص١٠٢، ومحمد أمين العمري: منهل الأولياء، بتحقيق سعيد الديو جي، الموصل ١٩٦٨، ج١ ص٢٤٣، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، بغداد ١٩٦٢، ج٢ ص٢١٥، ٢٧٠، ٢٨٩، وكتابنا التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني ، بغداد ١٩٨٣، ص١١٤ وله أراجيز في وصف حصار نادر شاه للموصل، حقق إحداها سعيد الديوه جي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١٣ السنة ١٩٦٥، وله أرجوزة مطولة أخرى في أحوال حروف الجر، سماها (الدرر المنظومة والصرر المختومة) حققناها ونشرناها في مجلة المجمع العلمي العراقي، المج ٢٥، السنة ١٩٧٤.

لسبب من الأسباب، وما أكثرها على يد الدهر الغدار والفلك الدوار. على أنه من حيث قوة الحدس والفهم والبصيرة كان بالغاً درجة الكمال والنضوج. ومن الشواهد الدلة على قوة طبعه وبلوغ المرتبة العليا في نفوذ البصيرة، قوله المفرد هذا:

المعنى

عسير ان يكون عديم البصيرة بلا بصر

فشكراً لله ايها البصيري! مالي والبصر

هذا وقد ذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق في زمانه في مجال العلم والأدب والفضل والكمال، حتى وصل نبأ ذلك إلى عاصمة الدولة، فتناهى إلى مسامع السلطان ذاته، فأمر بإيفاد أحد الأشخاص إلى بغداد لجلبه إلى الآستانة دار العلم والكمال وكهف الأدب والأفضال، لمقابلته. وفي أثناء الذهاب أوعز إليه رفاق السفر في موضع معين أن توجد شجرة في الطريق، تستلزم احناء الرأس قليلاً للمرور من تحتها. وفي أثناء العودة ، وعند الوصول إلى الموضع نفسه اعاد صاحبنا الكرة من تلقاء نفسه فأحنى رأسه كأنما يمر من تحت الشجرة المذكورة كالسابق، فاستدعى ذلك استغراب رفاقه من هذه الحركة التي لا ضرورة لها في نظرهم، حيث لم يعد هناك أي أثر للشجرة المذكورة لكونها قد ذهبت ضحية ضربات الفؤوس قبل ذلك بأيام. وبالطبع فلا هذا ولا هؤلاء لهم علم بذلك. ولدى الاستفسار منه عن سبب هذه الانحناءة بدون سبب ظاهر، أجاب بما يلي:

خلال مروري من هذه النقطة عند الذهاب، كانت هنا شجرة باسقة على قارعة الطريق، فلابد للسابلة ان يحنوا الرأس قليلاً لدى مرورهم مـن تحتها والظاهر انه لم يعد لها أثر الآن.

والحاصل ان معشر ثقات النقاد يجمعون على أن الموما إليه كـان متملكاً ناصية الفصاحة والبلاغة حق التملك، وأعمالـه الأدبيـة متحليـة بالمعاني الزاهية والنكات اللطيفة.

بيت معناه

يقطـر مـاء الخلـود مـن منقـار البلاغـة

لكن قلمي أبى تعلم ذلك فياله من عالي الجنـاب

إن ديوانه اللطيف المدون في رواق الاشتهار، لجدير بالتداول فـي مجالس الرجال الأكامل والتدارس في نوادي الأفاضل.

بيت معناه

كل بيت منه لو يسمى ببيت القصيد المطلق

وكل قصر مشيد منه لو يسـمى بالخورنق

فلا بأس من اطلاق كل ذلك عليها جميعاً

وإنني لقاصر عن توصيفها فهي ملء الصفاء

غير انه كنموذج لنظمه الرائع ارتأينا تزيين وجه الكتـاب بـهذا الغزل البديع:

غزل معناه

لا تهبي القلب لكل من قال انني متيم في هواك

اننى انا المولە في حبك، لا أحد سواي يهواك

ان كان حبي اياك جريمــة فاصفحي عني

من ذا الذي لا يحب في الدنيا ســواك

لو شاهدت في المرآة صورة حســنك يوما

لجعلتِ نفســك متولهة في غرام مرآك

ربما لم يكن ليذكر اسم شـــيرين أبداً

لو صادف حفار الجبل صــــدفة رآك

ان العذر كله مع من يوجه العذل إلى البصيري

إذ ما حيلتــه وهو للآن لم ير محيــاك

كان صاحب اليد الطولى في التخــاميس بوجــه خــاص. واداؤه الحسن منظور لدى ارباب النظر، ومشهور الأثر عنــد زمــرة أصحــاب المعارف. مع ان مجموع أعماله سوف يكون باعثاً للسرور والبهجة لــو أفرطت في سلك التحرير وداعية للشوق والشطارة.

إلا انه انتهاجاً لطريقة (خير الكلام مــا قــل ودل) فلقــد اكتفينــا باقتباس المفردات للثلاث هذه من تخميسه لإحدى غزليات رئيس الشــعراء فضولي البغدادي[1] الذي لا يبارى:

---

[1] أمير الشعر التركي القديم، اختلف في تحديد مسقط رأسه فقيل في الحلــة أو فــي كربلاء أو في بغداد وقيل في كركوك أيضاً ،كما اختلف في قوميته، وفي أرجــح الأقوال أنه كان تركياً، مال إلى التصوف، ولزعت نفسه إلى العشــق الإلــهي،-

والمعنى

مذ ان وضع القدم فوق جبل الغرام

تحطـم قلبي عنك بكأس الهمـوم

ان مجنون ليس مثلي، شتان ما بيننا

لو كان عند فرهاد ما عندي من هموم

بآهة واحدة لكان ينسف جبل (بهستون) نسفا

لقد نالت زليخا المرام من يوسف

صار أياس الممتاز لمحمود جليسا

كان خسرو جليس شيرين ووافق عذراء أنيسا

فرهاد منشغل بالصورة ومجنون سائر في البرية[1]

لكل نصيب من راحة البال، خلا انا في البلية

تجولت في أطراف رياض الغرام كما جدول الماء يميس

تجاوبت بلابلها الشادية مع الحاني الشجية

اياكم والقياس بين بكائي وغناء قيس

لو كانت آهات مجنون مثل نواحي انا

=وكان مثقفاً بارزاً، أديباً مفلقاً، وشاعراً كبيراً له دواوين بلغات عصره الثلاث: التركية والعربية والفارسية، أتصل بولاة العثمانيين، ونال شعره شهرة ذائعة في الأدب التركي بخاصة، توفي سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م. ينظر د. حسين مجيب المصري: فضولي للبغدادي أمير الشعر التركي القديم، القاهرة ١٩٦٧.

[1] جمع المؤلف هنا أسماء مشاهير العشاق في الأدبين العربي والفارسي.

هل كان للطير قرار في العش الذي على الرأس[1]

كذلك كان ذا باع طويل في نظم الشعر الفارسي، بحيث كان ابداعه في هذا الباب عند مغترفي كؤوس المعارف ومجترعي عزف العوارف بمثابة:

أشهى لنا واحلى من قبلة العذارى

لقد اجرى تخميساً لهذا الغزل الفارسي الجميل، ارتأينا اقتباس بعض منه في هذه التذكرة، وعرضها على أنظار القارئ الكريم لما في ذلك من الذوق الأوفى:

المعنى

ان معاناتنا من الفقر لا استبدلها بالغنى

ورغيف الشعير لا استبدله بالوان الطعام

ان راحة لا استبدلها بالحور الحسان

لا استبدل ركن الحبيب بروضة الرضوان

نعم فهذا الركن لا استبدله بملك سليمان

انما التقصير من عندنا فما للانكار داع

مضينا لأعوام في هذا العمل

بها من المخلقات بالمئات واني لمعترف بها

---

[1] لقد أشاع الشاعر فضولي بقوله هذا، أن مجنون ليلى قد بلغ من الجنون حداً تكاثر الشعر في رأسه وتضافر إلى حد جاءت الطيور وعششت فيه. المغالاة تلك هي السمة الغالبة في أشعاره.

وانني لاكشف عن خفي مكنونات العقل

ان معشر الضيوف لا يملون من المـــأوى

ففي مقلتي مأواه إن عـــــدم المحـــل

ليس لنا سؤال أو جواب مع اهل العلـــــوم

أو رأي في الامتحان ولا مجال للجدل

لا نصاحب شخصاً في السفر لم يكن ابكما

في قافلتنا نحن لا وجود للقيل والقال

طريق الكلام لا نقطعه بالهذر والهذيان

ان طريقة السؤال قد تحط من قدر السائل

لكن الابله الضارب في الأهواء لغافل عن هذا الأمر

لا ترق ماء الوجه عند كل انسان عاقل

فبدون ماء الحياء، الحياة سم قاتل

نحن لا نستبدل ماء الوجه حتى بإكسير الخلود

بما انه قد بلغ ذروة الكمال في قوة البصيرة، فلقـــد اشـــتهر بيـــن أصحاب البصر والبصيرة بلقب البصيري.

وكان على المام بقدر الكتابة بالعلوم العربية ايضاً. سيما وانه كـان حافظاً القرآن الكريم عن ظهر قلب.

مع ان حوصلة مواهبه كانت مغمورة بهلاهل الفقر، وفقاً لما جـاء في المقولة المعروفة:

أما أهل الفصاحة ذووا فهم مسجون[1]

فكان يردد قول الشاعر العربي:

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنـــى   وما علموا ان الخضوع هو الفقـــر

لذا فإن نفسه الأبية قد فرضت عليه عدم الإفصاح عن سوء حالته المعيشية إلى غيره، وظل يعاني الكفاف والجفاف عن طيبة خاطر.

أي:

مرحى لمـــن ابتعد عن انظار أهل الســـوء واختفى

مرحى لعمل صالح كامن في الحبيب كالتمر المكتوم[*]

بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة. وفي عام الـــف ومائـــة واثنيـــن وثمانين[2]. أغمض عينيه عن الحياة بمقتضى امره تعالى: ﴿كلُّ مَنْ عَلَيها فانٍ﴾[3]، ثم فتحها في قصور الجنان.

بيت معناه

لم يكن للسماء والأرض وفاء ولن يكون

---

[1] كتاب بالعربية في النص.

[*] ثمة بعض التصرف في التعريب هذا فأرجو المعذرة. المترجم.

[2] لقد ورد تاريخ الوفاة المذكور في النص ١٢٨٢. بينما تاريخ تأليف الكتـــاب هـــو ١٢٤٦. لذا كتبته ١١٨٢ وهو الصواب كما في مصادر ترجمته الأخرى.

[3] الرحمن ٢٦.

٦- أبو بكر أفندي[١]

مخلصه: بكري

ولد ١١٣٥هـ/١٧٢٢م

توفي ١١٩٨هـ/١٧٨٣م

ذكر ناثر الملح على مائدة الكمال أبو بكر أفندي صاحب المعارف وهو ابن عبد الله أفندي البغدادي. كـان يدعـي للتـآلف بـالأدب والكمال، والتعايش مع مظاهر المعرفة والجمال، ولا يدخـر وسـعاً فـي التطرق إلى مجالس أرباب الكمال ونوادي أصحاب الأفضال، ولا ينقطـع عنها أبداً.

بيت معناه

العبرة في اكتساب جوهرة المعرفة أن تحترز

وليس ذكر نصاب الفضة والذهب وتعدادها

ان الحبل غير القابل للانفصام لذهنه النقـاد، وصولجـان فكـره الوقاد، كانا من القدرة بمكان في تسخير مشكل العبارات، وفـك أسـرار المعاني وعرضها جميعاً وكشفها في ميدان التقرير.

إذا قيست أشعاره التي كانت بمثابة السكر المكرر، بأشعار اقرانـه المعاصرين له، بدت الأخيرة في درك الحنظل والشوك والادغال. ولأجـل امتاع أرباب العرفان من حلو مقاله اكتفينا بدرج الرباعية هـذه كنمـوذج لروائع قريضه المتدفقة من لسانه العذب:

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم ترد في المختصر.

والمعنى

يا من قده الممشوق ادرى بحياة المرو في البستان

قد اكتوى القلب الحزين من فراقكم وسماً على وسم

واصيب بكري بالسوداء بفعل شعرك الفاحم

أما من يوم سألتني ما له مجنوننا اين هو؟

كذلك كان مشهوراً عند الأنام بالمهارة والكمال فـــي وادي شـــعر الهجاء. لقد ارتجل الرباعية الآتية في حق شخص يدعى محمود وهو غير محمود الصفة وكريه الخلق والخلقة معاً.

أي

اي شخص قبيح وكريه اللقاء وسيء السيرة

لقد كرهــك النـــاس دون ان يـــروك

والله لو حططت عند صخرة الجن

ما ان يقع نظره عليك حتى يلوذ بالفـــرار

كان مخلصه (بكري) مشتقاً من اســـمه. وبسـبب المعانـــاة مـــن الأحوال المعيشية السيئة والظروف الحياتية غير المواتية وعنّـــة الدهـــر الدوار على خلاف المرام، فإنه كان غارقاً في بحـــر الـــهموم، يصـــارع امواج الكرب والغموم، تتقاذفه اللجج بلا هوادة أو رحمـــة فـــي زحمـــة ومعترك لا يطاق من الهواجس والافكار.

بيت معناه

كل شراب يراه الأحمق مزيجا من ماء الورد والعسل

وفي رأيي فإن قوت العقلاء من دم الكبـــد

عاش من العمر ثلاثاً وستين سنة. وفي عام ثمانية وتسعين[ومائـــة وألف][1] وافته المنية بأجله الموعود فتفرق نظام كتاب عمره، فصار ينشـد قصائده الغزلية في جو من الصفاء وراحة البال في الجنة العليا.

بيت معناه

لا تنتظــر الوفاء من ساقي الدهر

فكم من الناس سكرى بكأس الحمام

---

[1] أولها ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣م.

٧- بكتاش أفندي النائب

مخلصه: نائب

ولد ١١٠٧هـ/١٦٩٥م

توفي ١١٨٧هـ/١٧٧٣م

ذكر ملتقى ابحر الفضائل، نائب بكتاش أفندي الفاضل[١].

---

[١] في النص: ملتقى الابحر فضائل، وملتقى الأبحر كتاب معروف في فروع فقه الحنفية. وفي المختصر المطبوع (نائب) وفي النسخة الخطية من المختصر المحفوظة في دار صدام للمخطوطات (تائب) وهو الصواب، وفيه أنه "كان رجلاً عالماً فاضلاً فقيهاً جداً من كثرة تفقهه في الدين، لقب بملتقى الأبحر، وكان أيضاً نثاراً بالعبارات العلمية، وكان فائقاً في علم الفرائض وفي سائر العلوم، عمّر ثمانين سنة، وتوفي سنة ١١٨٧ رحمه الله تعالى" (ص٢٤)، وقد أورد في أول هذه الترجمة ما نصه" نقلاً عن والدي" وليس في الأصل مثل هذا السند. وسيترجم المؤلف لأحد أفراد أسرته، وهو الحاج ولي أفندي المتخلص بهمت (الترجمة ٦٧) وسيأتي التعريف بهذه الأسرة هناك. ومن ذرية بكتاش هذا خير الله، ولطف الله، وللأخير مال الله، ولمال الله عبد الله الذي كان يعرف بتائب أيضاً، وله رفيق، وكان برتبة يوزباشي في الجيش العثماني، وتوفي في أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦، ورفعت وكان مديراً لبعض النواحي في العراق، وقد أنجب رفيق كل من الزعيم الركن زكي (١٩١٠-١٩٩٨) وله قيس ومحمد، والرائد يونس (١٩١٦-١٩٨٠)، وله مازن وباسل وصفاء، أما رفعت فقد أنجب نعمان (-١٩٨٦) وقد تولى وظيفة قائم مقام لبعض الأقضية، وله من الأبناء منذر وتحسين وبدري ومسعد، وثابت (-١٩٨٦) وله وليد وحسين وحسن ومهند.

انه تحدر من صلب عمر أفندي البارودجي من وجـــهاء بغـــداد، كحصيد من محاصيل بيدر الامكان، بواسطة الحكمة القائلة:

لـــــولا العــــالمون لــــهلك الجــــاهلون

فكان ضميره المفعم بالفضيلة بمثابة بحر المعرفة وكـــنز الدقـــائق للافضال، والبحر الرائق للكمال، فكان الفهرست المنتخب لعلماء الزمـــان للعلوم بأنواعها كافة، وعنوان مجموع أفاضل الدوران، وكـــانت مســائل اوصافه مبينة بالبلاغة، وعباراته مفعمة ومزدانة بالفصاحة.

وهو غني عن التعريف والتوصيف من كل الوجوه حســب مفــاد بيت معناه:

ما حاجـــة شـــيء إلـــى البيـــان إذا كـــان ظاهـــراً للعيـــــان

فشهرة علمه وفضله ليست مفتقرة إلى كاتب سيرة ليكتـــب عنـــها شيئاً. ومن جملة اعماله العلمية كتابه في الفقه الشافعي الموسوم بالحقـــائق والمتسم بالدقائق في تضمنه الوف الأجوبة المسكتة في المسائل الشـــرعية العويصة، والمشتمل على اشارات وقيل وقال لا نهاية لها. ولكـــن لعـــدم حصول توفيق الإله الجبار أو وفاء الدهر الغدار، فانه قبل ان يفرغ مـــــن اكمال الكتاب المذكور، أضحت نسخة وجوده نادرة الوجود، قد رفعت عن دار الكتب الدنيوية.

كان يقرض الشعر في اللغتين العربية والتركية. فكان ينسج على منوال ثابت أفندي في اعماله باللغة التركية. سفينته الأدبية محملة بشتى الأمتعة من المعاني والكتابات الفنية. ولقد اخترنا هذا المستزاد من اعماله باللغة العربية:

نمقت على بابك يـا قـرة عيني	بالدمع كتاباً
واشهدت على الوجد مدادي ودواتي	سل من عبراتي
لو سال على بابك انـهار عيوني	ليلاً ونهاراً
والرحم على السائل اولى الحنات	يوم العرصات
العارض والخال واصداغك حفّت	أطراف محياك
والجنة كيف احتجبت بالشهوات	من كل جهات

كذلك كان ذا باع طويل في قرض الشعر باللغة التركية، فمن نظمه في هذا المجال ما يجدر ان يجعل منه تعويذة تربط في ذراع القلب والروح وتتخذ حرز الأمان للنفس. وبوساطة تجار القلم العنبري جرى انتخاب هذا الغزل الروحاني، من نتاجه ترصيعاً لأقراط الأدباء:

المعنى

إن يقع القلب في هوى قمر منير

لا يأبه بما يقوله الناس من قال وقيل

انها لا تعير لك البال ايها الولهان

دع عنك الانكباب على قدميها كالجدول على قدم السرو

لايذر ولا يبقى كرياح السموم العاتية

حذار حذار ان تكون باعثاً لآهات المظلوم

لا تفسح المجال لنفسك بالتغافل عنها

وهل يفسح المرأ المجـــــــال لعدوه؟

اياك ورمي الحجر على زجاجة الحياة

فما فعل خياط غير أنه حول الثوب إلى غيره لرفوه

لا تغرنك حمرة الورد فتصاب بشوكة

ولا يجرمنك هوى عروس الدهر المحتجبة

ان الوعد الكاذب ليعده الكبار اليوم لطفاً

أو ليس من الأجدر ان يقال لاحسن واحد فيهم: اف لك!

ذلك التائب عن عصيان النطق والسماع، قد ذاع صيته بمخلـــص التائب بين الأنام قد بلغت أيام حياته الثمانين سنة. وتوفي ببغـــداد بفعـل مرض الطاعون الكبير المنتشر فيها[1]، بموجب البشـــارة الـواردة فــي الحديث النبوي الشريف القائل: (الطاعون ضربة في الأبط، من مات منـــا فقد مات شهيدا).

فبذا صار من نزلاء قصور الجنة العليا متخذاً مجلسه مـــع مـــن تبؤوا المقاعد خلف ستار الشهادة وصار سميراً لهم.

---

[1] لم يحدد أي طـــاعون أراد، وفـي المختصـر أنـه الـذي داهـم بغـداد سـنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م.

بيت معناه

كل من يتعامل في هذا السوق بنقد الانفاس

فلدى حلول موعد القبض لا أمان أو زمـــــان

كان يتتبع الحقيقة، نقي السيرة، وقلبه مسوق نحو الملك الأعلـــــى، وعاملاً بالمعروف ومجتنباً من المنكر. ولقد تبين له حلول موعـــد وفاتـــه وانتقاله من الدار الفانية إلى القصور الباقية. وقبل ان يصيبه نبـــال هـــادم اللذات بلحظة واحدة نطق بنصف الشطر هذا:

بكتـــاش تـــائب أولـــــــدي

محدداً بذلك تاريخ وفاته. من ثم قام الشاعر المرحوم الحاج عمـــر أفندي آل الباغري، الآتي الذكر[1]، باتمام ذلك في بيت هذا معناه :

لما رغب طائر الروح بمغادرة الجسد طالبا

وقع التاريخ في الحال صار بكتاش تائبـــا

---

[1] الترجمة ٢٧.

٨- تقي الدين أفندي قاضي بغداد

مخلصه: تقي

لم تحدد ولادته ووفاته

ذكر شاغل كرسي الفضائل عسيرة التعداد،

تقي الدين أفندي قاضي بغداد[١]

ان الموما إليه من الرجال الأفاضل والأكامل، ينتمي إلـــى حلــب الشهباء، وأصله الأصيل يتصل بها كذلك. ولما وصف الشـــاعر نــابي[٢] المرحوم المدينة المذكورة، كان من جملة ما قال عنها:

بيت معناه

بقدر ما هو موجود في الدولة من الرجال

بقدر ذلك موجود في حلب من قحط الجمال

فهو رجل صاحب فضائل جمة ينتمي إلى المدينة المذكورة. والحاصل:

بيت معناه

انما يرثى لحال ذلك الشخص الاحمق

ان كان محروماً من المعاني الشعر والخيال

---

[١] كان هذا القاضي قد تولى القضاء ببغداد أول مرة سنة ١٢٣٧هـــ، فـــي مــسجلات المحكمة الشرعية ببغداد أنه تولى القضاء فيها من سنة ١٢٤٧ إلى ١٢٤٨، أي بعد انتهاء عهد واليها داود باشا مباشرة، وفي أول سني حكم الوالي علي رضا باشـــا اللاز، والي حلب السابق.ينظر كتابنا الأسر الحاكمة ص٨٨

[٢] شاعر عثماني تقدم التعريف به.

لقد بذل نقود انفاسه في سبيل تحصيل العلم والمعارف مع صرف الجهد الجهيد في تحقيق ذلك. وجبل وجوده على طبيعة القضاء والعمل في مسند الحكم في مدينة العلم والمعرفة، فهو يضع توقيعه على حجج الفضل والعرفان:

شطر بيت معناه

ليس فيه ادنى تقصير فلا يُرفع عليه اصبع الاعتراض

لقد كان معروفاً بالاقرار، ومتصفاً بالأدب والكمال. فانه بعد ان اضفى الحسن والبهاء على رتبة (أفندية الديوان) عدداً من السنين في خدمة المرحوم خورشيد باشا[1] والي حلب الكبير، فانه قد لبث في الآستانة، مجمع اهل الكمال، ومنشأ الالطاف والأفضال، حيث صار معرضاً لحسن انظار الملوك والرجال، فشمله منطوق المقولة القائلة، ومعناها:

إنما القوم يعرف الواحد منهم قدر الآخر

---

[1] من قادة الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني، تولى مهاماً عديدة، منسها أنه عين والياً على مصر بعد هزيمة الحملة الفرنسية وانسحابها، وقاد الجيش العثماني في معارك عدة في أوربا الشرقية، ثم أختير صدراً أعظم، فوالياً على كوتاهية وحلب وروم ايلي، وتوفي سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م (سجل عثماني ج٣ ص٢٠٦٧).

فصار مستخدماً ومستسعداً بقضاء بغداد دار السلام، فكان مشـــربه عذب التودد وطبعه حلو الشمائل، وما أن حل في هذه الربوع فإنه جريـــاً على المقولة المعروفة:

ليس من الانصاف ألاّ يتعارف اهل الهوى

فانه قد ابدى الميل نحو نوادي أرباب المعارف وأصحاب للطـائف ورغب فيها.

بيت معناه

انما اهل النظر يتعاملون مع المعارف

وبما ان رغبته في معاشرة الخلان والاصدقاء قد صارت معلومـة لدى افاضل البلد ومفهومة عند ظرفاء الولاية، فلم يكـــن ينفــك -حتـى انقضاء سنة ولايته ووصوله إلى محل الاختتام- عـــن زمــرة العـــارفين ومعشر المتأدبين.

بيت معناه

إن اتحاد الجنسين امــر صعــبُ لــولا إدغــــام حــرف بــآخر

كان وداعه باعثاً مؤلماً لاودائه، ورحيله داعبـــاً لاحسراق اكبــاد احبائه هماً وكمداً لفراقه ومغادرته:

بيت معناه

لو يجري الوزن بميزان الحقيقـــــة

كان جور الدهر وجفاؤه لا يعدلان لطفه وزنا

فذلك أصغر قطرة في بحر فضله في النظم التركي.

بيت معناه

ان جوهرك الناصع لغني عن كيل مديحنـــــــا

ما الذي تضيفه الماشطة على جمال وهبه الرحمن

فإقراراً بقول الشاعر ذلك، نصرف النظر عن كيل المديـــح إليــه واطرائه، ونكتفي بدرج غزله هذا:

الترجمة العربية:

ذكرى الحبيب في الصدر سهم من الهدب

رمته من قوس القضاء فياله من مسرى بديع

لقد وشيت الحمراء تلك بالشقائق والورد معاً

لها خد احمـــــــــر وارد من حديقة الأرم

طأطأت المنابل الرأس لسالف متلاعب

فلها اعتبار آخر في (شبوي)[1] الجدائل

ان فصل شهناز ليستقر عند مقام بوسه ليك[2]

أما في طور الصبا فالقرار عند سمت الحجاز[3]

---

[1] الشبوي: نوع من الزهور الموسمية ما زال يعرف في العراق بهذا الاسم.

[2] الشهناز والبوسليك، نغمان من أصل ستة تسمى (الأوزان الستة) وهي تنسب إلـــى شدود العود. عباس العزاوي: الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان، بغداد ١٩٥١، ص١٧ و١٠٨.

[3] مقام الصبا هو أحد الأنغام التي تتفرع منها المقامـــات العراقيـــة، وأحـــد الأنغـــام المستعملة في البلاد الشرقية، ويبدأ أداؤه من الحجاز. ينظر هاشم محمد الرجـــب: المقام العراقي، بغداد ١٩٨٣، ص١٨٩.

ذلك الكأس الذي اجترعته في مجلس: ﴿ألستُ بِرَبِّكُم﴾[1]؟ يا تقي[2]

له نشوة لا تزال تضطرم في طوايا الصدر

---

[1] الأعراف ١٧٢.

[2] اشارة إلى الآية الكريمة: (وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى).

٩- ثاقب خضر أفندي

مخلصه: ثاقب

ولد سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م

توفي سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م

ذكـر شـهاب افـق المعرفـة ثـاقب خضـر أفنـدي

كان الموما إليه الولد المؤدب المهذب للملا يعقوب الماهوني الاصـل والسننجي المولد والكركوكي المسكن. بينما كان أمثاله واقرانه لا يزالـون يتخذون من القصب أفراساً، فإنه قبل أن يتجاوز حد الطفولة وقيْد الصبـا، إذا بمظهر من الهداية الربانية ومصدر للتوفيقات الصمدانية، يبدي ميـلاً شديداً للقراءة ورغبة ملحة في طلب التعلم. وما أن بلـغ عمـره الحاديـة عشرة حتى قد أكمل ختم القرآن عظيم الشأن، وكذلك أتم- فـي الوقـت- دراسة العديد من الكتب التعليمية الخاصة بذلك الزمان. ومن ثم تحوّل إلـى تلقي الدروس في الصرف والنحو والمنطق بشغف تام ما لا كلام[1]، فـأخذ نصيبه منها كذلك. لاسيما ان نصيبه في باب فن الإنشاء، والكتابة بصـورة خاصة، قد وصل إلى حد النصاب.

بيت معناه

هل ثمة شـيء يفـوق العلـم والأدب

فهما يوصلان بالمرء إلى صدر العـزة

---

[1] كذا. المترجم.

وفي النثر عباراته فصيحة وأنيسة، ومع المعاني جليسة. وهي لدى النقاد الحريصين قرينة القبول، وبالاستحسان موصولة، وعلاوة على كونه كاتباً متميزاً.

بيت معناه

أول من قرض الشعر كان صفي الله آدم

إن الطبع الموزون يدل على الانتساب بالنبوة إلى آدم

فحسب منطوق ذلك، لما تبين ميله إلى قرض الشعر كذلك، وبمقتضى ملكة الذكاء والاستعداد الأوفي، اكتسب معرفة علم العروض كما هو، ومن جملة ابداعاته في هذا الباب انه صنف نسخة غريبة ومنظومة عجيبة هي (التحفة الشاهدية).

وكان بارعاً في النظم بالغاً درجة الكمال حتى النهاية القصوى. ولما توجه إلى بغداد دار السلام ايام دولة سليمان باشا المقتول[1] آملاً الحظوة عنده، جرى تعيينه بعنوان جراغ[2] في شعبة القلم الداخلي[3].

بيت معناه

إن اغترب المرء الكامل فلا ينقص شيء من قدره

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] أي كاتب مرشح، أو غير مثبت في وظيفته حتى تظهر كفاءته، وفي المختصر ص٢٥ أنه صار في عهد الوزير داود باشا "تحت يد كاتب الديوان، وأكثر تحريرات الدولة كان هو يكتبها، وكان مستعد (مستعداً) للإنشاء".

[3] في الأصل بالتركية (أندرون كتابتيله).

فالدرة إن غادرت الصدفة تزداد قـــــدرا

كذلك كان مستخدماً في عهد صاحب العناية ولي النعم دام مـــا دام العالم، مولانا المرتسم دوره بـــالعدل، فـــي الخدمـــة المســتلزمة الفخـــر المذكورة. وقد نظم قصيدة رائعة في وصف وزارته ومدح إدارته بعنــوان (القصيدة العيدية)[1] نقتبس منها الأبيات التالية، ومعناها:

بشرى للصائمين انه يوم بشرى

فاليوم عيد صيام والرخصة للافطـــــار

العيد ضياف لاهل النهم من بعد صوم

وقد بسطت موائد العيد والحبيب عشير

انما الآفاق والأنفس امتلأت بالأذواق

اينما تولي الوجه تجدها ملأى بالطرب.

لم ير الدهـــــر مذ كان مثل هــــذا

فهذا السرور لاصل للعيد فيه بعض الاسراف

أسائل اين مثل هذا الفرح ومثل هذا العيد

ما ذلك إلا بفضل قدوم الأمر العــــــادل

ذاك الحاكم الذي صار العالم بربيع حكمه

جنات تجــري من تحتها الانهـــــــار

---

[1] ذكر رسول حاوي الكركوكلي أن صاحب الترجمة لما مـــدح الوزيـــر داود باشـــا بقصيدته، وكان ذلك في سنة ١٢٣١هـ، خصص له الأخير راتباً شـــهرياً قـــدره ثلاثة آلاف قرش. دوحة الوزراء ص٢٧٩.

ذاك من حسن ذاته ووضع عدله وسناء دولته

زينة لأربعة أركان وسبعة أقاليم وســتة

الوزير العلامة الذي ملك المعاني طراً

لهو نقطة الفرجال لمحور هواجســــــه

وهو حضرة داود باشا والي بغداد الذي

قدره وشأنه خارج عن مقاييس الافكار

وامره نافذ في انتج المطالـــــــــــب

انما الفتح والنصر لسيفه حصيـــــد

ان مظهر ﴿إِنَّا جَعَلْنا﴾[1] يبشر بالفتح والنصر

لا عجب ان لقيت خلافته التأبيد بالتأييد

ايها المحظوظ السعيد لأنت صاحب الامر

إذ عهدك المتسم بالعدل لاعدل العهود

كذا بسطت على الأرض مائدة النعمـــــة

فأخذ منه نصيبه كل من كان حائرا

لئن توخى عيدكم ثاقب الكرم فله وجهه

فإن خلوصه وخدماته السابقة واللاحقة معلومة لديكم

ليجعل كل وقتكم عيداً وكل عيدكم سعيداً

بدوام العز والدولة واستقرار الخلــــود

طال عمركم صدق صديقكم محق عدوكم

---

[1] النمل من ٨٦.

هذه الدعوات على الخاص والعام في ترديد

كذلك كانت له القابلية وكمال التصرف والاستعداد لغاية الدرجـــة في مجال النظم والنثر الفارسي، وهذا الغزل الآخذ بالقلوب من جملة نتـاج يراعه في مجال القول المنظوم:

المعنى

يا من ترمين ســـــهام الغمز بمهارة

تصيبين مئات القلوب ولا تشـعرين بغـم

اذاً قد مررت على قتـــلاك وأنت

على هذا النحو مهفهف الذيل مخضب القدم

في عنفوان نخلة العمر لا أثر للوصل

من الاحرى لذكري جني الثمار بينهـــم

غضبت لما تطرقت لذكر الحرقة والخدود

الحر وتموز ولون الخريف وثلجي الغيـــم

جاء ثاقب البزاز يتابع صحبة الأحباب

بقصائد ذات مغزى كلها كالدر المنتظـــم

بما انه كان بمثابة الكوكب الثاقب في افق الادب، لذا فلقد اشـــتهر بمخلص ثاقب لدى توقيع اشعاره، غير انه لم يكن مغتراً بكماله وعرفانـه. بل ولربما كان نافراً من اهل الكبرياء والغرور. لين العريكة طيعاً، جبــل طبعه على التواضع، وصاحب معرفة قد اتخذ شطر البيت القائل.

العجب بالنفس دليل الحمق يـــا حبيبـــي

شعاراً لنفسه كدستور للعمل في حياته اليومية وتعامله مع النـــاس. لكن الدهر الذي دأبه تشتيت الشمل والتفرقة بين الأهل والأحباب قد جعلـه هدفاً لنشاب القضاء وأصاب منه المقتل، إذ داهمه مرض الدق[1] والعيـــاذ بالله..

بيت معناه

قال الطبيب بأسف لما وقع بصره علينا

هيهات ان داءك قد خرج عن مجال قانون الشفاء[2]

مكث فترة طريح الفراش يعاني من المرض المذكـــور. ويستمد العون من أطباء يعوزهم النطس. وفي تـــاريخ الـــف ومـــائتين وثلاثـة وثلاثين[3] اسلم الرقبة إلى مخلب الآيـــة الكريمـــة **﴿إذا جـــاء أجَلُـــهُمْ لا يَستَأخِرون ساعةً ولا يَستَقدِمون﴾**[4] طائعاً، فطار طاهر روحـــه بجنـــاح الشهادة صوب جنات النعيم. ولم يكتب لكاتب عمره في مكتب الدنيا غـــير قضاء خمس وعشرين سنة في تدوين رسالة الحياة.

بيت معناه

انمـــا الدهـــر غـــدره لكثـــــير يا ويح مـــــن يـــده مئـــة ويـــح

---

[1] كذا في الأصل، وفي المختصر "ابتلي في علة الورم".

[2] الاشارة إلى كتاب القانون لابن سينا.

[3] أولها ١١ تشرين الثاني سنة ١٨١٧م.

[4] الأعراف من ٣٤.

١٠- عبد الله آغا[١]

مخلصه: جهدي

ولد سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م

توفي سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م

ذكر دهقان المعارف غير المتناه جهدي آغا عبد الله

وهو كُرْجي الأصل وبغدادي الوطن. إنه ولد ادريس آغا من سكَنة دار السلام أيضاً. واتباعاً لشطر البيت القائل ومعناه:

يرفع العلم والأدب صاحبهما مقاما

قد اهتم بالتعلم والتحصيل، فظهرت عنده بوادر قرض الشعر بشكل فطري موهبة من الباري تعالى. وكانت باكورة اعماله الشعرية زاخرة بالمعاني والمضامين البليغة وتبشر بمستقبل باهر زاهر في الساحة الأدبية.

بيت معناه

ان ينبوع الحياة لظمآن إلى زلال الفاظه

وخطه المسلسل يتمثل به روح عماد[٢]

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وأسقط صاحب المختصر هذه الترجمة في اختصاره.

[٢] هو من أكابر الخطاطين، ويعرف بـ (مير عماد)، أصله من قزوين، ساح في بلاد عدة، وعرف بابداعه في الخط العربي، وقتل غيلة سنة ١٠٦٣هـ.

بما ان قرية (الحاج قره) التابعة إلى بغداد، تمليك لـــه، فإنــه كــان يقضي جل اوقاته في القرية المذكورة أياماً بل وحتى اشـــهراً واعوامــاً. وعلى هذا الاساس كان في تنقل دائم ما بين بغداد ومحل اقامته المذكـورة. وبما ان طريقه كان يصادف قرية شهربان في ترحاله، فقد اعتـــاد علـــى النزول ضيفاً في دار والدي الخطيب اللبيب في غدواتـــه وترحالــه. لـــذا توثقت بينهما اواصر الصداقة وتوطدت روابط المحبة، وفي خلال احـــدى المسامرات والمنادمات وجه إلى والدي المرحـــوم الخطـــاب مـــن بـــاب المساجلات الشعرية قائلاً:

بيت معناه

يا جهدي اصرف جهدك لجمع الفضة فاليوم

كن واثقاً بأن احداً لا يشتري الشعر بالشعير

إذا به يرتجل هذا الجواب الصائب في الحال:

جاهل من يأبى شراء الشعر بشعيرة واحدة

وإلا فأهل الكنوز ليشترون الشعر بالفضة

والحق ان نظمه كان مقبولاً، وبالتحسين الكامل مشـــمولاً. وهـــذه الرائعة واحدة من نتاج دوحة قلمه المثقلة بالاثمار.

ولقد كتب تنظيراً لغزل جميل متداول في الالسن يعـــود للشـــاعر المرحوم اسعد افندي[١] المدرج سيرته في أول الكتاب، نذكر منـــه هذيـــن البيتين الآتيين:

---

[١] هو اسعد أفندي الفخري وقد تقدمت ترجمته.

المعنى

ان بريق وجهك لا يوجد في البدر المنير

ورونق لعلك[1] لا يوجد في الورد الاحمر

ونمط الاختيال الذي في مائس قدك

لا يوجد في شجرة الطوبى في النعيم ولا عند العرعر

عاش ثلاثاً وستين سنة في فيافي الحيـــاة، حتـــى جـــاءت ســـيول الممات في عام الف ومائتين وثلاثة عشر[2]، فجرفته امامها. بيت معناه:

ان مجلس العالم هذا المتصف بالإنصاف

لا تساوى افراح وصله، احزان وداعه

ان اللهاث وراء مطالب الدنيا لا يليق

لا بأمنيات الناس ولا باقتناع الفلك

---

[1] اللعل: من الأحجار الكريمة، أحمر اللون، اعتاد الشعراء العثمانيون على التشبيه به عند وصفهم جمال المحبوب.

[2] أولها ١٥ حزيران ١٧٩٨م.

١١- ابو بكر أفندي[١]

مخلصه: حَسْبي

ولد سنة ١١٥١هـ/١٧٣٨م

توفي سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م

ذكر المُلِم بدقائق المعارف والأدب، أبو بكر أفندي الحَسْبي

ان الموما إليه هو الولد صاحب المعرفة ليونس أفندي الموصلي الأصل والوطن. اشتاقت نفسه إلى التنور بأنوار بدر العلوم، فلم يذهب جهده الجهيد واهتمامه الشديد في هذا الباب هباء، فاكتسب درجة العالم في المواد العلمية المعتمدة في زمانه كافة.

بيت معناه

قد صار قدوة ممتازة لارباب الكمال

---

[١] أسقط صاحب المختصر هذه الترجمة من اختصاره. وترجم له محمد أمين العمري في ضمن ترجمة ابيه يونس كاتب الديوان، مما يفهم منه أنه ولد قبيل منتصف القرن الثاني عشر للهجرة بقليل، وأنه تولى منصبه، كاتباً للديوان، في عهد والي الموصل سليمان باشا الجليلي (تولى مرات عدة منها من سنة ١١٩٢ إلى ١١٩٧هـ/١٧٧٨-١٧٨٢م، وهي المقصودة) وفي عهد محمد باشا الجليلي (نائباً عن والي بغداد سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م) فقال "وأما الأريب نجله أبو بكر فنجيب بن نجيب، أخلاقه الحلم والعلم، وبث الفضل، ونشر العلم، ونفع الخاصة والعامة.. وعمره الآن (١٢٠١هـ/١٧٨٦م) قد جاوز خمسين بيسير، وهو الآن أحد أركان الدولة السليمانية، وأصف الحضرة المحمدية" (منهل الأولياء ج١ ص٣٠١).

وانطبع اسمه في الواح قلوب فضلاء العالمين

كان زبدة العلم والافضال والأدب، ولا يوجد أي قصور في كماله ولا قدر شعرة.

وكانت افضال فضله العلمي والادبي هي قرض الشعر باللغتين العربية والتركية. ولأجل اثبات المدعى، اخترنا بعض الابيات نموذجاً من احدى قصائده بالعربية:

وعلمت فوق هامات الرحال الاغرة ولي شرف عال وفي الشمس اسوتي

لئن اشمت الحساد صرفي ورحلتي فما صرفوا فضلي وما ارتحل المجد[1]

هموم وافراح وحط ورحلة وعسر وايسار وعز وذلة

سموت على الجوزاء فضلاً وهمتي

ورد واقبال وكسر ونصرة مقام وترحال وقبض وبسطة

كذا عادة الدنيا واخلاقها النكد

وباللسان التركي أيضاً، جاءت مضامين روائعه المنظومة نموذجاً لرواج اللطافة في سوق الظرافة. وبناء على انغماسه في اعمال البر ومساعية وراء فعل الخير حسبة لله، فلقد ذاع صيت مخلصه بـ(حَسْبي). واخترنا هذا البيت المفرد من احدى غزلياته كنموذج:

بيت معناه

جاء في المثل:

---

[1] في النص: لان أشمت. المترجم.

لا ينقص الوجه الحسن تجميل الماشطة

وهل ان ضوء الشمس خاف على معشر العميان؟

للمرحوم حامي افندي الآمدي[1] قطعة بديعة يقول في أحد أبياتها ما معناه:

هيا واخرج من طوب قبو ويمّم نحو حي الوفاء

وانزل إلى جاتلادي باب مروراً بشارع الديوان

فلقد قام شاعرنا المرحوم حسبي بتنظير البيت المفرد هذا على النحو الآتي:

علماً ان طوب قبو اسم لاحدى بوابات المدينة في استانبول ويؤدي إلى الطريق المعروف باسم حي الوفاء. كذلك جاتلادي باب اسم لبوابة اخرى يقصدها المارة عن طريق الديوان[2]

بيت معناه

اجل النظر في الحاجبين واقبل صدرها الصافي

انزل إلى منجم اللجين عن سبيل المحراب

فهذا المفرد قد جاء متضمناً حسن الاداء ويستجمع التناسب وحصر الفكات كما هو بين لدى مرتادي طريق الفنون الأدبية:

---

[1] من متأخري الشعراء العثمانيين، أصله من آمد (ديار بكر)، وعين كاتباً في ديوان بعض الوزراء، توفي سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

[2] حسب التعريف هذا، يصل المرء على امتداد الطريق إلى جامع بايزيد، وقبالته فندق مرمرة المعروف بفندق العراقيين. المترجم.

اشغل منصب كتخدا[1] لوالي الموصل مع انه كان متاحاً له التمتـع بالامتيازات التي يوفرها له المنصب المذكور على اوسع المدى، إلا انـــه كان مجبولاً على العيش عيشة الزهد والتقوى، ومجبوراً على حياة الكفاف والجفاف بمقتضى طبعه الخاص.

بيت فارسي معناه

عطف النظر بالزهاد لا يتنافى مع عزه الاعظم

ان سليمان مع كل ذلك الاحتشام كان يراعي الديدان

بلغ عمره السعيد المرور أربعاً وستين سنة في الارجاء الاربعـــة للحياة. وفي عام الف ومائتين وخمسة عشر[2] صار معـــزولاً وإلـــى دار النعيم موصولاً.

---

[1] الكتخدا، كلمة فارسية الأصل، مركبة من مقطعين (كد: دار، وخدا: رب) فيكـــون معناها الحرفي، رب الدار، أو القائم بالأمر، مثل العمدة والحـــاكم والـــزوج، ثـــم استخدمها العثمانيون في نظمهم الإدارية، حتى استقرت في القرن الثـــاني عشـــر (١٨م) لتطلق على معاون الوالي ومساعده والمرشح لتولي الحكم من بعده. ينظـــر السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، تعليق المحقق ص٥٨.

[2] أولها ٢٥ أيار ١٨٠٠م.

١٢- رسول افندي الكركوكي[١]

مخلصه: الحاوي

تاريخ مولده غير محدد

توفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م

ذكر حاوي الآداب والمعارف رسول افندي الحاوي

هو ابن الملا يعقوب الكركوكي والشقيق الأكبر للمرحوم ثاقب خضر أفندي المار الذكر في الفصل السابق[٢]. فكلاهما قد رفعا الرأس من شجرة طيبة واحدة.

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له. وفي المختصر إضافة مفادها أنه توفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م، وذكر موسى كاظم نورس أنه توفي سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م، وهو خطأ. وذكر عبد الرحمن حلمي العباسي السهروردي (المتوفى سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) بيتاً في بغداد سماه "بيت الحاج رسول أفندي" (كتابه الذي حققناه ونشرناه باسم تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بغداد ١٩٩٧، ص ١٠٩-١١٠) والراجح أنه يعني بيت رسول حاوي الكركوكلي، وقد وصفه بأنه "من أشرف رجال الدولة، بيت صلاح وديانة، والحاج رسول أفندي رجل صالح له إلمام في الفقه، ويحفظ الشعر وشيئاً من الأدب، ويحفظ [شيئاً] من الحديث الشريف، ولديه كتب نفيسة، وهو من أكثر جماعة الدولة حباً إلينا، وأكثرهم زيارة وتردداً على مجلسنا.." وتنظر إيلاف عاصم مصطفى: رسول حاوي الكركوكلي، سيرته ومنهجه التاريخي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، مقدمة إلى قسم التاريخ، بكلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، باشرافنا، أيلول ٢٠٠١م.

[٢] الترجمة ٩.

بيت معناه

احدهما بدر برج العرفان والآخر شمس الكمال

فاقتبس النور من آثار أي واحد منهما شئت

بذل في سوق صنعة النظم والانشاء كل ما في كيس المقدور من المال، وآثر صرف نقود الاهتمام غير المحدود، فبتوفيق الباري- نِعم الرفيق- تمكّن ذهنه الوقاد من الولوج في حريم ذلك القصر المنيف، غير القابل للتعريف، واستطلع منجزات المتقدمين في الساحة الأدبية، واكتسب الفنون البلاغية والمعانية والنكات، وضرب بسهم وافر في مجال المضامين والكتابات. وللبيان.

بيت معناه

لا تتمخض الشمس عن مثلك ثانية

فعروس الفلك انقطعت عن الانجاب وصارت عتيا

في ايام وزارة المرحوم علي باشا المقتول[1]، حل في بغداد[2]. وفي أمد يسير انكشفت مواهبه العلمية والثقافية على أهل التقدير من

---

[1] هو والي بغداد من أوائل ذي الحجة ١١٧٥ إلى أواسط السنة نفسها، سمي مقتولاً لأنه لقي مصرعه اغتيالاً على يد معاونيه من المماليك، وقد دفن في (المدرسة العلية) التي أمر بإنشائها على شاطئ دجلة، وهي التي تشغلها اليوم مؤسسة بيت الحكمة.

[2] في المختصر (ص٢٥) "هاجر من كركوك إلى بغداد في تاريخ سنة ١٢٢٠.. وكان مستولياً عليه العجب" وهذه الإضافة لا وجود لها في الأصل. وقد علق موسى كاظم نورس على هذا بقوله "وأنا لا أميل إلى القول بأن المؤلف رحمه الله كان معجباً بنفسه، لأن آثاره تدل على أنه كان من أكابر الكتاب والأدباء الفضلاء في ذلك الوقت" (مقدمته لكتاب دوحة الوزراء ص١٠).

الأصحاب ومحترفي الآداب، أي زمرة أولي الألباب، حتى اوصلوا أمـــره إلى مسامع حضرة الوزير معددين له درجته العلميـــة وقدرتـــه الأدبيـــة، فتمكنوا من اثارة عواطفه السامية نحوه. فقد تمخضــــت وســاطتهم عـــن سطوع ضوئه الأصفي على صحراء الوضوح فجرى تعيينه بدرجة كـــاتب موظف في المصرفخانة التي هي مرجع العارفين ومجمع الكاملين.

بيت فارسي معناه

بوجوده صارت الكتابة عالية الجبين

تيقن العالم بأســـــــره بذلك كل اليقين

ان محافظ بغداد والبصرة وشهرزور حالياً[1]، وصاحب المراحـــم الموفورة، والمتربع على وسادة الخلافة وشاغل دست الحكم في الديـــوان الوزاري، حضرة مولانا ولي النعم دام ما دام العـــالم، قـــد كلفـــه تجمـــع وتدوين كافة الأحداث والوقائع التاريخية الجارية منذ أيـــام والـــي بغـــداد الأسبق المرحوم حسن باشا[2] وحتى يومنا الراهن[3]، فقام بانجـــاز هـــذه المهمة الصعبة على أتم وجه وأكمله على هيأة مجلدين اثنيـــن[4]، جمـــع

---

[1] يريد الوزير داود باشا.

[2] والي بغداد من ١١١٦ إلى ١١٣٦هـ/ ١٧٠٣- ١٧٢٢م.

[3] تنتهي حوادث الجزء المطبوع بسنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م.

[4] هو كتاب (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء) طبع الجـــزء الأول فـــي بغداد، على ما سيذكر المؤلف بعد قليل، ثم نقله إلى العربية المرحوم موسى كـــاظم نورس (بيروت، ١٩٦٣ص٣١٢)، أما الجزء الثاني فقد فقد، بـــل ظـــن الإســـتاذ نورس أنه لم يؤلفه أصلاً، ثم أعلن الشيخ محمد علي القره داغـــي عـــن وجـــود-

فيهما الأحداث كما هي الواقع منقوشة على الواح القراطيـــس بحيــث ان سلاسل سطورها لتأسر جدائل الحور المسلسلة في مشط الحيرة. ونقاطـــها السود قد اوقعت الغلمان والولدان في شباك الحسرة. وعلي الخصـوص ان عرائس المعنى والكنايات الكامنة في عباراته لحرية أن تتخذ نماذج مــــن قبل فحول البلغاء وكذلك عناوين مقاولاته لجديرة بالنسج على منوالها مــن قبل رجال الفصاحة.

بيت فارسي معناه

إن جمال الحبيب لغني عن هيامنا الناقص

وما حاجة الوجه الجميل إلى التزيين والتجميل

والخلاصة، بما ان المصنف المذكور كـــان حـــافلاً بالتصنعـــات الأدبية المختلفة، ومزداناً بالمضامين السامية الآخذة بالألباب، فلقـــد جـــاء موافقاً لمزاج حضرة ولي النعم ومطابقاً لطبعه وحظي بـــالقبول والتقديـــر في نظره. ولغرض جمع المحاصيل من باكورة ريـــاض الآثـــار وجنـــي الثمار الناضجة من دوحة الأخبار الماضية من اكـبر قـــدر ممكـــن مـــن القراء، أمر سيادته بطبع مقدار الف نسخة منه في أقـــرب يـــوم ممكـــن، فجرى البحث عن استاذ خبير في شؤون الطباعة في الحـــال حتـــى تـــم

–نسخة في كتب دار صدام للمخطوطات سنة ٢٠٠١م (بشرى العثور على الجـزء الثاني من كتاب دوحة الوزراء، بحث غير مطبوع، أطلعني عليه مشكوراً)، وهـو يبتدئ بذكر بقايا وقائع سنة ١٢٣٧ وينتهي بحوادث سنة ١٢٤١هـ.

العثور عليه[1]. وتم الاتفاق معه على انجاز طبع الكتاب المذكور لقاء أجر قدره ثمانون الف آقجة[2] نقد إليه بالتمام بالاضافة إلى هدايا بلا حساب. ان القطعة المدرجة أدناه لشاهد على ما حظي السفر التاريخي المذكور من الاستحسان والتقدير لدى ارباب العلم:

بيتان معناهما

ان لفظه لبديع ومليء بالمعاني ومحتواه لغني عن البيان
بباكورة معانيه لجميلة وتعابيره اللطيفة بلا مثيل[3]

وهو يعرف بمدون الوقائع لقباً له لاهتمامه بالتاريخ، كما يحمل مخلص الحاوي في الساحة الأدبية، ويخدم بوظيفة كتابية في دائرة المصرفخانة حالياً، ليس له ما بين الأماثل والاقران من مثيل أو عديل،

---

(1) هو محمد باقر التفليسي كما دون اسمه في آخر النسخة التي طبعها من دوحة الوزراء للكركوكلي.

(2) الآقجة: الدرهم العثماني، وهو وحدة النقد الرئيسة قبل عهد الاصلاحات، سمى كذلك لبياضه بسبب ارتفاع نسبة الفضة في عياره .

(3) هذا من وجهة نظر الشاعر أو المؤلف طبعاً، وإلا فالاستاذ موسى كاظم نورس قد اشتكى مر الشكوى في مقدمته لترجمة الكتاب المذكور إلى العربية، فقال "إن المؤلف رحمه الله قد دون كتابه بلغة لا هي عربية ولا هي تركية ولا هي فارسية، وإنما هي خليط عجيب من اللغات الثلاث.. وكثيراً ما يخرج باسلوبه من الأسلوب التاريخي إلى الأسلوب الأدبي السائد حينذاك، بالإضافة إلى وضعه بعض العبارات العربية أو الفارسية في غير مواضعها..".

واسلوبه الحلو في الكتابة يغار منه سكر اصفهان، وجمال تعبيره يبعث الخجل في اوجه الحسان. لاسيما ان سلامة اسلوبه يسخّر قلوب اهل الكمال كالسحر الحلال.

بيت معناه

لا تلهج بالكلام بلسان التفاخر

ولا تصعد إلى سطح الدار بسلم مهدم

فبموجب المقولة هذه، مع انه من المحال الوصول إلى اوصاف الذروة ممتنعة الوصول[1]

بيت معناه

لو لم يكن للموائد آثار سواقطها لما ظفرت للذة المعنى سبيلاً لواقطها

فمن لسانه عذب البيان تقاطرت القصائد الغراء العديدة باللغتين التركية والفارسية التي استمتع ارباب الأدب بمطالعتها وحلاوتها. ولقد رأينا من الصواب درج البعض منها في هذه العجالة، ومع انها من حيث الكم تفوق الكواكب عدداً، إلا ان القصيدة الآتية التي قالها في مدح حضرة ولي النعم تفوقها جميعاً من حيث البلاغة والفصاحة، آثرنا تقديمها في هذا السياق:

---

[1] أي الكمال المطلق.

النص التركي ومعناه

لوجهه اقول انه لقمر بعضاً واقول انه لشمس ساطعة بعضاً آخر

واحياناً اخرى ارجع واقول بلطف انه لورد متفتح باسم

لجبينه البراق اقول احياناً انه لوهج التحـــــلي

وارجع احياناً فأقول انه لمعان انوار الايمان

لحاجبيه اقول احياناً أنه هلال وحيناً آخر اقول انه لقوس قزح

وبعض الاحيان اقول انه هلال واحياناً اشبهه بالصارم

الشعر الخفيف في وجهه لباكورة رياض الجمال

اشبهه حيناً بالنبل وحيناً بالبنفسج وحيناً آخر بالريحان

خاله شبهته بالحبة السوداء حيناً وبالسند حيناً آخر

واعتبرته بؤبؤ العين حيناً ونقطة الروح حيناً آخر

في توصيف حلاوة نطقه الكامنة في شهد لعله

كلامه العذب اعتبره مخزناً للســــــكر

لاسيما ان جاء الحديث في مدح السيد الأصفي

فكل كلمة من اقواله اعتبرها درة مستديرة

واي أصف هذا.. ان وقع الاستفسار مني

فاقول انه حضرة داود باشا الشاه ذو الشأن

وهو والي الزوراء والخديو في حديقة دار السلام

واقول انه ظل الله فوق ســــكان العراق

وجوده العالي جسم حيناً وروح حيناً آخر

هذا وانني لأعده انساناً بعينه وانسان العين معاً

ان هيأته الوقورة فوق صـــــهوة جواده

لأسمينها الشمس المضيئة وهي في برج الاسد

وهو دائب على احياء قتلى العوز والفاقة

للطفه أسميه روحاً بل كأنه عيسى الدهـــــر

لما يدور الحديث حول بحوث العلم والعرفان والكمال

اعتبره قدوة يحتذى به من قبل كتاب العصـــــر

ما ابن سينا بالقياس إلى فضله إلاّ تلميذاً مبتدئاً

ولربما عد افلاطون طالباً يافعاً في المدرســـــة

اطال الله في عمره، ودحر عدوه وقهــــره

تلك هي دعوتي ليلاً ونهاراً دائماً وابداً سراً وجهاراً

كذلك كان استاذاً في تاريخ المناسبات والأحداث وانشاء المبـــاني والعمارات وما إليها. ومن جملة اعماله الشـــعرية التاريخيـــة فـــي هـــذا المجال، ما جاء به يراعه بمناسبة تشييد قاعة المرايا فـــي داخـــل القلعـــة والمعروفة باسم (كلاه فرنكي)[1] في وسط حديقة ســـمتها الغـــالبة كونـــها

---

[1] كلاه، لفظة فارسية بمعنى: قبعة، تاج، عمامة، وربما كانت مجزوءة مـــن (كـــلاه دار) أي: الملك. ومن الراجح أن تكون هذه القاعة في سراي بغداد نفســـه، وهـــذا السراي هو الذي أشغلته فيما بعد مديرية الشـــرطة العامـــة، ومديريـــة شـــرطة الرصافة، حيناً من الدهر.

مزججة بالمرايا على نسق مرآة الاسكندر[1] ونسج جام جم[2]. وفي أدناه أبيات مع التاريخ الوارد في الأخير منها:

المعنى

تعالى الله يا لها من غرفة طريفة رفيعة منسقة

ويا له من قصر مشيد ويا له من صرح يسر القلوب

يهب من كل شباك فيه نسيم فيض روحاني

منتزه ليبدو من كل منظر فيه نوع من الرياض

نقوشه في الحسن تبعث الحسرة في قلب ماني وبهزاد معاً[3]

وفي علو القدر ليكسر شموخ طاق كسرى

جدير أن تكون له جدائل الحور مكنسة

إذ ان بانيه وشاغله هو حضرة داود باشا

ذلك المعمار المشيد لبنيان المكارم شاهق الرواق

هو اليوم مستو على بساط الحكم في قصر الزوراء

خلّد المولى قصراً عمّره واقباله

فظل حكمه العادل شامل جميع البرايا

---

[1] يريد مرآة منارة الاسكندرية التي بناها بطلميوس سوتر، وكانت تهدي السفن من مسافات بعيدة، وتعد من عجائب الدنيا السبع..

[2] أي كأس جم، وتكررت الإشارة إلى الأخير فيما تقدم من قصائد.

[3] ماني: مؤسس مذهب المانوية، كان رساماً بارعاً أدخل على التصوير الفارسي الأسلوب الصيني، أعدم سنة ٢٧٧م. وبهزاد: رسام شهير تقدم التعريف به.

لما وقع بصر (الحاوي) المتوله عليه، أرخه نظماً:

مبارك.. فياله من صرح حديث الطراز ذي بهجة وسناء[1]

وبما أن القطعة الغزلية ادناه قد جرى تنظيرها من قبـل الشـاعر المفتي فسوف نقدمها في الفصل الخاص به. أما انا فلم تسـنح الفرصة لتنظيرها بسبب انشغالي بتأليف الكتاب هذا الذي بين يدي القارئ الكريم.

هاهي القطعة الغزلية المذكورة:

الترجمة العربية:

بجانب خدك وخطك من ذا الذي يلتفت إلى الورد أو الريحان.

وبجانب قدك المياس من ذا الذي يلتفت إلى السر وفي البستان

من ذا الذي يميل دونـك دونك إلى الجنان

من ذا الذي أيها الورد العبق يلتفت دونك إلى البسـتان

من الذي يرغب في الشهد والسكر ازاء قند ثغرك؟

أو من ينظر إلى الوردة في اكمامها ازاء فمك الباسـم

في مجلس تتوهج فيه شـمعة خدك

من الذي يرغب في القمر المنير أو الشمعة المضيئة في المشكاة

لئن تطلعي على الناس في الجنان يوماً

من الذي يظل راغباً في الحور ومن يرغب في الغلمان

ان تطلبي الروح لقاء طبع قبلة على خدك

---

[1] العبارة بالتركية (مبارك أوله كيم صرح عجب طرح مجلادر)، ومجمـوع أقيـام ألفاظها بحساب الجـمل١٢٠٣ .

من الذي يستأثر بالروح في هذه الصفقة اينها الفاتنة

إذا ما لهج يراع الحاوي بالنطـــــــــــق

من يستمع إلى الحان العندل بله الببغاء

ان يرغب المفتي في تنظير نظمي هذا

ذلك امر سديد.. وإلا من يأبه بغيره من الخلان

لا بأس ان ضارعه (الخطيبي) أو (الدبير)[1]

وإلا فلا عبرة لاقوال ارباب السفاسف من الشعراء

لقد اجرى تخميساً لاحدى غزليات مولانا الشـــيخ خـــالد[2] مـــن رؤساء طريقة النقشبندية، وباللغة الفارسية، ننقل منها الأبيات التالية:

الترجمة العربية:

هدمت من الاساس مسكني هذا المخرب

---

[1] يشير إلى الشاعر محمد المتخلص بدبير، المترجم له تحت الرقم ٢٠.

[2] هو الشيخ خالد بن حسين الشهرزوري، مجدد الطريقة النقشبندية في العراق، ولـــد في قره طاغ من بلاد شهرزور نحو سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م، وهاجر الى بغـــداد صبياً، وفيها أخذ العلم على مشايخها، ثم سافر الى الـــهند حيـــث أخـــذ الطريقـــة النقشبندية في دهلي، وعند عودته نشر هذه الطريقة وجددها، وصار لــــه خلفـــاء كثيرون في مناطق مختلفة، وألف عدداً من المؤلفات فـــي العقـــائد والأدب، ولـــه ديوان شعر فارسي. وتوفي في دمشق سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م. ينظر عثمان بـــن سند: أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد، القاهرة ١٣١٣هـ، والزركلي: الأعلام ج٢ ص٣٣٤ وفيه بعض مصادر ترجمته.

بيد حبك انت اسلمت عشي الغزير للرياح

من نقوش العالمين غيرك مسحت جدار منزلي

بمعمار لوعتك بنيت مجدداً مأواى المتهدم

بذكراك انت حولت حانتي إلى الكعبة في عاقبة الامر

ان المريض كل من جاء يريد معالجتي

صار امري اشد سوءاً مائـــــة مـــــرة

لم يحصل لدي أي برء من كل سعي واجتهاد

فقد آيس اطباء العالم من شفائي في النهاية

تداويت بالداء طلباً للعلاج لقلبي المجنون

في هواكم يعلو نحيبي مثل الحان الناي الحزين

غير خاف عليك ما اعاني من الضعف والوهن

صار الجميع على بينة مما أصابني من الباس

بالتوله في حبكم ساءت سمعتي لدى الناس

بأذني سمعت التقولات عني في كل جانب

ليس ثمة مثلي في فناء الوجود بحاسد

كل الناس في نظري ما بين حاقد ووالد

لئن كنت مثل حاوي لا اعرف شيئاً عن الطارف والتالد

مستغرق على عجزي في النعم الخالدة من الرأس إلى القدم

ليت شعري كيف اتمكن من اداء الشكران الواجب لقاء ذلك[1]

---

[1] تلميح إلى ما اغدق عليه داود باشا من المكارم والاحسان.

١٣- حسن أفندي[1]

مخلصه: حُسْني

مولده غير محدد

توفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م

ذكر رونق حُسن المعرفة حُسني الحاج حسن أفندي

ان الموما إليه هو ولد حسبي أبو بكر أفندي السابق الذكر. ظهر نبوغه مبكراً في الساحة الأدبية بتوفيق رب العزة، فصار يصول ويجول يميناً وشمالاً في رياض المعارف والأدب، ويجني من ثمارها ويقطف ويتنعم مصداقاً للمقولة القائلة: من يشابه أباه فما ظلم، فإنه قد أبرز استعداداً وقابلية ملحوظين في النظم والنثر باللغتين العربية والتركية مثل والده. وكان رجلاً متميزاً كاملاً وذا اقتدار ومُكنة في مجال هوايته الأدبية.

بيت شعر معناه

إنما عروس فكره تلك الباكر التي من فرط عصمتها

لا يستأهل العقل ان يكون عريساً لها.

استوطن في بغداد بعد ان تزوج بها، في أيام احمد باشا المدرجة سيرته الأدبية في فصل حرف الألف[2]، وارتقى إلى درجة رئيس

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة مختصرة في المختصر ص٥١.

[2] الترجمة ٢.

البوابين[1] لدى انتهاء خدمته، فظل ماكثاً فيها. وكان مخلصـــه الشـــعري (حسني) بالتوافق مع اسمه. كما كان نفسه متخلقاً بالخلق الحسن، وســـالكاً مسلك السخاء، غير أن نجمه كان نازلاً في برج النحس.

لذا فأنه قال في بيان سوء حالته الصحية:

شعر معناه

ليس عندي من الذهب والفضة شروى نقير
فقد بات أمري متوقفاً على همة الطالع النكد.

والخلاصة ان سوء حال معيشته كان ملازماً له دوماً.

بيتان بالعربية:

سكن السما الســـماكان كلاهمـــا وهذا لـــه رمـــح وهـــذا أعـــزل
لا تطلبن بغير حـــظ رتبـــــة قلم البليغ بغـــير حـــظ مغـــزل

ولشدة ما كان يعانيه من سوء الطالع وفقر الحال، صار متضجـــراً من العيش والسكنى في بغداد، فأنشد قائلاً في عام ألف ومـــائتين وثمانيـــة وعشرين[2] بالحرف الواحد:

فيم الإقامة في الزوراء لا ســـكني بها ولا ناقتـــي فيها ولا جمـــــلي

---

[1] في الأصل، والمختصر (قبو جيلر كهيه سي).

[2] وأولها ٤ كانون الثاني سنة ١٨١٣م.

فخرج سائحاً يطوف خارج العراق، حيث زار في آخر المطـــاف مدينتي استانبول ومصر القاهرة ثم قفل عائداً إلى حيث خرج.

وهو يردد في نفسه بالنص العربي:

بلادي وإن جارت علي عزيزة

فقد انشد القطعة الغزلية هذه لما حمل عصا الترحال:

شعر معناه

إنما صدري قد صار محطاً للهم والمحن

لئن اخلص من المأزق هذه فتلك دولة عظمى

لا طمأنينة لقلبي المكلوم في داخل صدري

على هذا الأساس، ان فعلي تأوه وتحسر في كل لحظة.

لن اكشف مرضي المكتوم إلى طبيب الدهر

إذ كل ما يقدمه من الدواء والجرعات كلها تمنن

ما جدوى صحن الرياض ان كان القلب ملؤه الأسى والألم

ان كان المرء ناعم البال، فحتى الجحيم نعيم

فكل من كاشفته عن مكنون الحال يا حسني

قد أجابوا بالإجماع: علاجك في طلب الاغتراب

وفي عام ألف ومائتين واثنين وأربعين[1] تم إبعاده إلى قرية خورماتو[2] من توابع بغداد، بموجب فرمان مطاع صادر من ديوان حضرة ولي النعم، وذلك بناء على مقتضيات المصلحة العامة. بعد مرور شهر واحد على ذلك، لما ورد مقرر الفرامين العالية الشأن من جانب الدولة الأبدية الدوام إلى مقام الولاية السنية فلقد نظم الموما إليه قصيدة باللغة العربية في هذا السياق وقدمها إلى سدة الوزارة في بغداد من حيث هو مقيم فيها، فاقترن ذلك بمضمون القول الشريف القائل: (عفا الله عما سلف) واصدر الوزير أمراً بخصوص الصفح الجميل عنه وإنقاذه من براثن الغربة[3]، واليك بعض الأبيات من القصيدة المذكورة:

تعالوا الى مستنقع الموت وابصروا ... معارك داود الوزير الغضنفر

ألم تعلموا سيفي إذا صلى راكعاً ... دحاكم سجوداً والرؤوس تكرر

فلما دركت القبل ناديت ارخوا ... على كبد حادي أتانا المقرر[4]

---

(1) ويوافق أولها ٥ آب سنة ١٨٢٧م.

(2) كذا ذكرها المؤلف، وفي المختصر (دوز خرماتو) فهو يقصد إذن (طوز خرماتو) البلدة الواقعة على نهر العظيم، بين الخالص وداقوق.

(3) في المختصر "وقدم بغداد فبتاريخ سنة ١٢٤٦ توفي في الطاعون رحمه الله تعالى".

(4) الفرمان هو ما يصدر عن السلطان فحسب، أما أوامر الولاة فتعرف بلفظ (بيور اولدي) وهو مصطلح تركي بمعنى (تفضل بـ) ويبدو من سياق الكلام بان (مقرر الفرامين) مصطلح من قبيل التأييد والتصديق من قبل الباب العالي على الأوامر الوزارية الصادرة في مراكز الولايات من قبل الوالي المسؤول فيها.

١٤- السيد محمد حلمي أفندي

مخلصه: حلمي

ولد سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٦م

توفي سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٦م

ذكر زبدة الكمال والآداب، حلمي السيد محمد أفندي صاحب المعرفة

إن الموما إليه هو ابن السيد احمد أفندي الآتي الذكر، فقد لهج قائلاً:

الموت أولى بالمرء إن كان جاهلا

لذا فقد الزم نفسه بتحصيل العلوم والمعارف بأنواعها والآداب والأعراف بأشكالها. وحسب المثل القائل: إذا أراد الله بعبد خيراً هيأ له أسبابه، فإنه حظي بالتوفيق المعنوي الإلهي وجاءه المدد بأقليد الفيض اللامتناهي، إذ فتحت أمامه خزائن المعالي على مصاريعها وطبقت شهرته الآفاق في مجال المعرفة والأدب. ولئن وقع أسيراً في يد المرض والعوز معاً لفترة من الزمن، فإنه كافح واصطبر وتجلد، عسى ان يمن عليه الباري بلطفه وكرمه. وسرعان ما صدق ظنه وتحقق أمله، إذ أنجاه الله من ربقة الفاقة والضنك بعد فترة وجيزة، فتم تعيينه في المصرفخانة العامرة بدرجة كاتب، حيث تيسر له الحصول على العز والشأن.

بيت معناه

لا يفسح الدهر المجال لاي شخص لكي نفسه

ما لم يشدد عليه في مضغط البلاء

لقد اكتسب الخبرة والمهارة يوماً فيوماً فازداد قدراً وعزاً. مــارس الخدمة تحت إمرة قرة عين حضرة ولي النعم[1]، مولانا طورسون يوسـف بيك[2]. ولما انتقل هذا إلى السكنى في جوار الحور والغلمان، تحول هــذه المرة للعمل تحت إدارة مولانا حسن بيك[3] نور بصر حضرة الوزيــر[4]، والثمرة اليانعة لشجرة المعالي، بوظيفة كتابية كذلك، فنال مــا نــال مــن الأماني والآمال، وتحقق له كل ما في البال.

بيت فارسي معناه:

لا تشك من المحن فليس مــن طــالب

نــال الراحــة إلا مــن بعــد مشــاق

والحاصل ان ما في نظمه ونثره من فــن التــأثير مــا للخمــرة الصافية، تورث النشوة والصفاء في قلوب أرباب الأدب، من صراحيــة[5] طبعة اللطيف قد انسكب هذا الغزل المنيف إلى قدح التحرير:

---

[1] يريد: ابنه.

[2] ولد سنة ١٢٢٨هــ/١٨١٣م لأنه ختن في سنة ١٢٣٥هــ/١٨١٠م وكان قــد بلــغ السابعة من عمره. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢٣٩.

[3] ولد في سنة ١٢٣٨هــ/١٨٢٣م على ما سيذكر ذلك المؤلف في قصيدة لــــه فـــي التهنئة بولادته.

[4] يريد: ابنه أيضاً.

[5] هو الدورق الزجاجي المستعمل لحفظ الماء عند البغداديين، واللفــظ مــن العــامي الفصيح، فهو مأخوذ من الصرح، وهي الارض المملسة المســتوية، ســموه بــها لصقالة جدرانه. ويقابل في الانكليزية Jug.

شعر معناه

قد حلق اللحية ونور الخد فأتى

وقد فتح بلاد الحسن الرومية بالنضال فأتى

أرخى على الخل جدائل السالف المحلق

ونصب شباك التزويد للعشاق فأتى

أسال ماء العذار على الذقن من لعله[1]

وقد خمر تفاحته بماء الورد والقند فأتى

بشعر ذهبي مجدول في لوح وجهه البراق

قد فسر آية الحسن بالخط الريحاني فأتى

كيف لا ينفث لسان العلم بالعنبر يا (حلمي)

فانه قد حرر خط الإجازة بتعبير خلو فأتى

كذلك هذا الفقير، العديم الأوراق والثمار، المحروم من تذوق للمعاني، واللاهج بمواد بلا مل، والمحتاج إلى مواساة أهل الكمال، قد قمت أيضاً من جانبي بنظم قطعة غزلية، كماسبق وان ذكرنا في سياق الكلام في موضوع تعداد مفاخر حضرة ولي النعم[2]. انه قد نظم قطعة رائعة تنظيراً لغزل المرحوم راغب باشا وهاهي:

---

[1] اللعل: حجر ثمين.

[2] ضربنا صفحاً عن ترجمة هذه القصيدة لتفاهة معانيها مع ما يصيبها من خلل حين نقلها إلى العربية.

شعر[1]

ولأجل تبيان جمال النظائر المذكورة، قام الفقير مؤلــف الكتــاب هذا، بنظم نظيره عملاً بالأمثولة القائلة (وبضدها تتميز الأشياء)، باعتبــار ان هذه تتميز بالفجاجة والعوج وهي تنتمي إلى لغو الكلام ولا محل لــــها في الاعراب كالجملة المعترضة.

وبما انه كان طويل الباع في مجال النظم الفارسي كذلــك، فلــه قصائد عديدة في ذلك اللسان، وهي عذبة البيان ولقد اكتفينا بدرج الغـــزل الآتي في هذا السياق:

غزل فارسي

الترجمة العربية:

لــولا الجدائــل المتعقــدة تلـــــك	لما غرق فؤادي المشتت في الـــــهم
لقد بلغت حــداً مـــــن نـــار حبــها	بحيث لا تكفي الدجلة لترطيب فمـي
كيف يتحمل المرء حبــة خالهــــا	إلا إذا كان من غير جنس الآدمــــي
فليبق جرح ســهمها فاغــراً لفـــم	إذا لم ينله الدواء من لعـــل لماهــا
إنما ثمار شفاه (حلمي) سر غيــــب	فلا يسوغ لكل شـــخص أن يراهــا

بالإضافة إلى هاتين المهارتين فانه كان صاحب مـــهارة وبراعــة في صنعة المعميات لدرجة فاقت الغاية والنهاية.

---

[1] ضربنا صفحاً عن ترجمته للأسباب نفسها.

من هذه الجملة البيت المفرد هذا المتضمن اسم صاحب المرحمة مولى النعم بشكل لغز عميم المعاني قد بلغ عن براعة البديع البيان وذاع في أفواه الأيام:

بيت معناه

يسجل الفلك اسمه على ناصية حاله

لكي تنقاد لأمره الجهات الست والأقاليم الأربعة[1]

وبناءً على الطلب الواقع من الفقير هذا، قام الموما إليه بتدبيج القطعة الغزلية التالية المتكونة من سبعة أبيات، كلغز يتضمن أبياته كافة اسم علي:

الترجمة العربية:

للشمس والقمر وهب خد الحبيب نورا

فهما يستقران في طرف حماه

ان انسان عيني لما تلاحظه تستقبله

لله الحمد لا عد فذلك البدر له مستقر في محجر عيني

صرت في ليلة فراق ليس لها نهاية

كمثل الشمعة فاحترق المحب من شدة الوهج

لئن ظفرت بذيل وصله يوما فتناسى

همومه وعدد قبلات الثغر العذب

اترك الجفوة أمان، لا تفسح المجال

---

[1] لكن اين يكمن ذلك، لم يصرح لنا مع الأسف.

ليقول للناس الحبيب طبيب والمحب عليل

إذا ما انفرج ثغرة اللعلي ونطق بكلام

يبعث الحياة في ألوف القلوب الميتة مثله مثل عيسى

مذ ان وقع بعد (حلمي) المسكين على ذلك الفتان

يذرف الدم من العين بدلاً من الدموع

١٥- حاكم خانه بك[١]

مخلصه: حاكم

مولده ١١٦٠هـ/١٧٤٧م

ووفاته ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م

ذكر حاكم قطر العرفان، الأديب حاكم خانه بك

انه النجل المحترم لفرهاد باشا من حكام كردستان. عاش اغلب زمانه في السليمانية[٢]، كما أنه كان يقضي بعض أوقاته في بغداد. وبحكم كونه من أصحاب الوقار واهل الجاه والاعتبار، فإنه كان مسموع الكلمة بين أفراد عشيرته، فضلاً عن كونه رجلاً مقداماً وهماماً، مجبولاً على شيمة الوفاء، ودارجاً على السخاء، لذا فانه كان لا يضن بشيء على أصدقائه وأحبائه حتى وان كانت روحه العزيزة.

بيت فارسي معناه

ليس العمر او المال بذي بال إزاء المحبين

قدم مئة روح فداءً للصديق الناصح الأمين

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولا اشارة له في المختصر.ولم نقف على أخباره فيما راجعناه من المصادر، وكان جده خانه باشا أمير كردستان قد قتل سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م. رحلة ريج إلى العراق، ترجمة بهاء الدين نوري، بغداد ١٩٥١، ص٣١٩.

[٢] أسست السليمانية على يد إبراهيم باشا البابائي سنة ١١٩٩هـ/١٧٧٨م.

وكان له إلمام جيد بالصرف والنحو قدر المستطاع، وعلى دراية بالمسائل الشرعية في الفقه الشافعي، أضف إلى ذلك انه كان من أهل الطبيعة وصاحب ظرف. كما كان له كمال القدرة بالنظم التركي، وسالكا طريق المعاني. لذا فان قصائده محمودة ومشهودة لها بالبينات.

وكنموذج بديع لأعماله الأدبية إليك هذا القصيد:

الترجمة العربية:

شعاع حسنك قد أخجل شمعة الظلام

وجمالك قد ملأ الدنيا طولاً وعرضا

وهج عارضك ألقى يوسف المصري في غيابة الجب

وبياض ساعدك جعل يد موسى في الجيب

يغار الخضر من لحيتك وينبوع ماء الخلود من ثغرك

وشفتاك في إحياء الموتى لا تأبه إلا بالمسيح في السماء الرابعة

ان شيخ الفلك لو يدأب على السير كالكوكب السيار

من غير الممكن ان يقع بصره على واحد مثلك في الجمال

لئن يقول الرضوان لا تمنح غبار حماك يا (حاكم)

بلى وفضاء جنة المأوى وظل شجرة الطوبى

وبما ان والده عالي القدر كان من حكام كردستان، فلقد تخلص باسم الحاكم. وقد فاضت روحه إلى بارئها وهو فوق الستين من العمر

أيام حكومة سليمان المقتول[1]، بتاريخ ألف ومائتين واثنـــين وعشـــرون[2]
على اثر أصابته بداء الحمّى المحرقة. وقد صار جســـده كتنـــور حـــامي
الوطيس، لذا فانه رفض الشراب عديم الفائدة الذي قدمه الحكماء.
وهو يقول:

بيت فارسي معناه

من كم الأطباء تتقاطر منـــــه الدماء

فهم يضعون دودة العلق على الدملة باليد

لما غدت حنجرة أمله مقطوعة بفعل خنجر الأجل، حرّك قوادم الاعـــتزام
نحو غابات جنان النعيم بجناح السعد.

بيت عربي

لا سابغات ولا جـــاءوا باســـلة[3]   تفي المنون لدى الاستيفاء آجـــال

---

[1] والي بغداد وقد تقدم التعريف به.

[2] أولها ١١ آذار ١٨٠٧م.

[3] كذا في النص تماماً. والأصح ان يكون: بآسلة بالمد والاستيفاء في النص مكتـــوب بدون الياء.

١٦- الملا محمد امين[١]

مخلصه: حمدي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر الشاعر بليغ اللسان، الملا محمد أمين الحَمْدي ذو العرفان

إن المرحوم هو نجل عبد الله الكركوكي أصـلاً وموطنـاً، ولمـا نزلت في مدينة كركوك زائراً، شاهدته بعيني فإذا به في حـدود السـابعة عشرة من العمر في أكثر تقدير. وبما ان الفيض الرباني لا يختص بكبـير دون صغير، فإنه غمر ذلك الشاب اليافع بذلك الفيض المبين. عملاً بـالقول المأثور: الأسباب لا تنكر، وبناء على افتقاره إلى الوسائل فإنه أتخذ لنفسـه النصح القائل منهجاً:

عاشر أرباب المعارف دوماً..

فانه قد أصبح في وقت وجيز متكلماً لبقاً وشاعراً ساحراً بغتة.

بيت فارسي معناه

ليس للفيض الإلهي نهاية أو كمال

فترى صاحبه كل لحظة في إيجاد جديد

بما ان خيط الشعاع ختم الأسرار، فهذه القطعة الغزلية المتوهجـة لمن آثار يراعه اللطيف الدثار:

غزل معناه

قلت ممن العشق أيها الطفل البالغ أمني ام منك أنت

---

[١] لا ترجمة له في المختصر.

فأجاب: انه هبة من الرحمن لا مني ولا منك

قلت أبصرت ختماً مثل ختم قلبي في سائر القلوب

فقال: كلا.. كلا إنما طلوع السهيل من القطر اليماني

قلت: ليت شعري لم استحوذ علي ضيق الخلق

فأجابني بغنج ودلال: إنما توصيفك لمن الثغر

قلت: تخلص القلب من سالفك فسقط في نقرة الذقن

فقال السقوط في السجن ليوسف من ترك الوطن

قلت: لم يا ترى رضابي قد غدا محلى بالسكر

فقال: يا حمدي ان حلاوة السكر لمن حلو الكلام

ولكن بما ان المواهب وخزائن المعارف والقابليات معـــدودة مـــن الأرزاق التي وزعها الباري الوهاب بين عباده، فانه على العكس من ذلـك كان من المعتكفين في بيت الحزن الخاص بالفاقة والعوز، ومن المرابطيـن في زاوية الحاجة والفقر.

بيت تركي معناه

إنما الفلك لا يمد يد العون إلى أهل الكمال يا (خطيب)

فلا تطلب المدد منه حتى وان وصل بك الأمر إلى العطب

وعلى الرغم من أنه كان على هذه الدرجة من القابلية والاستعداد، إلاّ أنه لم يتلق التعليم على يد أستاذ ما، فلم يحظ بأي تقدير وتقييـــم عنـد أرباب الدولة، وكان نصيبه الحرمان من الجاه والاعتبار.

قطعة عربية

فصاحة حسان وخط ابن مقلة   ونغمة داود وزهد ابن ادهم[1]

إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس   فليس له قدر بمقدار درهم

فهو يعاني هذا القدر من البؤس والضنك، وألفاظه وأشعاره على هذه الدرجة من الجودة والروعة، فلعل الدهر يرفع عن كاهله يوماً طوق الحصار، وينزع عنه لباس العسرة والتكفف، ويخلع عليه جلباب النعمة والمسرة على خلاف عادتهم المألوفة، فيا ليت شعري ما سيكون الحال عليه في ساحة الشعر والنظم.

---

[1] يريد حسان بن ثابت، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وابن مقلة الوزير الخطاط المبدع، وداود النبي عليه السلام صاحب المزامير، وابراهيم بن أدهم الصوفي الزاهد الذي ترك امارته في بلخ وتزهد.

١٧- عمر افندي الخاكي

مخلصه: خاكي

مولده: ١١٧٢هـ/١٧٥٨م

وفاته: ١٢٢٩هـ/١٨١٣م

ذكر الكاتب النحرير الكبير عمر الخاكي افندي[١]

لما ولد الموما إليه بتاريخ الف ومائة واثنين وسبعين الهجرية[٢] أرخ والده قاسم أفندي الكركوكي ذلك في الشطر الآتي مع الاشارة إلى طرح عدد أثنى عشرة منه:

جوق ياشا عمر عزيز ايله عمر

أي: عش طويلاً بالعمر العزيز يا عمر

إذ يحصل لدينا التاريخ المذكور بحساب الأبجد الكبير المعتمد عند الشعراء الترك[٣].

---

[١] هو غير الشاعر الكركوكي الذي يحمل لقب الخاكي . وهو محمد حسين المتوفي بتاريخ ١٢٧٥هـ. وله ترجمة في كتاب (شعراء كركوك) ج/٣ ص/١١١ للاستاذ عطا ترزي باشي.

[٢] أولها ٤ أيلول ١٧٥٨م.

[٣] حساب أبجد الكبير هو أن تحسب الحركات المتصلة بالأحرف حروفاً قائمة بذاتها، فلها أقيامها الرقمية الكاملة، والصحيح أن هذه الجملة قد كتبت على وفق حساب الجمل العادي، لأن مجموع أقيام ألفاظها ١١٧٢ وهو تاريخ ولادة صاحب الترجمة، كما من غير الصحيح انقاص ١٢ من هذا المجموع.

كان كاتباً غزيراً بليغاً ومنشئاً قديراً، وفضلاً عن ذلك فانه عمـــلاً بالحديث النبوي الشريف القائل:

إن مـــن الشـــــعر لحكمـــــة[1]

قد نحا نحو نظم الشعر كذلك. فصار غزيـــر الانتــاج وســاحراً للألباب في هذا الميدان. وعندما أنجز العمل في الجسر الذي أمر المرحوم سليمان باشا[2] إقامته على نهر نارين[3]، انشد شاعرنا قصيدة رائعة بـــهذه المناسبة، وبالنظر لطولها نكتفي هنا باقتباس بعض المفردات منـــها مـــع البيت المتضمن تاريخه:

ان التاريخ المذكور يستخرج من الشطر الأخير منه:

الترجمة العربية:

بهذه النية لما كان ناطور مخزن ذهني يتجسس

بهذه الرغبة لما كان اليراع الرفيع الطرف يتحمس

حضر شخص ذو حاجب هلالي فأرخه

وطلعته حرية ان تنور العين والقلب

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الأدب، الحديث ٤٣٥٧.

[2] هو والي بغداد سليمان باشا الكبير، وقد تقدم التنويه بـــه، وانفــرد المؤلــف هنــا بالإشارة إلى انشائه قنطرة نارين .

[3] نهر يأتي من جبال حمرين، ويصب في نهر ديالى. وقد أشار المنشـــي البغــدادي (رحلة، ترجمة عباس العزاوي) إلى أنه كان على هذا النهر قنطرة كبيرة والراجــع أنها هي التي أنشأها سليمان باشا المذكور.

"قد تم تشييد جسر على النارين فادعوا

ان يتم مرور سليمان على جسر الصراط بالسعد[1]

بما أن دواخل نفسه كانت مشحونة بالوجد والغرام بفعل انوار هداية الهادي فانه سلك في الطريقة النقشبندية وانتمى إليها ونال حسن التوجيهات من لدن مولانا الشيخ خالد قدس سره العزيز[2] فاصطبغت أخلاقه الحسنة بصلاح الحال واتسم سجل سجاياه المستحسنة بجلاء الأخلاق الحسنة.

بيت فارسي معناه

اننى لمرتاح من همه ذلك الشخص في رياض الحياة

زرع حبات الخلق وقضى بالحرق على بذور الرياء

لما ذاع كماله غير المحصور بين الأنام، استقدم من كركوك مع عياله واثاث بيته فعين في وظيفة كتابية بالمصرفخانة. فاستمر في الوظيفة حتى أيام وزارة المرحوم سعيد باشا[3] ثم في عهد الباشا المشار إليه، جرياً على المقولة القائلة:

أجرى الماء مجاريها وأعطى القوس باريها

---

[1] الشطر بالتركية (صراط لا يزاليدن سعادتله سليماني)، و مجموع أقيام ألفاظه ١٢١٤.

[2] تقدم التعريف به.

[3] هو ابن والي بغداد سليمان باشا الكبير، ولي ...د سن ١٢٢٨ إلى ١٢٣٢هـ/١٨١٣-١٨١٦م.

فانه قد أحرز عنوان المكتوبجي[1]

ان من له فـــي الغيـب شـيء لـــم يمــــت حتــــى ينالـــه

واخترنا من قصيدة قالها في امتداح الوزير المشار إليـــه، بعـــض الأبيات المختارة ونقدمها هنا كنموذج لأعماله الشعرية:

خالق الأرض والسماء اعني به رب العلا

الواحد الفرد الصمد ليس له من مثيل

الحمد الكثير لبدايته العظمى

الحمد والشكر له أولاً واخراً وليس لغيره

وانت يا أيها الصنم الأسود الساق كالجواد

تحرك.. آن الأوان لارخاء العنان

ان مالك الملك قد انعم برتبة الوزارة على سعيد باشا

وهو نجل المرحوم والمغفور سليمان باشا

اسبغ الله غفرانه عليـــــه

أبصرت العيون بآثاره

فيا خاكي لا تقطع الأمل من باب احسانه

فخالق العالم جميعاً هو حلال العقد

---

[1] وظيفة في سراي بغداد يقابل معناها (مدير التحريرات).

وبما انه كان قد جبل على الطينة الترابية والطبيعــة الأبيــة فقــد عرف بين هواة المعارف واصحاب الطبع ناري العوارف بلقب الخـــاكي أي الترابي[1]. وعاش من العمر سبعاً وخمسين سنة فانسـد بـاب حياتـه بالأجل الموعود في تاريخ ألف ومائتين وتسـعة وعشـرين[2] وارتحلـت روحه نحو الجنة العليا.

بيت فارسي معناه

من ذاك المحل البارد جئت إلى هذا القصر البهيج

ما ان طاب لك مقام حتى قيل: هيا

---

[1] الأصح: انه هو الذي اتخذ الاسم الأدبي هذا لنفسه. وليس غيره اطلقه عليه. لكــن صاحبنا المؤلف ألقى العنان لقلمه في ميدان للبيان اكثر من الــلازم، عنـد تبيـان القاب الشعراء على ما يظهر.

[2] أولها٢٤ كانون الأول سنة ١٨١٣م.

١٨- الملا مختار أفندي[١]

مخلصه: خطيب

ولادته:١١٨١هـ/١٧٦٧م

وفاته: ١٢٢٦هـ/١٨١١م

ذكر جامع الفضل والآداب الخطيب الملا مختار أفندي

ان الموما إليه قد شع ضوؤه من قنديل صلب فتحي أفندي البغدادي إلى محراب الوجود.

كان مقيماً في قرية شهربان من ملحقات بغداد، والتي كانت محاطة ببساتين النخل والرمان، وآيه من رياض الجنان في الزمن السابق، وأصبحت في الوقت الحاضر قاعاً صفصفا لا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً كما جاء في المثل. يقوم بمهمة الخطابة والتولية في الجامع الشريف الواقع فيها وفقاً لما اشترطه اجداده في وقته كما جاء ذلك في الفرمان الصادر من ديوان حضرة السلطان ظل الله في الأرض، ملازماً زاوية الاعتزال، مرابطاً في ركن القناعة والاعتدال.

بيت تركي معناه

لقد أمعنت النظر في العالي والسافل من الدنيا

لا راحة في غير زاوية القناعة والرضى

---

[١] هو والد المؤلف، وله ترجمة في المختصر ص٢٦ جاء فيها "كان رجلاً فقيهاً، وكان يتعاطى علم الرياضي، وكان يتعاطى القرطاسية، وبعده ابتلى بهوس الكيمياء، وتوفي في تاريخ سنة ١٢٢٦رحمه الله تعالى".

كان من دأبه الحضور في بغداد موطن العلم والأفضـــال، ودار الكمال، كل عام، حيث ينزل ضيفاً عند أصدقائه من ارباب العلوم، وينهل من مناهل كل علم يهتم به أيما انتهال، ويأخذ منها نصيبه حسب قابليـــة حوصلة استعداده. وكان ذا باع طويل في علم الأوقات. كما كان بارعـــاً في فنون القرطاسية بحيث يحيل قصاصات القراطيس إلى دنـــانير فـــي الحال.

في يوم من الأيام إذ هو يجالس بعض الأحباب فـــي الجـــامع إذا بغلام في حدود العاشرة من العمر يمثل امامهم مع درويـــش بصحبتـــه. فطلب من احد الحضور النزول ضيفاً عنده، وكان هذا الشخص من فقراء الحال ومهيض الجناح، فلما وضع تاج للفلك في صندوق الغرب الأزرق، هب الوالد المرحوم وانطلق إلى الجامع في معرض الترحيب بـــه. ولمـــا لمعن النظر فيه تبين عنده بأن لم يسبق وان رفع بصره على مثيل له بين أولاد ملوك بغداد[1]. فظل حائراً فاغراً فاه امامه.

بيت تركي معناه

لقد مضى القاضي والكشاف والحريري والطبري

أليس لك علم بذلك فممن استقي الخبرا؟

على كل حال طال بهم السمر وتحول حديثهم إلى العلوم الغربيـــة، وبغية الاستفادة من مواهب الموما إليه في هذا المضمار، دعـــاه الوالـــد

---

[1] المقصود هو ولاة بغداد.

المرحوم أن ينزل ضيفاً عنده في الليلة التالية، كي ينال قسطاً اوفر من ضياء شمس معارفه ويقتبس حظاً أكبر من فضائله.

بيت فارسي معناه

اغتنمي الفرصة ايتها الفراشة المتهافتة على الشمعة

فهذه المعاملة لن يكتب لها الدوام حتى وجه الصباح

فجاء وبرفقته صاحبه الدرويش وشرّف منزل الوالد. وفي الحال انشد الوالد المغفور له قائلاً:

بيت معناه

قدمت فاسبغت نوراً على منزل عيني

لا للتواضع.. فاهلاً بك في دار الأتراك ومرحبا

بعد أن رحب به بمثل هذا الترحيب الحار، اختلى ثلاثتهم لوحدهم في غرفة مصداقاً للمثل القائل: ما من شيء يثنّى الا وقد يثلّث. وفي خلال المحادثة صنع الشاب اليافع حفرة بيده ووضع في داخلها مقلمة. ثم لصق اسماً إلى الوالد المرحوم موعزاً إليه بتكراره لفترة معينة. بعد الانتهاء من ذلك وجد في المقدمة المذكورة مقداراً من القطع النقدية بلغ عددها ستين قرشاً من نقش سكة دار الضرب عيناً. فأخذ منها قطعتين قدمها إلى الوالد، اما الباقي فاعطاها كلها إلى الدرويش المذكور. ومن ثم طلب من الوالد ان يخلي داخل المسكن من الأهل والعيال تماماً.

ولما تم له ذلك، امر الخدام العاملين تحت ادارته فجعلوا كافة المفروشات الموجودة في الغرفة من الديباج وفرو السنجاب حالاً، وكلها

على اشكال والوان بهيجة زاهية تأخذ بالألباب وتسر الناظرين، وفي آخر الأمر أفلت عنان الأختيار عن يد الوالد وحار في تفسير الظواهر هذه ومدى نصيبها من الواقع، فاستفسر منه عن اصله وموطنه، فكان الجواب: إنني ابن ملك المغرب، وقد حضر ذات يوم شخص امام والدي وهو يتخذ هيأة الدراويش، وعلى رأسه قلنسوة تترية، يظهر عليه أنه من اهل الترحال والتجوال إلاّ أنه صاحب فيض وصلاح في الباطن.

فأفضى إلى والدي بلا خوف أو وجل بان قلبه الناصع قد صار فراشة تحوم حول شمع محبتي. فأمر والدي بتخصيص مسكن لائق وممتاز له وأوعز إليّ بالقيام على خدمته. فهذا الإنسان هو الذي قام بتعليمي كل هذه العلوم النادرة والفنون غير المسموعة.

كما أوصاني أن أرحل، بعد وفاته، إلى عند استاذه الكائن في المشرق. وما أن صار دارجاً إلى غفران ربه، حتى شددت الرحل إلى خدمته امتثالاً لأمر الدرويش الراحل. ويوم وصولي إلى هذه القرية صليت صلاة الفجر وأنا في طريقي إلى جامع الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني نور الخافقين وذو الجناحين. ومع طلوع الشمس استقر بي المطاف في هذه القرية. وكان ذلك من اعمال قطع المنازل وطي المراحل جملة.

وتطبيقاً لمقولة (قلت حرفاً فقس عليه الباقي) توسل إليه والدي كثيراً ليقبله في خدمته، لكن دون جدوى. وفي خلال هذه الاثناء غلب

النعاس على والدي فنام نومة خفيفة. ولما فتّح عينيه لم يجد اثراً لا للفتى ولا للدرويش عنده.

ولدى الاستفسار من اهالي القرية عن اخبارهما لم يظفر بطائل. أما القرشين اللذين كانا من نصيبه فكلما صرفهما في الاسواق كانا سرعان ما يعودان إلى كيس نقوده. لكنهما بعد مدة صارا في عداد المفقودات. وعلى هذا النحو صادف الوالد من اهل الانفاس والدراويش الكثير من الضيق الاستئناس، لكنني حذراً من السأم والملل اكتفيت بهذا القدر.

كان شاعرنا يمتاز بطول الباع وسحر البيان في ساحتي النثر والنظم معاً. فهو لما يرتقي منبر المعالي والبيان يسحر السامعين ببليغ عبارات الخطبة، ويوقعهم في بحار التفكر والتمعن. وفي الجملة فان التخميس الانيس في التصوف قد لمع عن سيف يراعه:

الترجمة العربية:

لا تنظر الينا شرزاً فنحن من زهرة اهل انه

فتحق رمح الصفا المتجرد من مفهوم الماء والطين

انما نحن انتشينا بكأس ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]

نحن اطباء العالم لدينا الدواء لأهل كل داء.

نحن لا نتملق لا للأعلى ولا للأدنى في هذه الدنيا

إنما سقانا الساقي الباقي الكأس المترعة

---

[1] الأعراف ١٧٢

قد جعلنا قبة الدهر العظيمة طعمة للرياح

انما نحن نخبر اولي الحق مالنا والملك والأمير

مثلنا مثل سليمان نحن أصحاب منطق الطير في الزمان

طوينا الدنيا من رأس إلى رأس فعرفنا شخصاً من اهل الحق

قد عرفنا تقديم الخدمة إليه من القلب فرضاً مسبقاً

هذه الاركان الاربعة المعاكسة اعتبرناها سدا للرمق

فمحوناها وآثار الصنع كلها اعترفنا بكونها حقة

افتح العين وانظر... اننا وهج من الضوء الرباني

قد جعل الخط هذا زلفها سواداً أعظم في داخل النفس

لأكشفن لكم عن السر الدفين هذا على وجه العيان

تعال واتل مبينـــاً: كل من عليها فان

إنما (الخطيب) هو طالب الحقيقة في شهربان

فليحضر مرضى الغرام... إننا دواء لكل داء.

بما انه كان يعمل خطيباً في الجامع السابق الذكر، فلقـــد لختـــار عنوان (الخطيب) كمخلص له في اقواله الشعرية. وعلى هذا الاساس كان مخلص الفقير هذا، هو (الخطيب) كذلك.

وفي يوم من الأيام، بينما كان يتجاذب اطراف الحديث مع عنايـــة الله الذي سيرد ذكره في فصل قادم، إذا بزائر متطفل ثقيل الظـــل اكـــول يداهم عليهما مجلسهما، لا بداعي السمر والمنادمة لامتاع الفؤاد بل لمجهد

اشباع البطن من مائدة الطعام حسب عادته المألوفة. ولم يكن ذلك مــــهماً بحد ذاته ولكنه أدى إلى الارتباك في حديثهما.

بيت عربي

كلمـــا درنـــا خـــلا مجلســـــــنا جاءنا شــــخص ثقيــل وجلــس

فقد تعرض عليه الوالد بهذا الرد بيت فارسي معناه:

لست ادري ألنت عفريت ام ملــــك تحضر اينما كان للأحباب حضــور

ان سفينة بطنك لا يقر لـــها قــرار حيثما وجدت اطباق الطعام رســت

لكنه لم يعر أي بال لكل ذلك وهو يقول:

معناه

انا لا اعير السمع لكل ما تقول.

فبعد ان نال بغيته استلقى متكئاً على وسادة الثقالة

بيت معناه

جعل الله غبار وجوده طعمة للرياح
يا (نابي) كل من صار حملاً ثقيلاً على قلوب المحبين.

بينما سكتنا على مضض على ذلك.. إذا بــأحد الأكــراد يحضــر عندهما هذه المرة. وفي معرض المزاح بادر والدي بالحديث قائلاً:

في يوم من أيام الربيع الزاهر خرج المرحوم نابي افندي للنزهــة في الفلاة محملاً بعضاً من الكتب على دابته، وعند غدير تحــت شــجرة

وافرة الظلال غلبه النعاس وراح في نوم عميق. بعد ان استيقظ وجد دابته قد ضاعت في البرية ولا يوجد لها أثر، وهب يبحث عنها. وفي طريقـــه صادف احد الاكراد فاستفسر منه فيما اذا وقع بصـــــره علـــى الحيـــوان المذكور.

فكان الرد:

جه جه؟

فقال نابي افندي في نفسه: بينما كان الحمار واحداً، صـــــار الآن اثنين! ومضى في سبيله.كان وقع الحديث هذا سريعاً على الشخص الثاني فهب من مكانه وغادر المكان، لكن صاحبنا الاول ظل ثاوياً في مكانــــه، مثابراً على طبيعة الأنعام.

بيت فارسي معناه

ان كان المستمع لا يفهم شيئاً من مغزى الكلام

فلا تطلبن قوة البيان من المتكلم

في ذلك اليوم البهيج فقدت مقلمة تصور للوالـــد فـــي دار الآغـــا المومأ إليه.. فسأل صاحب الدار مستفسراً اين وقعت يا ترى؟

فكان الجواب:

إنها ضاعت في البراري

انه قد عاش خمساً وأربعين سنة قارئاً لمصحف الحياة فـــي محفــل العمر. وفي سنة ست وعشرين [ومائتين وألـــف] ســجد طائعــاً للنــص الشريف: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].. وسجد للرحمن في قصر الجنان.

بيت فارسي معناه

يا له من بستان لطيف بستان الحيـاة   لن كنت آمنا مــن ريــح الخريــف

وآخر معناه

وما احلى منزل، منزل الرضــى   إن كان أساســـه خلود الحيـــاة

ان الفقير هذا- كاتب السطور- لما استبدل بأسمال الجهل الباليـــة حلل العقل واحلها محلها ارخت تاريخ وفاته على النحو الآتي فنقشته على لوح قبره:

الترجمة بالعربية:

لم اعهد الدنيا هذه ان تكون وفية مع احد

بل انها دساسة وخداعة ايها الاحباب

لا تدع زهرة الأكمام ان تتفتح حتى

ما لم يقم البلبل العليل بالنواح في مأتمها

كم من لجيني الأبدان اغرار الوالدين

أودعهم الثرى إذ هم نيام على وسائد الغرور

---

[1] الزمر ٣٠.

بمقتضى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾[1] قد ارغم

المـلا مختار على السفر من دار الفناء إلى دار البقاء

كان جامع للفضل والمعارف ومحقق فنون الأدب

وحبذا زهد والتقوى وزينة محراب

ها أنا أرخت وفاته بالتاريخ المجوهر

جعل الله الفردوس الأعلى مقراً للملا مختار[2]

---

[1] القصص ٨٨.

[2] أصل الشطر بالتركية (ملا مختار ابليه فردوس والايي مقر) والتاريخ المجوهـــر: هو التاريخ المستخرج من اقيام الاحرف المنقوطة وحدها والمستعملة في البيت أو الشطر لتخاص بالتأريخ، فيكون مجموع أقيام هذه الأحرف ١٢١٢.

١٩- الميرزا محمد دبير كاتب الفارسية[١]

المخلص: دبير[٢]

العمر: ٢٧ سنة[٣]

تاريخ الولادة والوفاة: غير مذكورين

ذكر الأديب سمير المعارف كاتب الفارسية ميرزا محمد الدبير ان الموما إليه كُرْجي الأصل ينتمي إلى منطقة قَـرَه بـاغ مـن

---

[١] المختصر ص٢٦.

[٢] دبير كلمة فارسية تعني: كاتب، منشئ.

[٣] كذا في الأصل، وفي المختصر (ص٢٦) أنه عاش نحو أربعين سنة، وتتفق الرواية الأخيرة مع كونه دخل بغداد في عهد داود باشا وتوفي في عهد نجيب باشا، فقد انتهى عهد نجيب سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ فيكون المترجم قد ولد في الأقل في سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، ويكون عمره يوم دخل بغداد نحو عشر سنين أو يزيد قليلاً، أي بين ١٢٣٥ و١٢٣٧، وتقع هذا التاريخ في ضمن عهد داود باشا. وقد عرفت ذريته فيما بعد بآل كاتب الفارسية، ثم بآل الفارسي على سبيل الاختصار، ومنهم علي ياور أفندي ابنه، ثم رفعت أفندي بن علي المذكور، وكان محاسب لواء الناصرية (ذي قار منا سميت فيما بعد)، ومن أعلامها المتأخرين عزت بك الفارسي رئيس غرفة زراعة بغداد، ورئيس البلدية في أواخر عهد الدولة العثمانية، ونصرت الفارسي القانوني والوزير في العهد الملكي. وقد نوه إبراهيم الدروبي بهذه الأسرة فذكر أنها عائلة بغدادية قديمة لها ماض مجيد، وأن لها مجلس محترم معروف، ولهم صلات مصاهرة مع أسر بغدادية أخرى، منها السادة الحيدرية وآل النقشلي (البغداديون ص١٣٠).

ملحقات ايران[1]، كان حسن المعشر وصاحب النكات اللطيفة، يسحر السامعين بالنوادر والحكم النابعة من طبعه الفياض كالأزهار الزاهية الفواحة الآخذة بأريجها العطر بالألباب على هيئة اشعار رائعة وأبيات بديعة في نظر أرباب الكمال ومتذوقي الأدب. سبيكة نثره ذهب سالم من نحاس العيب وخالص العيار، وهي جديرة ان تتخذ عباراتها اقراطاً في آذان كواعب الفصاحة. ذلك أمر بديهي الثبوت، غني عن منة الوصف والبيان، اذ كان متمكناً من ناصية المضمون إلى درجة انه كان يخلق المعاني البكر من أي لفظ مهمل اذا ما أراد.

ولمهارته في فن الكتابة والإنشاء، جرى استخدامه في باب حضرة ولي النعم في اعمال الكتابة الفارسية في قلم ديوان الولاية. فنال الاعراز والاكرام بين الامثال والأقران، إلاّ أنه لم يكن متمكناً من ناصية اللغة الفارسية في مجال النثر إلى حد الكمال، لكنه كان له القدرة الكافية في نظم الاشعار باللغة المذكورة. اضف إلى ذلك ما له من الاعمال الشعرية الكثيرة باللغة التركية[2].

---

[1] تعد بلاد قره باغ (ويعني اسمها الغابة السوداء) من اقليم الران (أو أران) إلى الشمال من نهر أرس، في بلاد القفقاس، ضمتها روسيا إليها سنة ١٨١٣م. ينظر سامي: قاموس الأعلام ج٥ ص٣٦٢١ وليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٢١٣.

[2] في المختصر (ص٢٦) ما نصه "إن هذا الرجل في أيام وزارات (يريد وزارة) داود باشا، جاء من العجم مع والدته، وكان صبياً أمرد، فعرض نفسه إلى خدمة كتابة الفارسية، فالمرحوم داود باشا أمر كاتب الديوان أن يستخبر كتابته وما ملاءه بالفارسية فاستخبره فرآه مستعداً بالخط والإملاء فعلمه كاتب الفارسية وألبسه=

ولقد فاضت قريحته بالعدد من القصائد العصمـــاء فـــي وصـــف حضرة ولي النعم صاحب دولة الإنصاف. اخترنا منها الرائعة هذه:

الترجمة العربية:

يا من كتب العالم السناء والبهاء عن وجهه

قد جعل اكاسرة تراب الطريق في مرتبة فوق الملوك

لما بصر البستاني سروك السيار من بعيد قال

إنما الصنوبر قد تشبهك في تعديل القامة

هل القائم هذا هو قدك ام سرو البستان

ام انه شجرة الطوبى ومستقاها الكوثر

كفى الجفاء وان كنت لا اشكو، فمنك

إلى باب من كل ظلم قوبل منه بالجزاء

حضرة داود باشا في الغزو والســـــفر

قد نازل الكسرى والجمشيد والنوزر[1]

في عهده المتسم بالعدل ســــــاد الوئام

بين السبع والغزال والباز والقبج

فارس مغوار في غمار الجهـــــــــاد

قد خاض نيران الوغى شأنه شأن رجل النار

"القاووق" ولكنه ذكر بأنه لم يتعلم التركية إلاّ بعد معاناة ستأتي الاشارة إليها بعـــد قليل!.

[1] جمشيد ونوزر: ملكان أسطوريان ورد ذكرهما في الشاهنامة للفردوسي.

لأجل قطع الطريق على يأجوج الأحداث

قد جعل عدله بمثابة سد الاسكندر

لغرض طبع قبلة على تربة بوابتـــــه

جعلت السموات وجوهها متجدرة

ما أكثر ما تزوجت عروس دنياكن

كذاك شان النسيم البارد في امر الزواج

ارفع اليد بالدعاء فحق بريق جوهرتها

قد جعلت العنق رهن الطوق والفرجال

كلما كان امر آله العالمين مدداً

استمد الناس الضوء من الشمس المضيئة

جعل الله شمس ذاته مصدر نور العالمين

وهو الذي اقتبس الناس البهاء عن سناه

كذلك اخترنا بعض الأبيات من غزلياته الفارسية ايضاً، والترجمة العربية:

سهم الجفاء بعداً له عن القلب المكلوم

كل حبيب لم يشر بنقد الروح لا يكون حبيباً

مئات الأرواح للمحبين ذهبت فداءً للحبيب

لا تستكثرن ذلك، فذلك ليس بعجيب

قلت مئات المرات فاعود واقولها

أي حبيب لا يقرب من القلب بدون غرام

ليس بعاشق ذلك الذي لم يقع في حياته

مقتنصاً في شراك ســــالف الحبيب

لا يعد عاشقاً ما لم يكن مثل (دبير)

راغباً في جوى الحبيب بالروح والنفس والنفيس

وكما سبق أن ذكرنا، ففي الفصل المفرد لحضرة ولـــي النعمـة حضرة الوزير، في بداية الكتاب، قطعة نظم غزليـة تصـور المرحـوم راغب محمد باشا، وهي تنتهي برديف (اويدورموتـــش) فـي الاشـطر الأخيرة منها، فشاعرنا كذلك قد كتب نظيرة مماثلة له و من جملتها هـذه الأبيات:

الترجمة بالعربية:

في مدرسة الملاحة قد اتخذ لنفسه قلماً ملائماً

لغرض قتلي انا المسكين قد حرر امراً ملائماً

لما لاحظت سالفه المطرى في طرف اذنه

قد قال بأن خطاط الدوران جعله على حرف لام

يا له من آفة صاحب العين الساحرة

اتخذ لنفسه لبوسا من سجف القلوب الحريرية

بغية تشتيت عقد نظام العاشق كل يوم

قد اوجد نظاماً خاصاً وفق سالفه المتشتت

لقد توشح العاشق المسكين بالسواد من ذلك اليوم

اذ جعل حدود ملكه الروحي مثيلاً لسواد ارض الشام

قد شبه القد بالسرو والخد بالوردة الحمراء

كذلك مدام لعله شبه بالكأس الوردية

ليت شعري يا (دبير) ما الذي اقترفت في حقه

اذ جعل الناطق بالدرر معتاداً على كيل السباب

هذا البيت المفرد النابع عن شجرة يراع حضرة ولي النعم المحملة بالأثمار، قد بادر إلى تخميسه على النحو الآتي[١]:

الترجمة بالعربية:

لما امتطى صهوة جواد الحسن ذلك الفارس المغوار

احدث اعمال السلب والنهب في ديار قلوب العاشقين

لا يطلب الاستحواذ على قلب المحب فحسب

فالتفاحة الغبغب تلك تبغي تسخير ثغور الحسن

خرجت من تخوم البلاد الرومية

فتوغلت في قطر قزيل ألمـــــــــا[٢]

---

[١] علماً ان البيت المذكور الجاري تخميسه هو الشطران الاخيران هنا المترجم.

[٢] قيزيل الما مصطلح جغرافي تقدم التعريف به.

كما سبق ان تطرقنا لذكره في باب حرف الحاء، في الفصل المخصص للشاعر حاوي افندي[1]، في باب تعداد المكارم الحميدة لصاحب الدولة الوزير شعرٌ معناه:

بالقياس إلى لعلك من ذا الذي يلتفت إلى لَعل البدخشان[2]

بالمقارنة مع سالفك من الذي يهتم بالسنبل الفواح

كل من صار مخموراً ونشوانا بحبك ايها الملاك

هيهات ان يلتفت احد إلى عين النرجس المخمور

كل من يشاهد قدك وخدك وسالفك وخطك

لا يلتفت إلى السرو والسنبل وللورد والريحان

ان يطلع بدر الحق هذا من برج الشرق

من سوف يرغب في قمر كنعان في اقصى مصر

طالما له تفاحة الغبغب في بستان الجمال

من الذي يأبه بالتفاحة الخاصة بروضة الرضوان

لئن انجزت نظيرة لرائعة حاوي يا (دبير)

فمن الذي يلتفت إلى سمر الاطفال في حضور الشيوخ

ما إن صاحب الامر في ملك بغداد قائماً

من الذي يرعي البال إلى الخاقان أو القيصر أو شاه ايران

---

[1] يريد رسول حاوي الكركوكلي، وقد تقدم في الترجمة ١٣.

[2] بدخشان إقليم في شمالي أفغانستان اليوم، كان يستخرج منه حجر اللعل الثمين في العصور الإسلامية.

بما انه كان كاتباً ملماً بالمعاني والبيان ومنشئاً وناظماً ، فلقد اشتهر بعنوان (دبير) بين الأدباء، كما كان بارعاً في تنميق الخط العربي وفي مستوى عماد الحسني[1]. كذلك كان لبقاً حلو الكلام، مولعاً بالنكات. ومجموعاً كاملاً قائماً بذاته في طلاوة الكلام والمزاح والمرح[2]. للمؤلف بيت تركي معناه.

كن ملماً بالمجاملات ولا تكن شخصاً ثقيل الظل

من لم يكن خفيف الروح فمثله كمثل تمثال قُدَّ من الجماد

وأخيراً، لم يبلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاماً.

---

[1] خطاط شهير تقدم التعريف به.

[2] هذا ما ذكره المؤلف، وما في المختصر ما يناقضه تماماً، حيث قال "كان حاد المزاج على مقتضى ما رأينا منه ما كان يمتزج مع أقرانه حتى يوماً من الأيام اشتكى عليه المصرف عند داود باشا فأمر داود باشا بأن يؤدبوه فضربوه خمسمائة عصا، بعده عقل وتأهل في بغداد وصار ماهراً في كتابة التركية، وصار شاعراً أيضاً بالتركية إلى أيام المرحوم نجيب باشا واعتبره المرحوم نجيب باشا. وكان المرقوم خسيس الطبع ردئ الجبلية"، ثم ذكر مصيره فقال "زعل عليه المرحوم نجيب باشا وطرده فبقي مدة من غير شغل وتأهب للمجيئ إلى الاستانه فخرج من بغداد ووصل إلى أطراف ديار بكر وتوفي" (ص٢٦).

٢٠- الملا خليل[1]

مخلصه: ذكي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر نقّاش دار تصوير الكمـــال   الملا خليل الذكي الاديب المـــآل

إن المرقوم هو ابن رجل يدعى أحمد من أهالي كركوك، يعـــرف بلقب آل الصرّاف، ولا غرو فهو صرّاف في بـــاب فـــهم المعـــاني، ولا يبارى في السوق الرائج لنقد الجمل والعبارات، وقدراته لا مثيل لها فـــي ميدان الالفاظ والكلمات، متمكن من ناصية رموز فن الأدب. وله نظر نافذ إلى الحقائق.

بيت تركي معناه

لا يتنعـــم بنعيـــم الحيـــاة وتذوقـــها   من لم ينل نصيبه من نعمـــة الادب

وفضلاً عن تمكنه من الكتابة الرقيقة الـــواردة فـــي المنظومـــة المطولة لمولانا الشاعر جامي[2] الموســـومة بقصـــة يوســـف وزليخـــا،

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[2] هو نور الدين عبد الرحمن المعروف بجامي، من كبار شعراء إيران، ولـــد سنة ٨١٧ وحصل علوم عصره، ومال إلى التصوف، ونبغ في الشعر، وله فيه أعمـــال مهمة، منها (يوسف وزليخا) و (ليلى ومجنون) و (سلامان وأبيال)، وله مؤلفـــات عديدة في التصوف والأدب والموسيقى واللغة العربية وغير ذلـــك، توفـــي سنة ٨٩٨هـ. قاموس الأعلام ج٣ ص١٧٦٠.

والخماسية العائدة للشاعر نظامي[1]، وتوغله في معانيها العميقـــة، فـإن قدرته في مجال النظم باللغة التركية لجديرة بالتقدير والاستحسان. فأعماله الشعرية خالية عن الشوائب والعيوب الأدبية بحيث لا يرقى إليها أي نقـد أو اعتراض إلى حد بلوغ مرتبة الكمال.

ولقد اخترنا النموذج الآتي من اعماله الجديدة في هـــذا السـياق، والترجمة العربية:

بحسن جمال الحبيب تتحول الفلاة إلى جنة الارم

بثغر الحبيب يكتسب كأس العشاق صفة جام جُم[2]

لئن كان يوجد العديد من الحسان في روضة اللطف

فإن الجمال يكسب الطول الفارع هيأة العلَم

لاجل تكبيل العاشقين في مجلس البلاد

ترى سالفه في طرفي الوجه قد تجعدا

ان يرى خضر العزيز يا أمير منك الخدا

فبنقد الروح يعرف أهل الوفا والكرم

ان (ذكي) هذا الولهان بحلم خديك

---

[1] هو الشيخ إلياس بن يوسف بن مؤيد المتخلص بنظامي، نشأ في اقليم آذربيجـــان، وعرف بخماسياته المسماة (بنج كنج)، ومن آثاره (خســرو وشــيرين) و (ليلــى ومجنون) و (مخزن الأسرار) و (اسكندر نامه)، توفي سنة ٥٩١ وقيل ٦٠٦هـــ. قاموس الأعلام ج٦ ص٤٥٨٩.

[2] تقدمت الإشارة إلى معنى هذا التشبيه.

ينشد في الروض بلبـــلاً مغرداً

مع انه ليس بمأذون بوضع التوقيع تحت اللوحات التي ينمقها لكنه بالغ من الدرجة المذكورة[1] إلى حد كبير. أما قدرتـــه فـــي بـــاب خـــط التعليق[2]، فقلوب اهل النسخ والتميق متعلقة بها جمعاء، كذلك هو شـــأنه في كتابة خط الثلث. اضف إلى ذلك انه ذو باع طويل في ساحة صناعـــة النقوش والمطرزات بحيث يليق به ان تحسده الأيدي الفنانة المشتغلة فـــي معامل الصين الخاصة بهذه الحرفة.

بيت تركي معناه

يا له من نقاش في مرسم المعارف

إذا ما رأى رسمه بهزاد اعتراه الخجل[3]

لا سيما ان نقوشه على الزجاجيات وكتاباته تأخذ بالالباب. ويظـل الفنان ماني ازاءها فاغراً فاه، لكن بما ان الخط المكتوب به مفتقـــر إلـــى مطالع السعود[4]، فإنه كان فقيراً.

---

(1) أي ليس مجازاً من استاذ خطاط اكبر منه، باستعمال لفظة كتبه: فلان.

(2) التعليق ضرب من الخطوط العربية، تمتاز حروفه بدقتها وامتدادها، وبعدم احتمالها التشكيل، ينسب وضعه إلى الخطاط مير علي التبريزي المتوفى ســنة ٩١٩هـــ، وتحسينه وتطويره إلى عماد الدين الشيرازي الحسني، وعرف بالتعليق لأنه كـانت تكتب به التعليقات التي يضيفها الكتاب على المتون التي تكتب عادة بخط النســـخ كيما تتميز عنها.

(3) بهزاد، رسام ايراني شهير تقدمت الإشارة إليه.

(4) يريد أنه كان ينقصه الحظ.

بيت فارسي معناه

ان الجواد الاصيل قد بات مجروحاً

وعلق الطوق الذهبي في عنق الحمير

إذ اوقعه الحظ العاثر فريسة سهلة للدهر الغـدار فجعـل عيشـه متكدراً ومرآة ضميره مغبرة. ومع كل ذلك فهو ساعٍ فـي كسـب قوتـه عيشه بكد اليمين، وذلك باحتراف صنعة الكتابة دون اللجوء الى عطايـا ابناء الزمان.

بيت تركي معناه

اولى بالمرء ان يضم اصابع يده ضماً

من ان يمدها في طلب العطية من اللئام

أو: من أن يتشبث بها في اذيال اللئام

وهو مقيم في بغداد حالياً. ولكونه من اهل الذكاء فمخلصه الادبي (ذكي).

٢١- عبد اللطيف آغا حفيد اسماعيل الكهيه[١]

مخلصه: رونق

مولده ووفاته غير محددين

إن الموما إليه هو حفيد المرحوم اسماعيل الكهية الكتخدا السابق لمدينة بغداد[٢] وابن أحمد آغا. كرجي الأصل، تفتحت امامه أبواب الأدب

---

[١] اختصر صاحب المختصر ترجمته إلى ثلاثة أسطر، فقال "المومى إليه كرجي الأصل، أبوه أحمد آغا، جده إسماعيل كهيه، شهرته في بغداد بجده، وهو في حد ذاته أديب كامل، مرضي الأخلاق، ومرعي الخاطر، معدود من ذوي البيوت، وطلب العلم على قدر حاله، وإلى الآن موجود في الصحة" (ص٢٧).

[٢] كان واحداً من ستة تولوا منصب (الكتخدا) مجتمعين في عهد والي بغداد سليمان باشا الأول المعروف بأبي ليلة، بين ١١٦٤ و١١٧٥هـ، ثم واحداً من خمسة في عهد خلفه حسن باشا، بين ١١٧٦ و١١٧٧هـ، ثم واحداً من أربعة في عهد عمر باشا بين ١١٧٧ و١١٩٠، ثم تولى هذا المنصب منفرداً في عهد عبد الله باشا بين ١١٩٠ و١١٩١هـ، ثم مع آخر في عهد حسن باشا بين ١١٩١ و١١٩٢هـ. كتابنا: الأسر الحاكمة ص٨١- ٨٢. وله وقائع عسكرية نوه به مؤرخو عصره، ينظر عثمان بن سند: مطالع السعود ص١١١ و١١٦ و١٤٨ ورسول الكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٥٨ و١٧٠، وإسماعيل الكتخدا هذا هو جد الأسرة المعروفة ببغداد بآل الكتخدا. قال ابراهيم الدروبي في كلامه على هذه الأسرة" اشتهر هذا البيت القديم ببغداد بجد رجاله، منهم إسماعيل آغا، وكان كتخدا عمر باشا وعبد الله باشا من ولاة بغداد، وقد تسنم منصب الكتخدا معاونية الوالي الذي نسب بيته إليه. كان هذا الرجل علماً من أعلام أسرته، وعيناً من أعيان بلدته، عرف بدماثة الخلق وكرم السجايا، كما عرف بعلو الرتبة ورفعة المنصب، اتخذ له مجلساً في=

والمعارف على مصاريعها بفضل الباري ولطفه، فصار يغترف من مناهل المعاني والبيان بمختلف ينابيعها ولنواعها التي لا تحصى، حتى تمكن من ناصية النحو والصرف في العربية كما وبلغ تصرفه في اللغتين التركية والفارسية الدرجات العلى.

بيت معناه

قد غدا قدوة ممتازة لارباب الادب

فنقش اسمه على أفئدة ادباء العالم

له قدرة فائقة على نظم القريض باللغة التركية مع كمال الممارسة. والفاظه الطافحة بحلاوة النطق بمثابة الملح لمائدة المقال، وعباراته الممتزجة بالعبر والنكات قد لقيت الاستحسان من اهل الكمال. وحينما توفي والده حظي بالقبول في خدمة القسم الداخلي[1]. ثم فاز بلقاء

=داره العامرة في محلة رأس القرية يجتمع إليه الفضلاء والعلماء والوزراء، يتداولون فيه الأمور.. وبعد وفاته أعقبه ولده أحمد آغا الكتخدا ابن اسماعيل الكتخدا وهذا الخلف كسلفه قام مقام أبيه في مجلسه فأحسن القيام، ثم أعقبه في مجلسه عبد اللطيف وعبد الرزاق وسليمان آل الكتخدا، أولاد أحمد آغا المذكور" (البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد ١٩٥٨، ص١٢٣) قلنا: فعبد اللطيف المذكور هو صاحب الترجمة.وقد أشير إلى دورهم في محلة رأس القرية في ثنايا وقفيات بغداد سنوات ١٣٠٣ و١٣٢٢ بوصفها من معالم المحلة البارزة. كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، بغداد ٢٠٠٠، ص٣٦ و٣٧.

[1] في الأصل (أندرون خدمتنه)، واندرون لفظ تركي بمعنى: الداخل.

حضرة ولي النعم[1]، صاحب دولة فالق الأصباح وتباشير فجر الأبهة والاحتشام. وهو اليوم قرير العين والفؤاد بالضوء الغامر لتلك الشمس الساطعة الذي غمر الانام وغشي الخاص والعام. ولاتصافه بعزة النفس وطيب الخاطر اصلاً، فقد حظي باهتمام الذات الخديوية سيما وانه كان بارعاً في ميدان الفن والادب، غنياً عن التعريف والبيان.

إن صقر عش المراحم وباز بيت المكارم، سيدنا ولي النعم أدامه الله ما دام العالم، لما خرج عام ثلاثة وأربعين[2] إلى أرض سلمان باك الطاهرة بغية الصيد والقنص محاطاً بالابهة الكسروية والحشمة الخسروية، تحركه قوادم الدولة والاجلال وجناح السعد والاقبال، انبثقت قصيدة غراء من منقار بلبل قلمه الشادي من النوع المعروف بالقصيدة الاصطيادية[3] بصرير الصغير البالغ التأثير[4] كان لها وقع حسن في نفوس السامعين والمطلعين عليها، حيث اقتنصت قلوب اهل العرفان بالمعاني، وقبضت على افئدتهم بمخالب البلاغة والبيان، واوقعتهم في شراك التذوق والبهجة. وها قد اقتبسنا منها الأبيات المفردات الرئيسية

---

[1] يريد: والي بغداد داود باشا.

[2] أولها ٢٥ تموز ١٨٢٧م.

[3] يريد القصائد التي كان ينظمها الشعراء واصفين خروج ممدوحيهم من الأمراء وأرباب الدولة للصيد والقنص. ويسمى هذا النوع في الأدب العربي بالقصائد الطرديات.

[4] يريد: القلم.

الخاصة بمدح الوزير والتي وردت بعد التغزل مباشرة. فــــهاك التغــزل المذكور وما يليها معاً.

كذا اصطاد الشاهين بنظرة غزالة القلب الولهان

كذا وقع الفؤاد المســكين في اســــرة بألف روح

لما قامت لتطيــر وتغمز بقصد الاصطياد

ليس طير قلبي وحــــده أغرم بها بل وحتى العنقاء

فتغرز مخلابها بألوف القلوب ولا تتلطخ بالدماء

ما أعجب نظرة العيــــن التي تســـفك الســـد

لم يا صاحبة العين الدامية لا تتركين الجفوة الأبدية

ولا تفـــرغين فتهجريــن هـــذه الاطـــــوار

كفى بالقلب الوله أن يضطهد في قبضتك كالحمامة

فإنــــه يئن ويتــــوجع تحــــت وطأة المحـــن

اخرجي مخلب الجفاء عن فؤاد طائر أهل الجوى

كفى يا شاهين الفحل ان تورث الاذى بقلوب المحبين

ان طائر قلبي المكلوم يشكو من عدم الحصول على الدواء

ان لم تترك الاختيال بمثـــــل هذا الجفاء

فسوف يطير هرباً من المعاناة يوماً ومن بلاء

جورك فيرفع امره إلى الباز الرئيس للدولة

فياله من باز رئيس في المكارم وهو هبة من الرحمن للخاص والعام

في عهده لا وجود لطيران عنقاء الاذى

وياله من باز رئيس حارس لقطر الزوراء

فالصقر يخشى أن يورث في ظله بالعصفور أذى

ويا له من باز رئيس بالمرصاد في قمة الوزارة

فقبضته مع عينه اليقظة سيف قضاء مسلط

ان ذاك الطائر الرئيس لهو حضرة داود باشا

حظه السعيد يجعل الصنقور السريع صيداً ذليلاً

حتى العقاب الشرس خشي من بأس ذلك الطائر الرئيس

غدا لا يفتح الجناح للاصطياد متخذاً من تحت الاشجار مكمناً لنفسه

عنقاء الخلافة ذاك ان أراد الصيد يوما

فكم من دماء ستراق جلنارا

متى ما يرغب في اصطياد الغزلان

فكم من الغزلان تجري دماؤها من المناحر

من جلاله ان يرسل المدد إلى الضعاف

فيجعل العقاب صعوة والهزبر هرة في ساحة الصيد

قدير شهير متدين متصف بالعدل والكرم

عن سبيل البر يجعل ملك اليمين حراً طليقاً

وبفضل حرارة شمس خيال حضرة ولي النعم، كانت ثمرة النشوى البالغة لدرجة الكمال من شجرة المعاني، وهي البيت المفرد السابق ذكره في الفصل المخصص لصاحب السيادة الوزير شاعراً في

أول الكتاب. فشاعرنا عبد اللطيف رونق قد قام بتخميسه من جانبه كذلك كما يلي:

معناه

مذ صار فرس المطلب جاهزاً لركوبه

جعل صف جند أهدابه مستعدا

لما ضرب الحصار على مضيق منجم الفضة ليلاً ونهاراً

فلاجل تسخير ثغور الحسن فإن تفاحة الغبغب تلك

قد عبرت الحدود للرومية

وتوغلت في ارض التفاحة الحمراء[1]

كذلك قد عمد إلى تخميس المفرد المنيف والجلنار اللطيف هذا المتفتح من طبعه الشريف الذي بمثابة حديقة غناء زاخرة بنخيل العرفان ورمانها. فآثرنا درجها هنا هي الاخرى:

الترجمة العربية:

يطمع الاقتطاف من ثمار الخد الوردي الاحمر

يحدوه الامل في وصل الحبيب المتحول

وهو يتذكر بأن روضة الصدر قد صارت في ايدي غيره

والقلب طاف يبغي الحصول على رمانة نهد الحبيب

فتجول في بعقوبة وابي صيدا وشهربان بحثاً عن ذلك.

---

[1] في الأصل (قزيل آلما) وقد تقدم التعريف بهذا الاصطلاح.

ولما فرغ كاتب السطور هذه من انجاز التخميس المذكور، اعتراه بعض الخجل والارتباك من جراء عمله الجريء هذا. فنظم الرباعية هذه وارسلها إلى سدة سيادته الخديوية في معرض الاعتذار عن جرأته.

ولما ولد طفل لحضرة ولي النعمة، وهو صاحب الدولة افندينا حسن بيك، نظم شاعرنا قصيدة في تاريخ هذا الحدث السعيد اليك بعض الابيات المختارة منها:

الترجمة العربية:

حمداً لله فقد نرى من الباري لطفاً جديدا

وشكراً له إذ اثمرت نخل الاماني وليدا

فتح السعد العين عن كرى الهجران

عاقداً مع دورة الفلك في الوفاء تجديداً

كنت مترقباً لعهد الفلك بفارغ الصبر

إذ كنت قد تلقيت منذ لمد وعداً وعيدا

لاسجد شاكراً لتلك الموهبة الكبرى

إذ ارخى على المهد بالظلال سعيدا

تلك كانت نوعاً من البهجة لهذا الفقير

امتلأت عين الدنيا بالمسرة نوراً جديدا

حبذا كرماً هبة من الرحمن

يا له من در جعله الباري فريداً

قد حباه الله بمركب حكم القدرة

لم تقع على مثيل له بأي وجه أناهيد[1]

ان يشع بنوره عن الوجه يوماً

لضحك على قرص الشمس بالتقليد

فالشمس إن وقعت على مرآة وجهه

لغدت كالخال الأسود في خد الحبيب

من ذا كان حاصله درة يتيمة فريدة

وتشعبت دوحة حظه عن فرع الامل

هو الموسوم بحضرة داود باشا الذي

يقر اعيان الملائكة لأخلاقه بالتمجيد

علمه لا سعي لتحصيله

إلا ان يكون هبة من الرب المجيد

ذلك العالم الرباني ابو يوسف الشيم

بفضل الباري وجد إلى العلم التأييد

ذلك هو مسك الختام فلتدع يا رونق

ليمن لطفه عليه انه الرب المجيد

عالم الزمان الوزير الاحمد في المكان

تشرف الجديدان بذاته وتجمل الغيد

قلت تاريخاً مشفوعاً بالدعاء للوليد

---

[1] كوكب اناهيد بالفارسية يقصد به كوكب الزهرة بالعربية، ويسميه اليونان فينــــوس والرومان افروديت.

اطال الله في عمره بالسعد المزيد[1].

كذلك الفقير هذا- كاتب السطور- قد قال قصيداً في تاريخ الولادة المذكورة الباهرة البركات.

وان استعمال كلمة النرجس كقافية رديفة في نظم القطعة الغزلية باللغة التركية لأمر عسير وصعب غني عن البيان بالنسبة لمرتادي هذه الجنائن الادبية. لكنه قد افلح في اخراج هذه الرائعة الغزلية إلى الوجود بكل يسر:

الترجمة العربية:

انما النرجس زهرة بين معشر الازهار يا حبيبي

محدودبة الظهر تعصف بها الهواجس بسبب البعاد

لما لاحظت اختيالك برحيق الغنج والدلال

سهرت لأجل امتاع النظر بقدك الميال

بالسالف المتفرق قد خلقت جنينة لطف ودلال

عطشت العين مذ ذاك لمرآكم يا حبيبي

من جفوة نظراتك التي تنفذ سهامها إلى الفؤاد

القلب ولهان بالهم والحسرة مثل شأن النرجس

بالتعبير عن هذه الاوصاف صرت موصوف العالم يا (رونق)

لا تنفك تذكر عن دراية أو غير دراية بأن النرجس في نحيب

---

[1] في الأصل (إيله سون عمريني الله سعادتله مزيد) ومجموع أقيام ألفاظها بحساب الجمل ١٢٣٨.

والحقير هذا- كاتب السطور- الضعيف المحروم مـــن روائـــح العرفان، قد عمل نظيرة لهذا الغزل أيضاً مع أن فواتح معانيه تبعث السأم في عقول اصحاب الكمال والذوق السليم، فأرجو اغماض العين عن جرأة درجه هنا والنظر إليه بعين التسامح:

الترجمة العربية:

ايها الورد يظهر ان النرجس مغرم بعينك الفتان

وعلى جانب من البستان يشكو النرجس من السقم

ذهب لونه ضعف قده تدلى رأسه

تحسبه لهفاناً مثلي لرؤية النرجس

بما انه شبيه بعبق الحبيب المخمور

كان النرجس منقوشاً بين الخلان في المناديل

ورأسك شرف الروضة بطلعتك البهية

أرق النرجس اسوة بعيني في انتظار قدومك

ليس معاناته من طلب الوصال، بل شأنه شأن العشاق

يعانى النرجس من كيد الكائدين وحسد الحاسدين

من شم شـــــميمه يراقب نفســـــه دوماً

ففي استجلاب قلوب العشاق سحر للنرجس

بلسان الحال يتأوه ويشكو من الحال

شأنه شأن خطيبي من فرقة المحبين

وعلى الرغم من صغر سنه، إلا انه كان راجح العقل بالغ الكمال، وعامراً من كل الجهات بالفنون الادبية والبيانية، حسبما اشتهر بذلك بين الانام. بما انه كان رونقاً في ناصية الآداب، فلقد اختار اسم رونق مخلصاً لنفسه، فذاع صيته بذلك ذيوع الشمس الساطعة في فلك الاشتهار.

قطعة هو من أكابر الخطاطين، ويعرف بـ(مير عماد).

معناها

ان كان له أي قصور فاشحه لـي   لكي اسـعفك بجـواب مسـكت

وإلا ان تظل بدافع الحقد والحسد   تتبح نبح الكلاب فمـا حيلتـي؟

٢٢- محمد افندي كاتب الديوان[1]

مخلصه: زينتي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر صاحب الفهم والعرفان، محمد افندي كاتب الديوان

إن الموما إليه هو نجل المرحوم لطف الله افندي الآتــــي الذكــر والثناء، والذي لا يدانى في القدر والرفعة. وبغية الوصول إلـــى مركــز اللياقة والدلوف في حيز اللباقة، فقد امتطى صهوة جواد الجـهد للمضـــي خبباً، والجاري في سبيله نحو الهدف قدما، حتى حاز بفن الكتابة والانشاء ما فاز به في مركز الكتابة والإنشاء في ساحة الخط العربي.

بيت تركي معناه

لا تطمح في بلوغ القمة بغير استعداد   فكل سبق مرهون بقــدرة المواهــب

وفي عهد علي باشا المقتول[2] تشرف باحراز منصـــب افنــدي الديوان. وكان ممن يشار إليه بالبنان بين الامثال والاقران، مع ان نثره لم يكن في أول أمره مزداناً بالاستعارات والكنايات، لكنه بفعل كثرة المــران

---

[1] له ترجمة في المختصر (ص٢٧) تختلف في بعض تفاصيلها عما في هذا الأصـل، ومضمونها ثم أخلاقه على خلاف ما يذكر المؤلف هنا، وتفــاصيل أخــرى عــن حادثة اعدامه على ما سيأتي.

[2] تقدم التعريف به.

والاشتغال في التحرير بمرور الزمان، قد غدا كل كلامه بمثابة القند المكرر والسكر المركز.

ولما ظهرت عنده الرغبة في قرض الشعر بالتركية، احرز ايما نجاح في ذلك الباب. هاهي بعض الابيات من جملة اشعاره في هذا المجال:

المعنى

ليست العبرة في تودد المحب إلى الحبيبة أو اختلاس النظر إليها
انما العبرة في رفع النواح وبث الآهات صبابة
لا تثقل الوطء بموج الابرام المستديم
فالذوق يا ساقي في تجذيف زورق الصهباء بين بين
إن الوجه الطلق الباسم لا يتلاءم والصبابة
انما برهان الصبابة هو الدمع القاني والوجه الشاحب
ان العمل الطالح يستوجب قيام الآخرين بالعمل الصالح
لمن دواعي العفو والصفح صدور الخطأ من المرء
التخلص من كيت وكيت الناس يا زينتي
في اللواذ بحمى بوابة دولة العشق

وكان يتخذ من اسم (فخري) توقيعاً له في اللوحات التي يحررها بوصفه خطاطاً، واما في اعماله الشعرية فيتخذ مخلص (زينتي) شاعراً.

بيت فارسي معناه

لا تتبع إن شئت سبيل الافراط في السلوك

ففي وقت المكافحة يضيق المجال للاعداء

فمن هذا المنطلق، وبحكم كونه ملتزماً متاهة الغفلة، في عهد الباشا المشار إليه نفسه، قضى نحبه مغتالاً واسلم السروح إلى خازن الفردوس[1].

بيت فارسي معناه

تحت الرواق الزبرجدي هذا قد كتب بماء الذهب

اياك ان تقول بأن اهل الكرم لا يحبون الخلود

ان تاجر عمره قد اشتغل بتعاطي البيع والشراء في حانوت الدنيا الزائلة.

---

[1] إن الترجمة المختصرة التي أوردها صاحب المختصر تورد معلومات مهمة عن طريقة قتله وأسبابه، خلاصتها أن علي باشا اكتشف مؤامرة قد ضلع فيها صاحب الترجمة والكتخدا خالد آغا بهدف قتله، وحينما واجهه برسائل كان قد كتبها بهذا الشأن، اضطر محمد أفندي إلى الاعتراف، فكان أن أصدر علي باشا أمره بحبسهما ثم بقتلهما وشريكين لهما (ص٢٧- ٢٨).

٢٣- السيد علي البَنْدَنيجي[١]

مخلصه: بندنيجي في اعماله العربية

سيّد في اعماله التركية

مولده: ١١٢٣هـ/١٧١١م

وفاته: ١١٨٦هـ/١٧٧٣م

إن الموما إليه بَنْدَنيجي الأصل[٢]، يتصل فــــرع نســبه بدوحــة الحضرة الأحمدية، وهو ابن السيد إبراهيم القادري. فتح عينيه للنور فــي بيت يسكنه اهل الطرائق التصوفية أي اقطاب ذوي الحقيقة.

---

[١] شاعر غلب عليه التصوف والزهد والعبادة، وصفه الرحالة طه الكردي الباليســاني عند نزوله في تكيته والتقائه به سنة ١١٨٥هـ/١٧٧٢م بقوله "السيد الحسيب العالم المحقق الأديب، جناب العارف بالله السيد بن السيد.. إبراهيم البندنيجي" وقال أنـــه أطلعه على رسالة ألفها في التحدث بالنعم الإلهية عليه، وهـــي كراســة صغــيرة (رحلة طه الكردي الباليساني، بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠٢، ص٣٧ و٣٨) لـــه ديـــوان مخطوط لبث موجوداً لدى حفيده السيد عرفان بن ظاهر البندنيجي. وفي المختصر ترجمة له تختلف في بعض تفاصيلها عما في الأصل، وجاء في أولها "نقلاً عـــن والدي.." وليس في الأصل ذكر لهذا السند. وينظر في ترجمته عيسى صفاء الدين البندنيجي: شرح القصيدة الرائية، مخطوط، وعمران الحاج موســـى المنـــدلاوي: مندلي عبر العصور، بغداد ١٩٨٥، ص٢٣٩-٢٤٥.

[٢] بندنيجين، وتخفف إلى بندليجين، ومندليجين، ومندلي، وبالأخير تعرف رسمياً فـــي وقتنا الحاضر، بلدة من أعمال بغداد، ترددت الإشارة إليها في كتـــب البلدانيين، ينظر ياقوت: معجم البلدان، بـــيروت ١٩٥٥، ج١ ص٤٩٩ وتعـــد الآن مركـــزاً لقضاء تابع لمحافظة ديالى ينسب إليها عدد من العلماء والأدبـــاء فـــي العـــهود الإسلامية.

ســـــطع مـــن ســـماء الشـــرق كوكب سعد اســـتخلف القمـــرا

مع انه قد اتبع للهوى وطاوع النفس الامارة في بداية أمره مـــــدة من الزمن، إلاّ أنه بلغ المقام الأعلى بعد مدة أسوة بأغلب الاولياء الكـرام. فإنه بهداية الشمعة الربانية المتقدة في ذاتـــــه، ودلالـــة ســـراج التوفيـــق الصمداني، خرج من دياجير دار الدنس المتخربة بأمل الولوج في صـــوح القدس الساطع النور، وجاء إلى بغداد برج الأولياء فدخل في خدمة الشيخ أحمد الموصلي- قدس سره العزيز- الواقع رباطه في الجانب الغربي من المدينة[1]، وصار من مريديه، وكلما حمله الشيخ الموما إليه من تكـــاليف الخدمة في التكية بغية كسر شوكة النفس قام بذلك عن كل طيبة خـــــاطر دون ابداء أي تذمر[2].

المعنى

إن قال لك شيخ الخمّارين خضّب السجادة بالراح: افعل

فعلى السالك أن لا يغفل عن طرق المنازل وآدابها

لقد تحول حاله إلى حال آخر وتبدل سلوكه وسيرته إلـــــى شـــكل غيره. فقد اعتزل اسباب الحياة المترفة جميعاً والتزم زاوية الاعتكــــاف.

---

[1] في المختصر "وكانت تكيته خارج البلد قريب إلى معروف الكرخي وإلـــى جنيـــد البغدادي".

[2] كان ذلك من مقتضيات التدرج الخدمي في التكايا والزوايا سابقاً.

واخيراً حلّ موعد حلول الفيض الإلهي، فبسط لنفسه حصيرة الاقامة الدائمة في رباط الشيخ المشار إليه هذه المرة[1].

وبتأثير الأنفاس وفيض الاستئناس، سحب ذيل الاستغناء عن العالم المادي ولملم كم التقوى عن بهرجة الدنيا ومباهجها. كان يردد بيتاً معناه:

كل من جاء الى للدنيا فله آية من الفناء

لذا فقد غطس في بحر الطاعة للرحمن وانقطع لعبادته، وأخذ يسبح وراء تحصيل مكارم الفيوضات الإلهية في مياه التقوى، حتى ارتبط قلبه بعشق الذات الإلهية المستجمعة للصفات، على حين غرة، وتعلق فؤاده بالمحبة الرحمانية التي ليس لها مثيل.

بيت فارسي معناه

لا يصاب بالموت من بات قلبه بالغرام حياً

فقيد في جريدة العالم بأنه من الخالدين

ذلك بحكم اسمه تعالى ورد لسانه في ترداد كل نفس.

بيت تركي والمعنى

ينتعم بمذاق فواكه الجنان كل من   سقى رياض عمله بدموع الندم

كان ذلك مصداقاً لسلوكه في المسيرة الحياتية ابداً، وشعاره الصدق والاخلاص، بحيث أوصله ذلك إلى مرتبة الحظوة بالفيض الآلهي،

---

[1] جاء في المختصر "فاجتنب عن الناس فبقي يصوم الدهر، وانقطع عن الأكل والشرب، إلى أن مضت عليه ثلث (ثلاث) سنين وفتح الله عليه فتوح المعارف".

ونيل انوار التجليات اللانهائية فصار قطباً لدائرة الاولياء الكـــرام. وفـــي وقت كان فيه معشر اهل الغفلة امثالنا نغط في النوم العميق ونستلذ بحلاوة السبات في الفراش الوثير، كان هو يحيى الليل ساهراً حتى مطلع الفجر.

بيت تركي معناه

باليراع الذهبي تنقل الشمس إلى البياض

كل حرف كان ملفوفاً بمســـــودة الليالي

كان زاخراً بحواشي اسفار العلـــم البـــاطني، وطافحـــاً بـــالعلوم الظاهرية، وفي الفن اللدني لا مثيل ولا يبارى. وبفعل هوى العشق الالهي تحرك قلزم[1] طبعه فتلاطمت بأمواج القريض. لـــــه قصيـــدة عصمـــاء بالعربية تعرف بالعينية[2]، وهي بالحقائق موسومة، تمنح الجلاء لعيـــون أعيان المعاني، وتبرق لها ابصار علماء الزمان. وبما انها مليئة بالعبارات الغامضة والتعابير المعقدة، فيصعب فهمها لكل قارئ، لـــذا فلقـــد اســـهم الشراح بقسط وافر في تفسير معانيها وتبسيط عوارضها للقراء[3]. واليـــك بعض الابيات المختارة منها:

---

[1] إشارة إلى بحر القلزم، وهو البحر الأحمر.

[2] وتسمى أيضاً بالمنظومة البندنيجية، وقد سودها سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م، وتوجـــد منها نسخ عدة، منها ضمن مجموعة في مجموعة مخطوطات المدرسة الإســـلامية المحفوظة في مكتبة الأوقاف بالموصل برقم ٢٠ (ينظر سالم عبد الرزاق أحمـــد: فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ج١ ص٢٨٦).

[3] إن أهم شروح هذه المنظومة هو ما وضعه ناظمها نفسه، وعنوان شرحه (المواهب اللدنية في شرح القصيدة العينية)، منه نسخة مخطوطـــــة فـــي مكتبـــة الأوقـــاف

أين مـــن العلـــم اللدنـــي مـــا أدع	حديثا بسجع ليـــس بعقبـــه الـــردع
لمن كان ذا قلب ســليم ولـــم يـــزل	يراعى اللقا إذ فعله الطرق والقـــرع
فينطق صاع القلب من جرس الـــهدى	بصلصلة الالقاء ما شـــانه الصـــرع
امرت بتبليغ المضـــائق للدنـــــــــى	يروم اهتداء من ذويها له وســـــــع
اقول وذا مـــن واردات تواتـــــرت	عن الروح وصلاً ليس قارنه القطـــع
إلا ان حبي كان قدماً ولـــم يكـــــن	سواء وجود لا ريوع ولا خـــــــرع
انا البندنيجـــي المحـــدث بالفـــــنا	حديث بقاء عنه إذ ليس لـــي رجـــع

أما النظم باللغة التركية فتجده أحلى من المَنّ والسلوى، وأعلى من الحلويات الوردية ونبات القَنْد، تأخذ بالباب أرباب الكـــلام والبيـــان. إن الغزل الآتي قد جرى استخلاصه من قصبة قلمه، وهو بالتركية:

الترجمة العربية:

من غبار مداس قدميك تطلب عيناي التوتياء

والقلب ايها الحبيب يطلب شيئاً من الضياء

بسبب البين عنك لصيبت عظامي بالبلى

فهذه الكسور تطلب من عنبر وصلك المومياء

مني شاه أملي بالمات لما بدر الكش من خديك

المركزية في بغداد تحت العدد ٩٠٠٤، وأخرى في مكتبة المتحف البريطاني تحت العدد Or. 7729 (DL 10)

توقياً من الهزيمة يطلب مدداً ذا حمية من البيا[1]
ما لغارة الزمان والمحب الصادق ايها القلب
فهي تطلب شخصاً مزوراً متهماً صاحب رياء
انما العلاج الناجع لسقم الغانية العصرية لهي حبات الذهب
غير ان الطبيب الناشئ يوصى لذلك بشراب التنيباء
كن من تكون، شريطة ان تكون يدك مليئة بالذهب والفضة
فالدنيا بطولها للفارغ تبحث عن الاغنياء
ان الرقيب القبيح النظر لا ينأى عن جنابك لحظة
لاجل دفعه يتطلب الامر وجهاً بلا خجل وبلا حياء
ما الضير لو انفق السيد عمره في سبيل حبيب وفي
ذلك امر جدير.. لكن الحبيب غير الوفي يلزمه صبر الاولياء

وفي أحد الأيام اختفى عن انظار الأصدقاء والغرباء لمـدة سـبع سنوات. وكان يُشاهده عارفوه على جبل عَرَفة في كل عام منهـا، فـي موسم الحج. وبعد ان تم له اسقاط العج والثج بسبع حجـج، ظـهر إلـى العيان من تحت سرادق الغياب، ولما عاد انشأ لنفسه، وباشارة من الشـيخ المذكور، تكية روحانية ورباطاً نورانية تأخذ بالالباب في مدينة بغداد برج

---

[1] الشاه والمات والكش والبيا من مصطلحات الشطرنج.

الاولياء ومنزل الاتقياء، دار السلام، فبسط فيها حصيرة الاقامة والسكن[1].

وبما انه كان سيداً صحيح النسب فكان مخلصه الشريف (سيد) في اعماله الشعرية بالتركية، و (البندنيجي) في قصائده بالعربية.

ان عمدة الاوتاد وقدوة أهل السداد هذا، قبل ان يشد الرحل عن الدنيا الغدارة هذه، قد وضع بعض الامانات في صندوق مقفول، ثم اودع الصندوق هذا عند المرحوم ساكن الجنان مصطفى افندي آل الحاج عرفات، بغية تسليمه إلى حفيده السيد علي في الوقت المناسب. وهذا قائم حالياً بادارة التكية الروحانية المذكورة بوصفه نائب مناب الطريقة، وقائم مقام الولاية، وهو مقتدى العباد ورائد الصالحين والعبّاد، تقي نقي.

ولقد قام المرحوم مصطفى افندي المسلم الورع بتسليم الصندوق المذكور الحاوي على امانات الولاية إلى صاحب العلاقة المشار إليه في الوقت اللازم عملاً بقوله تعالى: ﴿أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2].

وبما أن شاعرنا الموما إليه كان قطب الملك القيوم، وولي الحق الدائم، وصاحب كرامات ذات آيات، فقد نقلنا من نتاجه الشعري الأبيات السابقة وتحريرها لأجل التبرك والتيمن.

---

[1] ما تزال هذه التكية عامرة بروادها من المصلين والذاكرين، وتعرف اليوم بتكية المندلاوي، وتقع على شمال السالك في شارع الشيخ عمر، قرب المقبرة المنسوبة إلى الغزالي.

[2] النساء من ٥٨.

شرّف وجوده النابع بالفيض الصومعة الدنيوية لمدة ثلاث وستين سنة، وفي عام الف ومئة وستة وثمانين نزل ضيفاً على دار الضيافة الخاصة بالعليين[1]، بعد ان نال نصيبه من مائدة عالم التبجيل والتحسين.

بيت فارسي معناه

حلق طائر روحه الطاهرة واتخذ سبيله نحو العرش وسما

---

(1) على الرخامة المثبتة فوق باب حجرة قبره في تكيته ببغداد أنه توفي في ثالث ذي الحجة من سنة ١١٨٦(=١٧٧٢م)، وفي المختصر (ص٣٠) أن وفاته كانت بسبب الطاعون الذي داهم بغداد في تلك السنة..

٢٤- صالح افندي السعدي[1]

مخلصه: سعدي

ولادته: ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م

وفاته: ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م

ذكر معدن العلم والفضائل، سعدي صالح افندي كاتب ديوان الموصل

إن النجل النجيل، والولد النبيل لـ(سلام آغا سي)[2] يحيى افندي الموصلي[3] الاصل والوطن. وهو قائم مقام الزمان وعلامة الدوران، في مدرسة علمه وفضله يتلقى سعد[4] وسيد[5] البدرس كتلميذين، وفي حضوره يلتزم مصلح الدين اللاري جانب السكوت مقصور اللسان وهو حيران.

---

[1] هو صالح بن يحيى أفندي بن يونس أفندي بن يحيى بك، وعرف بالسعدي نسبه إلى (مخلصه) الذي يذكره المؤلف هنا، ترجم له معاصروه من الأدباء، وأثنوا عليه، ينظر عبد الباقي العمري: نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيى، مخطوط، الورقة ٢٣، أسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج١ ص ٤٢٤، وأفرد له د. عبد الله الجبوري بحثاً مفصلاً أحاط فيه بمؤلفاته . ينظر مجلة الأقلام، ج١٠ (بغداد حزيران ١٩٦٨) ص٤٤-٥١، وكتابنا: الموصل في العهد العثماني ص٢٣١ وترجم له في المختصر ص٣٠-٣٢.

[2] وظيفة في سراي بغداد تقابل مدير التشريفات.

[3] في المختصر "الشهير ببيت محضر باشي". ونقل عبد الله الجبوري عن عبد المنعم الغلامي، وكان عارفاً بأنساب أهل الموصل، أن هذا البيت ينتسب إلى قبيلة النعيم.

[4] يريد: سعد الدين التفتازاني.

[5] يريد: السيد الشريف الجرجاني.

بيت عربي

هو مجمع البحرين بحر حقــائق   ومحيط كنز للفقه صدر شــريعة

كان ذا باع طويل في مجالات المنطق والبديع والبيــان والكــلام والمعاني لدرجة فائقة بحيث يقف ازاءه أرباب الفقــه واصحــاب النحــو والصرف مشدوهين. لقد تلقى الكثير من أساطين الأدب وأكامل الفصحــاء النور من قرص بدره والضوء من شمسه فــي مختلــف ميــادين العلــم والمعرفة.

لمؤلفه بالتركية والمعنى:

إن الالباء من جهابذة الالقباء

قياساً به تلامذة الغبـــــاء

بيت آخر معناه

هو الكليم المعجز الأداء في مكالمة طور سيناء

افكاره وآراؤه اورثت الحيرة عند ابن سينا

ان منظومة العلوم التي تميز بها، قد استزادت بملكة نظم القصيــد باللغات العربية والفارسية والتركية. يكيل له المدح والثناء من بحر الرجز كل من ابن الفارض[1] والرضــي[2] فــي مجــال القريــض العربــي،

---

[1] يريد الشاعر الصوفي عمر ابن الفارض.

[2] يريد الشريف الرضي

وكليم[1] وعرفي[2] في الفارسية، ونابي[3] ونفعي[4] في التركية.

ارتأينا تشنيف آذان المستمع بهذا القدر الضئيـــل مـــن روائعـــه الشعرية باللغة العربية:

لمن المنـــازل بـــاللوى فـــالاجرع	اقفرن فاستمطرن ســحب الادمــع
فقف المطي بـــهن وانشـــد مهجـــة	فقدت هناك وكنت اعـــهدها معـــي
واسأل عــــن المتدبـــر بـــها انـــها	من غير لفظ تجيبك لـــو تعـــــي
أسعد أخـــاك ولـــو بوقفـــة ســاعة	واسكب فديتك عـــبرة المتفجــــع
أفدى الذين ســبقت مذ عهد الصبـــا	من خمر حبهم بكأس متـــــــرع
لم يتركوا في قوس صبري منزعـــا	هل في قسي جفاتـــهم مـــن مــنزع
يا جيرة ظعنوا اضعتم في الـــهوى	صباً بكم للعهد غـــــير مضيـــــع

وهذه بعض اللآلي غير القابلة للتثمين مســتخرجة مـــن صدفتـــه الزاخرة بالدرر باللغة الفارسية:

الترجمة العربية:

انما سوء الخلق يحط من قدر صاحبه في نظر الناس

---

[1] هو الشاعر أبو طالب الهمداني، المتخلص بكليم، عاش في الهند، وتوفي في لاهور سنة ١٠٦١هـ.

[2] هو مولانا جمال الدين محمد الشيرازي، المتوفي سنة ٩٩٩هـ.

[3] تقدمت الإشارة إليه.

[4] هو عمر نفعي، من كبار الشعراء العثمانيين، أصله من أرضروم، وله شعر غزلي رقيق، عاصر السلطان مراد الرابع. قاموس الأعلام ج٦ ص٤٥٩٦.

فالكأس من جراء الطفح يؤدي إلى خسارة كمه

أطلّت صورته من اطار المرآة فقال:

إن فيض المنادمة قد يجعل الصخر بشراً سويا

إن ظهر اهل الهمة لا يعتريه التقوس وإن كان عتيا

انما ظهور الرجال الكرام تنحنى بدافع التواضع

إنْ اتخذ الرؤية الصحيحة منهجاً فالعين السليمة

في قصور الاكاسرة كانت المرايا لها محارم

ليست بواهية لو قوية انما الدنيا في تأرجح بين الفرح والترح

فصاحبنا (سعدي) يبكي على حاله هو ويضحك لأجل الآخرين.

وله قصائد لا تحصى مع تخاميس وغزليات باللغة التركية ايضاً. وفي الجملة ان الغزل العائد لحضرة ولي النعمة[1]- كما سبق وان ذكرناه في الفصل المخصص له في أول الكتاب- قد قام شاعرنا صالح افندي على خير وجه بتخميسه، وذلك جرياً على العادة السائدة عند الشعراء في تلك الايام.

الترجمة العربية:

لا تحسبن الدهر يمنح الصفاء للمرء بلا بدل

فالفرح لقاء ترح والوصل ثمنه الهجران

كم من ملوك نزع الملك عن ايديهم

---

[1] يريد داود باشا.

كل من جعله الفلك سلطاناً على الدهر

في عاقبة الامر جعله مقيداً بقيد الحرمان

ان اولي الالباب لا يعتمدون على العالم الفاني هذا

إذ القصر المشيد هذا بالماء والتراب لن يعمر طويلاً

بعين العبرة انظر ايها القلب فتفتح كالاكمام

كل ما هنالك من خراب في هذا الدير القديم فاعلم

انه ملك سليمان فوض الدهر بنيانه

من اللازم الخضوع لامر الايام بحرها وبردها

ومسايرة البحر هذا بمده وجزره

ليس في مكنة احد رد سهام القضاء

كل ملاك ما وقعت النظرة على خدها

قد جعلها الدهر مع الأرض سواء

ديدن الدهر هذا مسايرة السفلة منذ طويل الامد

وهو يسعى إلى قمع ارباب الفضل ومنعهم

حتى إذا جاد بشيء من الرونق جعل الاكباد ظرف دماء

لا تحسبن أن الفلك اللازوردي يميل للعقلاء

فكم من الدهاة جعلهم حمالاً لأثقال البلهاء

انما النظام هذا قد وضعه خالق الأرض والسماء

لا تتكشف اسرار "ليس في الامكان ابدع" لأحد

ما الضير لو ارمي الفلك بجمرة التأنيب دوماً يا (سعدي)

أم ان معاتبة الفلك قد صارت عادة مألوفة يا (حاكم)[1]

انما خالق الفلك قد جعل الحكمة دفينة طيات في حكمه

كذلك البيت الآتي العائد للوزير ولي النعمة المشار إليه، المتصف بصفات آصف وزير سليمان الحكيم والمدرج في ترجمته المخصصة لـــه في بداية الكتاب قد اجرى فيه شاعرنا سعدي تخميساً بديعاً علـــى النحـــو الآتي تخميس:

الترجمة العربية:

يا ويح قلبي لأجل خسرو الحسان لست أدري ما هو المطلب

إن الغمزات الكافرة تلك قد سحبت الاقواس.. انصره يارب

جيش خطه قد أحاط ببلاد البرتقال[2] ليلاً ونهاراً

لغرض تسخير ثغور الحسن، تلك التفاحة الغبغب

قد خرجت من حدود البلاد الرومية وتوغلت في قطر قيزيل الما[3]

بالاضافة إلى هذا القدر الكبير من الفضل والكمـــال فـــي جمـــال الشعر والادب، فهو مثله كمثل ابن مقلة ذائع الصيت يحرر الخط العربـــي في اثنى عشر باباً من انواع الخط ببراعة فائقة. فهو لمـــا يســـير بـــالقلم

(1) تقدم أن داود باشا اتخذ اسم (حاكم) مخلصاً له.

(2) لعله يريد (بلاد البرتغال).

(3) تقدم التعريف بهذا المصطلح الجغرافي.

الياقوتي[١] على صفحة القرطاس تتهاوى ازاءها قـــدود اشـــتال بســتان الدلال. ومن لطافة رسم حروفه، تصاب الخطـــوط الريحانيـــة[٢] لـــذوي الخدود الحمر بغبار الانفعال. لاسيما خلال اجالته اليراع على القرطـــاس اثناء التحرير، فالذين يسمعون صرير قلمه الأخذ بالالباب حلاوة وطـلاوة لا يبالون بنغمة الهزار الشادي ان وقف يغرد بالقرب منهم ابداً.

إن سطوره المتسلسلة التي خطها قلمه تجعل ضفائر الحور العيــن المسلسلة رهينة مشط الحيرة، والرسوم الملونة الخارجة عن فرشاته قـــد نسخت اهل الدواوين الرفاعيي الأطوار منهم[٣]، وأوقعتهم فـــي مـــهاوي الحيرة، مشدوهي الافكار. والحاصل أن وصفه وبيانه شيء خارج عـــن الاملال (كذا) والاملاء.

شطر بيت معناه

لست ادري كيف اشرح ذلك الورد الجميل

لذا فقد صرت ازاءه لا حول لي ولا طول

---

[١] اشارة إلى الخطاط ياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ.

[٢] الريحاني ضرب من الخطوط العربية، سمي كذلك لأن في ابتداء حروفه ونهايتـــها بعض الانعطاف فيزيدها ذلك حسناً كأنها أوراق الريحان، ويسمى الاجازة أيضـــاً، لاعتياد العلماء كتابة اجازاتاهم العلمية به.

[٣] لم يتأكد لنا معنى هذه العبارة، ومن المحتمل أنه يقصد أن خروج الرسوم بالفرشـــاة يشبه اخراج بعض أتباع الطريقة الرفاعية الأفعى من مكمنها بتأثير كرامة اختـص بها مؤسس الطريقة السيد أحمد الرفاعي.

ولما وصل صيته الذائع إلى سمعي إلى هذه الدرجة، اشتقت إلـى اللقاء به ومعرفته

بيت فارسي معناه

ليس العشق يتولد عن محض النظر

فكثير من العشق يتولد عن سماع

نعم كان اللقاء به والتعرف إليه غاية املي، حتى سنحت في عـام الف ومائتين وثلاثة واربعين فرصة للسفر إلى ماردين برفقة ورد روضة الهمم، وشجرة دوحة الكرم، ونور حديقة البراعة، ومصرف ولي النعـم محمد افندي. ولدى الوصول إلى الموصل الحدبـاء، زرتـه، بموجـب الحديث النبوي الشريف القائل: (الارواح جنود مجندة ما تعـارف منـها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)[1].

فأزيلت غشاوة النأي الصورية السائدة بيننا، فعانقته، ولدى نثـار لآلي المحادثة والمجاملة وتداول اقداح المعاشـرة وكـؤوس المنادمـة، اكتسبت المزيد من الاطلاع على احواله المشمولة بالفضائل اكثر بكثـير مما وصلتني عنه بطريق السماع.

شطر بيت فارسي معناه

حتى صار السماع في قوة المشاهدة رأي العين

---

[1] رواه ابو هريرة، صحيح مسلم ٤٧٧٣ و٤٧٧٤ وسنن أبـي داود ٤١٩٤ ومسـند أحمد ٧٥٩٤ و١٠٤٠٤ و١٠٥٣٣.

وبعد انتهاء المهمة، عدت ادراجي إلى بغـداد عـامرة الجنـات، الموطن الدائم لنا، عملاً بطريقة (المراسلة نصف المواصلـة) فصـارت مراعاة رسوم المراسلة الشغل الشاغل بين الطرفين. وقد سبق أن ارسـلت له رسالة بالكلام المنظوم فجاء في الرد على نفس المنظوم، وهاهو:

الترجمة العربية:

يـا مرحبـا يـا عقيـل الـدلال	الناشـيء الجديـد فـي دار الاعجـاز
يـامن شـهدت لـه المعـاني	اورث الغـيرة فـي نقـوش الرسـام
يـا بهجـة العيـش والحيـاة	ويـا رونـق منظـر الشـباب
أي ان الخطـاب للبـاعث للطـرب	كـل صفـة فيـها زاخـرة بـالدرر
صفـاؤه مسـتقطر مـن الـراح	نوارة الشـجي مسـتنبط مـن النـاي
يـذوب القلـب كلمـا شـاهد هـذا	النقـاء والصفـاء والسـمط المذهـب
كأنما هي التي اشار إليـها (نـامي)[1]	بأنها هـي تخميـس الشـاعر نظـامي
لشـعر محكـم فـي قـوة النتيجـة	وان كان (نالي)[2] هو المقدم في المرتبـة
كـل بيـت منـه بيـت القصيـد	كل قصر مشيد منه قصـر الخورنـق
لا جنـاح مـن اطـلاق ذلـك عليـه	ليس في وسعي توصيفه، كثر صفـاؤه
كلما اعـدت تـلاوة أي شـطر منـه	شعرت بجيشـان لـذة اخـرى جديـدة

---

[1] شاعر عثماني عاش في القرن العاشر للهجرة، له أشعار رقيقة في الغزل وغيره.

[2] هو ملا خضر بن أحمد شاويس، شاعر كردي شهير، نظم بالفارسـية والتركيـة والعربية، ولد في بعض قرى شهرزور، وتلقى العلم في قره داغ، ونبغ في قـرض الشعر، وواصل الدراسة في بعض مدارس السليمانية، وسافر إلى استانبول سـنة ١٢١٥هـ وتوفي فيها سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٥م.

مهما كان امري مبنياً علـــى الســكون	قد كان مدعـــاة للحركـة رغـم ذلـك
لما تميزت عنـــدي الحالــة المفرحــة	تحرك عامل الشوق لتحريـــر الجــواب
أي الجواد الادهـــم المنفصـــم ايضــاً	الــذي قــد اوثقتــه الـهموم الطـــوال
لما كان طبع الفكر قد اصابـــه الكـبر	ولا البكر المضطربــة تطــاوع الامــر
إلا ان ذلـــك الاشـــتياق العـــارم	قد فرض على سعدي تحرير الجــواب
ايــها الشـاعر الســـاحر المفـــوه	النافخ بالروح في المعـــاني والمصـــور
العندليــب فـــي روضـــة الكمـــال	والخطيب فــوق منـبر المـــعارف
للعمــران وهــب حضـــرة للبــاري	احــراز فخـــار قصـــب الســباق
قــد جعلـــت محبـــوك حيســارى	كلما اتخذت مــن اوج الشــمس منـبرا
يــا ايــها المليـك المحـب المغتـم	ويــا ايــها الحبيــب الــودود الوفـــي
لا تمــر لحظـــة إلا وذكركـــم فـــي	الفــؤاد واسـمكم وارد فـــي اللســـان
بـــالله عليكـم كيـف الحــال يـــرام	وهل ان مزاجكم المعطر على ما يـــرام
في كل حـــال ادعــو لكـم بالســلامة	من الباري وصانكم مما يــورث النـدم
كان من دواعـــي امتنـــاني مــن كــل	الجهات الاخلاق الحميدة والطبع المتزن
كذلـك ديــوان فطنـــت[1] اللطيـــف	قـــد انجـــز وعــــد ارســـاله
كـــان الله فــــي عونكــــم دومــــاً	وزادكـــم قـــدراً واعتبـــــاراً
ان القائد العســكري الامــير احمـــد[2]	والمكتوبي العزيز الاوحد إلـــى القلــب

---

[1] يريد ديوان الشاعرة زبيدة فطنت خانم، المتوفاة سنة ١١٩٤هـ، وكانت قد عرفت بجزالة الشعر والقدرة على ارتجاله. ينظر قاموس الأعلام ج٥ ص ٣٤١٦.

[2] الراجح أنه أحمد بك وكان يشغل منصب (أمير آلاي) في جيش الموصل، وقد قتل، مع صالح السعدي، في أثناء حوادث ثورة ١٢٤٥هـ/١٨٢٧م. ينظر المختصر ص٣٥.

في معرض الخلوص والشوق الاوفر انهما يهديان اليك السلام
الارفع قدراً من اجله اصدقائي وينبوع الكرم بالنسبة لي خليل افندي
ليهدى إلى حضرتكم السلام الوافر مشفوعاً بالشوق الزاخر
المشتاق إلى لقيا جميع الاخوان صالح السعدي كاتب الديوان

ان مثل هذا الإنسان الفاضل والشخص الكامل، لجدير بان يتحف بكل انواع الكتابة واسلوب التحرير في كل فرصة سانحة ومناسبة مواتية، وتحركاً من هذا المنطلق، وليس من باب استعراض المهارة.

بيت شعر معناه

من السكر يتم تصنيع أنواع الحلوى في كل واحدة طعم جميل المذاق

فهذه المرة قد بلغت بي الجرأة إلى تحرير الابتهال الآتي بالأحرف المهملة وحدها وإن جاء مهملاً من المعنى في حد ذاته.

الترجمة العربية للرسالة المنظومة بالحروف غير المنقوطة وحدها

الاشجان أحملها في الفؤاد لا تمر لحظة إلاّ وانا انفث الهموم
هموم ما أن حملها جبل الطور إلا وقد اصابه التصدع
ان يبصر مثلما ابصر انا من الاوهام لاختل عقله واضطرب
ان قلبي مقطع ارباً ارباً بالاسى وهو مشحون بغبار طريق اللوعة
انني نذرت الرأس في ساحة الشجون فصرعني الكلال وطرحني ارضا
ان تسعفني فرشاة الرسام يكون بذلك للحبيب من حالي اعلام
ذلك هو أمام العصر الاوحد ذلك هو الهمام الساري الاسعد

هو الكامل اكمل الاكامل — هو العالم الحكيم بالعلم عامل

هو لمعامل الاصول سمسار — هو لمعمورة المصطلحات معمار

عنوان رسالة المراحم — العلامة في مطلع المعالم

ملك على ملك الكمال مالك — مملوك له كل من هو للكمال مدرك

محب ودود رؤوف — همام لاهل العلم عطوف

انه باسرار المسائل مصرح — وهو من اهل الورع والتقوى مصلح

ان السعود اليكم لواصل — وكل آمالكم وامانيكم لحاصل

شاركك الكأس المراد السرمد — لازمك في كل وقت السؤدد

فليكن صمصام كلامك لامعاً — وشمس علمك في العهد ساطعاً

ان يرد نكر اسمي على لسانكم — والسؤال عنا يخطر على بالكم

فلله التسبيح الممدود — ولبابه جزيل الحمد المورود

داعيكم ليس بشاك من أية علة — وقلبي عامر بدر المحبة والخلة

أما بسبب البعاد عنكم.والله — يطرأ الكأس على القلب كل وقت

فلما يصل السلام إلى سمعي — ازداد شوقاً اليكم ووددادا

بورودها إلى محل الوصول — صرت صاعداً قمة سرو السمو

احزاني السرور والحبور — لخذتني سكرة صهباء الكلام

الاداء الممدوح في اسلوبكم — هو الروح لموات قلوب أهل الحال

بالقياس إلى مدلول كلامكم — ليس كلام الناس إلا كلام

تلك لنغام داود في ريشتكم — حسدها العود في كل حال

لو كانت مرسلة من الملائك والحور — لما كان وصولها إليكم ببعيد

في كل لحظة يشتاق قلبي للقاكم — والله هو الشاهد العادل على نلك

ان تعرضت لقطع الرسائل فلا — ينبغي حرماني من معطر الخطابات

إن تسلم الرقاع عن الانقطاع يظل الوداد بين الاطراف قائماً

جعل الله سجل عمرك مرسوماً أما حسادك فذلك عنهم معدوماً

ان الاساس الامهد لصرح الكرم للقائد على رأس العسكر احمد

المورد للالهام والمصدر للحكومة البطل الطاهر النسب والأرومة

تلكما الوردتان في دوح الدلال اهدى إليها باكمام التحية والسلام

التوقيع: عندليب رياض الخلوص

والخطيب فوق منبر العشق والهيام

بما ان صيته قد طبق الآفاق اكثر من المرحوم سعدي الشيرازي فإن مخلصه الشاعري هو سعدي. أما في باب اجراء اللطائف واداء الظرائف فإنه عذب اللسان للغاية وحلو البيان.

صادف إني لما نزلت الموصل كان الشهر رجباً[1]. وقد احس في هذه الاثناء بأن خادمي مصاب بالصمم. فلدى انتهاء المقابلة وقيامي من مجلسه إذا به يخاطب رجاله قائلاً:

فليأت رجب خادم السيد

بما ان رجاله كانوا على علم بأن اسم خادمي ليس برجب، فانهم لم يدركوا قصده من وراء ذلك[2].

---

[1] ١٧ الموافق أوله كانون الثاني سنة ١٨٢٧م

[2] وانا بدوري لم أفهم ما هو المقصود من وراء هذا الكلام. المترجم.

وفي ذات يوم دار الحديث في مجلسه حول الطعام واصنافه والوانه ومذاقه.. وكل واحد منهم يضرب على وتر خاص إذا به يخاطبهم بهذه القطعة العربية ارتجالاً:

تركت الاتكال على الاماني وصرت صاحب اللباس المربحا[1]
وذلك انني من قبل هذا اكلت تمنياً فخربت ريحا

لما وصل القلم المتوشح بالسواد إلى هذا الموضع من ترجمته، إذا بزمرة الغوغاء في الموصل، بدافع الغدر والمضرة التي جبلوا عليها، يثورون على الوالي الرفيع القدر محمد امين باشا[2] ويردون شاعرنا شهيداً بسيف المظالم في هذه المعمعة[3] ففاض طائر روحه الشريف فوقع على شجرة الطوبى في دار النعيم.

---

(1) هذا الشطر مختل الوزن والمعنى.

(2) هو والي الموصل محمد أمين باشا بن عثمان بك الجليلي، تولى الموصل في ٢٣ محرم ١٢٤٥ واضطر إلى مغادرتها، اثر الثورة المذكورة، في جمادى الآخرة في السنة نفسها. كتابنا: الأسر الحاكمة ص ١٩٠ وقد فصلنا القول في أسباب هذه الثورة ومجرياتها ونتائجها في كتابنا: الموصل في العهد العثماني ص١٨٦-١٨٨.

(3) ذكر صاحب المختصر تفاصيل مقتله فقال "وخرج صالح أفندي من قوناغه (القوناغ لفظة تركية بمعنى القصر والمقر) يريد السراي حتى يكشف عن هذه الرزية، وإذا صادفه خبيث من رؤساء المفسدين يقال [له] سليم الجعيدي كان مقطوع الأنف كلب، فما أمهله فنزله من ظهر الحصان، وذبحه بيده في الطريق فاستشهد رحمه الله وكان عمره اثنتين وخمسين سنة" (ص٣٣).

بيت عربي

لا تنوحـــي إلا عليــه لديـــــهم   ما على كل من يمـــــوت ينـــاح

ولم يكن قتله ذا اهمية في نظر هؤلاء الاوباش الذين أعمت الغفلة بصيرتهم في الوقت الحاضر، ولكن لابد أن يأتي زمان تتقشع فيه سُـــحُب الجهل عن أعينهم ولسوف يدركون مدى خطئهم وسوء فعلتهم وليعضُّـــون بَنان الندم عند ذاك يوم لا ينفع الندم ويطرقون الرأس مشدوهين.

بيت عربي

ستفقدني قومي إذا جـــدَّ جدُّهـــا   وفي الليلة الظلماء يفتقد البـــــدر

والمرجو من عدالة المنتقم الجبار، أن يجعل وجود هؤلاء الاوباش الطغاة طعاماً لنيران أتون الفناء الحامي الوطيس في القريب العاجل ،اللهم آمين بحرمة النبي وآله الطيبين. وبسبب رابطة المحبة، لعلاقتي المشـتبكة به، فكلما يخطر بالبال، يضطرم كبدي ناراً، اضطرام الكباب فوق النـــار. فإنا لله وانا إليه راجعون.

ولم يتّجاوز ما عاشه من العمر في هــذه الــدار الفانيــة خمســاً وأربعين سنة. وفي هذه السنة، سنة الف ومائتين وخمسٍ واربعين[1] تبــوأ مقعده في قصر الجنان.

الترجمة العربية:

لم يكتب الخلود لاحد حتـــى الابــد	فالخلود خاص لذاته تعالى وحـــده
لا تدوم الدنيـــا هــذه أبــداً لأحــد	إن الله هو القائم على مستقر القرار

---

[1] حدثت الثورة في جمادى الآخرة من سنة ١٢٤٥/١٨٢٩م، ودامــت حوادثــها ٢١ يوماً، فيكون مصرع صاحب الترجمة في أحد هذه الأيام.وقد نقلنا في حاشية سابقة أن صاحب المختصر صرح بأنه كان في الثانية والخمسين حين قتل.

٢٥- سلّوم جلبي

مخلصه: سليم

ولادته: ١١٥٦هـ/١٧٤٢م تخميناً

وفاته: ١٢١٦هـ/١٨٠٤م

ذكر صاحب الباع الأدبي كاتب الخزينة سلوم جلبي

إنه قد تحدر من صلب علي الجلبي البغدادي الأصل والوطن. وقد شع نوره كالدرة القابسة في دكان الدهر الزائل، كانت عروس طبعه المتصفة باللطافة قد تملت بزينة القدرة على قرض الشعر وتجملت بها.

من ذلك انه لما غادر المرحوم سليمان باشا هذا العالم الفاني[١] وشد الرحل صوب رياض الجنان حسب قول الشاعر الفارسي:

بيت معناه

إن السماء المرتفعة الظافرة ليست بسفاكة

مع ان حطامها رأس كسرى وتاج الشاه برويز

أرخ وفاته بهذه الابيات من قلمه وجرى نحته على شاهد قبره[٢]:

الترجمة العربية:

ان والي البصرة وبغداد فخر الوزراء

---

[١] توفي سليمان باشا الكبير في ٨ ربيع الآخر سنة ١٢١٧هـ/ ٧ آب ١٨٠٢م..

[٢] في مقبرة الإمام أبي حنيفة. دوحة الوزراء ص ٢١٨، وينظر عن دفنه فيها وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان، بغداد ٢٠٠١، ص٩٦-٩٧.

حضرة آصف الدوران سليمان باشا

سئمت روحة العزيزة من هذه الدنيا الفانية

فقد اتخذ قصر فردوس الجنان مأوى لنفسه

وجوده الطاهر كان حفظاً مطلسماً لبغداد

لا غرابة في ما إذا نزف اهل الزوراء دماً في مأتمه

من الجدير ان يتشح خدمه وحشمه بالسواد

من المناسب ان يبادر بشق الجيوب كل الاجراء

فرحمة الله على ذا الذات الشريف في كل لحظة

واسبغ الله نوره على روحه الطاهرة

في مأتمه ظهر من ارخ وفاته يا سليم

فوا أسفاه مئة مرة ان سليمان باشا قد رحل[1].

كان سليم الطبع، نقي السريرة، خالص الطوية، لطيف المنـــاقب. لذا صار اسم سليم مخلصاً ادبياً له. وفضلاً عن ذلك فإنه لم يكـــن خـــالي الوفاض من ايراد ضروب الامثال والنكات اللطيفة.

بيت تركي معناه

لا غبار عند ضرب الامثال

---

[1] بيت للتاريخ بالتركية كما ورد في الأصل:

ما تمنده بيري جيقري ديدي تاريخ ســـليم   هله يوز حيف كه فوت اولدي سليمان باشا

انما العبرة لقول تورثه انت للناس

[1]وكان من رأيه تطييب قلوب الاحباب والاقارب وحتى الاجانب وذوي النسب، بالسعي في تمشية امورهم وترويجها وتقديم الخدمة لهم.

بيت فارسي معناه

إن الايام المعدودة للفلك الدوار ماهي اساطير وسحر

اغتنم الفرصة في تقديم الخدمة للخالق ايها الحبيب

ومع انه كان يعاني من نقص في الثروة واليسار والمكنة والاقتدار، ويعرف بضيق ذات اليد وحياة الكفاف والجفاف، إلا انه مشهور ببذل المال والسخاء والجود والعطاء للمحتاجين

بيت عربي

الطبع والروح ممزوجان في بدن ما يخرج الطبع حتى يخرج الروح

وقد تعرض مدة بفعل معاكسة الدوران، وبمقتضى التقيد الآلهي، إلى الفاقة والعوز لدرجة مرهقة، إلاّ أنه كان غني النفس بالمقولة القائلة: "اصبر على الشدائد فالصبر مفتاح الفرج". وفي آخر الأمر، ومصداقاً للآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]. فإنه في عهد وزارة علي باشا المقتول، واتاه الحظ بالتعيين في درجة كاتب الخزينة فأتاه الفرج وابتسم له الحظ اخيراً.

---

[1] هنا فقرة حذفناها لتضمنها نكتة فيها بذاءة.

[2] الشرح ٦.

بيت فارسي معناه

تلك هي سنة هـــذا الصـــرح القديـــم   حيث يضيق بك حيناً ويتسع حيناً آخـر

تجاوز عمره الستين في مستوطن الحياة، وفي ايام حكومة الوزير المشار إليه[1]، عام الف ومائتين وستة عشر[2]، حول زمام ركاب الســـفر نحو دار البقاء والقى عصا الترحال في جنة المأوى.

بيت فارسي معناه

لم يقتطف القلب أية وردة امل من روضة الاماني

إلا ووخزت روحه بمئة شوكة من الرأس إلى القدم

والفقير كاتب السطور سبطه. وهو بوصفه جدي الفـــاضل فلقـد احجمت عن كيل المديح إليه مراعاة لأصول الادب في مواجهة القـــارئ الكريم، واثرت جانب الاختصار في بحثه مختتماً الكلام.

---

[1] يريد سليمان باشا الكبير.

[2] أولها ١٤ أيار ١٨٠١م.

٢٦- الحاج عمر افندي الباغري[١]

مخلصه: سوزي

مولده: غير معلوم

وفاته: ١٢٢٧هـ/١٨١١م

ذكر استاذ النكات والمزاح الرمزي الحاج عمر افندي الباغري السوزي

هو بغدادي الاصل والوطن. كان ملماً بالنحو والصرف على قدر الكفاية، وكان في ساحة الادب الفسيحة، صاحب قصب السبق كمالاً في مستوى راغب[٢]، على ما ذاع ذلك لدى معارفه جميعاً

بيت للمؤلف بالتركية معناه

رأس فرسان المعرفة قدوة اهل الادب والكمال

قد اضفى على ارباب العلم الجمال

من روائعه الشعرية هذه للقصيدة من النوع المعروف بالترجيع[٣]

الترجمة العربية:

آن الأوان لكي اشق مني الجيب

---

[١] هامش المترجم: ان كلمة الباغر في التركية تعني البطن وسوزي يعني للحارق

[٢] ربما أراد محمد راغب باشا وقد تقدم التعريف به.

[٣] الترجيع: نوع من الشعر الفارسي ينظمه الشاعر بحيث يكون عبارة عن عدة أبيات من بحر واحد وقافية متحدة ثم أبيات أخرى من البحر نفسه بقافية مخالفة، ويفصل هذه القطع أبيات متحدة الوزن دون القافية. التونجي: المعجم الذهبي ص١٨٥.

واملأ القبة التاسعة بالآهات والحسرات
والعقل والصبر والراحة اجعلها سباقاً مع الأرض
فلا تعيروا ايها الاحباب ان هممت بالصراخ والعويل
لي داء كامن وليس عويلي جزافا
ان لم افصح عنه اهلك وان افصح فانا من المهلكين
أحنى الدهر ظهري بأحمال المحن فجعله هلالاً
ان سرو حظي لم يحظ بفرصة في العالم للاعتدال
اوقع الدهر للدنئ على مرآة القلب اكدار الملال
ما الضير لو اهيم في البراري بعد اليوم مثل المجنون
لي داء كامن.. وليس عويلي جزافا
ان لم افصح عنها اهلك، وان افصح فانا من المهلكين
لأجل القلب العليل هذا جبت أقاصي الدنيا
لم اظفر بالدواء المطلوب غير المعاناة بكثير من الاكدار
لا يزور الكرى عيني الدامي ليلاً حتى الأسحار
يا من سمعوا آهاتي واناتي لا تسألوا لطفاً: ما هي الأخبار
لي داء كامن.. وليس عويلي جزافاً
إن لم افصح عنها اهلك.. وإن افصح فأنا من المهلكين
على وجه الاماني اسدلت يد الفلك حجاباً
على مسلك الروح اوقعت اضطرابا
من سيول الدموع لابد وان يصير صرح البدن خرابا

ليس لدائي الوبيل دواءٌ كان ذاك جوابا

لي داء كامن وليس عويلي جزافاً

ان لم افصح عنه اهلك وان افصح فانا من المهلكين

مذ ان وطأت على ملك الفناء القدم

فساقي الدوران قد اذاقني الف كأس من علقم

مثلي مثل (موزي) المسكين احرق الجسم نار الهم

لا يكاد يغيب لحظة عن الروح والقلب الاذى والالم

لي داء كامن وليس عويلي جزافا

إن افصح عنها اهلك وإن افصح فأنا من المهلكين

ومن أعماله الرائعة البيت الشعري المفرد الآتي، وقد جاء على خير ما يعبر عما يجيش في صدور المغرمين واهل الهوى والاسقام، وما يعانونه من الاشجان والآلام:

بيت معناه

اينما اقلع قطار الهم والأسى حط عندي الرحال

فعلى ممر البليات صرت له منزلاً

ان البيت هذا قد جرى تخميسه من قبل اغلب الشعراء المعاصرين، إلا انه في هذه الايام التي اعمل القلم فيها هذه الصفحات، وقع في يدي تخميس من نظم على آغا الاندروني ابن المرحوم الحاج حبيب آغا، فالحق يقال انه قد جاء متفوقاً على كل ما قد نظم قبله في هذا

السياق. علماً ان الموما إليه لم يسبق له ان اشتغل في مجال النظم قبل ذلك، وقد جاء التخميس المذكور باكورة اعماله في وادي الشعر، وهو يبشر بمستقبل زاهر سيما إذا استمر في هذا الطريق، وعلى سبيل الترغيب والتشويق له على مواصلة المسيرة بالتدريج، اوصيته بالاستمرار في قرض الشعر مع اطلاق اسم (عالي) عليه كمخلص له. وفي حالة نظمه بعض القصائد وغيرها ولحين وصول فصول الكتاب هذا إلى حرف العين، فلسوف افرد له بحثاً خاصاً في المحل اللازم عند ذاك. أما التخميس المذكور فها هو:

المعنى

امست نخلة املي بفأس اليأس متكسرة

بينما كنت راكباً دار بي الفلك معاكساً فسقطت على الأرض

من شاهد شخصاً عاثر الحظ مثلي من العباد

من اين ما اقلع قطار الهم والاسى حط عندي الرحال

فعلى ممر البليات صرت له منزلا

والتخميس المذكور يتضمن ضروباً من الاغراض والمقاصد ومعانيها.

وحيث انه كان قد اعتزل الناس بفعل الفاقة الجاثمة عليه، وصل خبره إلى علم حضرة ولي النعم، فأراد حضرته تقديم مساعدة إليه فطلبه لمواجهته عنده. وفي الموعد المضروب، ما امتطى صاحبنا الجواد

للذهاب إلى المقابلة، فإذا به يهوى من صهوة الحصان ارضاً فيصاب بالكسور في يده، وذلك بفعل عدم التوفيق الملازم له، والحظ العاثر غير المواكب. وها قد عبّر عن سوء الطالع هذا في احد ابيات التخميس المذكور على النحو الآتي:

إن سوء الطالع يكون حائلاً للتوفيق كلما

حتى الطموح إلى طلب امر عزيز[1]

فلنعد إلى الصدد، فنقول أن المرحوم ذو قدرة في النظم باللغة الفارسية كذلك، وله قصائد عديدة بهذه اللغة. ولقد اجرى الدوبيت الآتي تخميساً كما يلي:

الترجمة العربية:

جعلت لنبال غمزتك في صدر الجسم درعاً

والكيان النحيل افنيته في سبيلك شوقاً

لماني القلب صرفت النظر عنها

وقد امضيت ايام العمر في هواك هباءً منثورا

طمعاً في نيل الوفاء منك جعلت الكبد بالصبر دماً.

ان نياحي وصراخي وصلت مسامع الناس اخيراً يا عديم الوفاء

بصمصام التغافل قطعت سلك آهاتي اخيراً

من شراك زلفك قد طار طائر القلب النواح اخيراً

ان يد الغيرة قد سملت العين بابرة الاستغناء اخيراً

---

[1] في الاصل امر محال. وما هو الجدوى من طلب امر محال. المترجم.

فانت كن كما شئت أما انا فقد صرفت النظر

وكان بارعاً جداً بوجه خاص في ايراد النكتة والمزحة في الوقت المناسب، مع أنه كان لطيف الكلام وظريف الحديث.

بيت تركي معناه

لا تقل مزحة لكل ســــهم كـــلام   ان وخز رأســـــه قلـــب الخليـــل

وكان جالساً في مضيف احد الاصدقاء يوماً مع بعض الخلان وهم يتجاذبون اطراف الحديث كالعادة، وإذا بخادم صـــاحب الــدار يحضـــر، ويبشر سيده بمولود انثى. ولدى استفسار احد الحضور عن الاسم الـــذي اطلقه عليها، كان الجواب: فاطمة.

فما كان من صاحبنا إلا وانبرى من مكانه قائلاً:

بن أولايدم آمنة قوياردم!

أي: لو قدر لي لسميتها آمنة. هذا في ظاهر الكلام، لكن في الباطن ثمـــة معنى آخر غير ذلك بطريقة التجنيس[1]، يأتي كمن يقول لوطأتها، ممـــا كان مدعاة للابتسام في وجوه الحاضرين.

وفي يوم آخر وفي مجلس آخر، تطرق الحديث ما بين الحضـــور إلى الموما إليه، حتى رماه البعض منهم بشدة النهم، فقال بأنه اكول. ولمـا فاتحه احد أصدقائه بذلك.. كان جوابه:

وهل بحثت انا عما تناوله هؤلاء؟

---

[1] تلك هي من خصائص اللغة التركية في بعض الحالات.

كان من رأيه في اغلب اوقاته، ادارة الوجه عن السابلة وغض البصر عن وجوه الناس، من الرائحين والغادين. ولما سأله احد الاشخاص عن سبب ذلك، اجابه قائلاً:

ذلك حذراً من ان يقع بصري على وجه بعض المنحوسين من امثالك.

وخلاصة الكلام انه كان بارعاً في استعمال النكات ولطيف المعشر. لذا فإنه كان معدود الخاطر من قبل المرحوم الكتخدا احمد باشا، المتخلص بيُمْني، المدرجة سيرته في حرف الياء[1]، وسائر وجهاء بغداد يتبادلون الزيارات معه ويعتزون به.

كان عمره ما بين الستين والسبعين، لما حضرته الوفاة ايام حكم المرحوم سعيد باشا. وفي سنة تسع وعشرين [ومائتين وألف][2]، استجاب لنداء: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[3] فولى وجهه شطر جنة النعيم.

بيت عربي

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

---

[1] تنظر الترجمة ٦٨.

[2] أولها ٢٤ كانون الأول سنة ١٨١٤م.

[3] الفجر ٢٧-٢٨.

٢٧- سليمان بك آل فخري[1]

مخلصه: سليمان

ولادته: ١١٧١هـ/١٧٥٧م

وفاته: ١٢٣٣هـ/١٨٦٧م

إن الموما إليه ينتمي إلى اسرة آل فخري السادات الكرام والنبلاء الفخام، كان مغرماً جداً بنبذ بردة الجهل والتزيي بكسوة الكمال.

بيت تركي معناه

إلام تهوى الظهور بالازياء الزاهية

---

(١) هو السيد سليمان بن حامد بن نقيب الموصل فخر الدين الصغير بن النقيب يحيى بن شمس الدين الباهر بن فخر الدين الكبير، والأخير هو الذي عرفت ذريته بالفخريين نسبة إليه (مذكرات فخري الفخري، بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠١، ص٣٢-٣٣)، ولد في الموصل سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م سافر مع أخوته الى بغداد حيث عاشوا في كنف عمهم السيد عبد الله الفخري كاتب ديوان الإنشاء ببغداد، وتولوا مناصب مهمة، من ذلك لن والي بغداد سليمان باشا الكبير عين سليمان المذكور متولياً على أوقاف الحرمين في الموصل (ياسين العمري: غاية المرام ص٣٦٠). وفي أثناء الحركات العسكرية التي قادها سليمان باشا الصغير والي بغداد المناوئة لولاة الجليليين في الموصل، سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، كان هو قائداً لاحدى فرق الجيش البغدادي، ولكنه أسر (ياسين العمري: غرائب الأثر ص١١٦ والموصل في العهد العثماني ص١٤٨-١٤٩) واختصر صاحب المختصر هذه الترجمة على نحو مخل، ولكنه أضاف إليها قوله "كان يتعاطى علم الفلسفة، وكان زعولاً، نطوقاً بلسان الفارسية" (ص٣٣)..

هات مزاياك من الكمال فبدونها ما أنت بموقر.

بالإضافة إلى كونه سليل بيت العلم والكمال وعريق النسب والأفضال، فتبعاً لمقولة:

لكل إنسان طبيعة شعرية، كان طبعه الشعري يجيش دوماً ويتدفق زلال الشعر الصافي من ينبوح قريحته وتروي غليل المتعطشين للمعاني وتطفيء حرقة قلوب اهل الهوي وارباب الجوى.

اتخذ من اسمه بعينه مخلصاً لنفسه. ومن جملة روائعه الشعرية هذا الغزل الذي نظمه نظيره المرحوم رونقي افندي في نفس الوزن والقافية:

ما أحلى ركن الاعتزال ان تتوفر لي اسباب العيش

وصهباء كأس التوحيد مترعة في يدي

لست راغباً في التسامي ولا يمر ببالي

ان كان لي في حمى الحبيب مأوى ألوذ به

لكنت الجم لسان الببغاء والعندل معا

لو كان لي خدّ ورديّ مثل للربيع الأول

الشعر يتطلب الشعور والنظم نظام الأحوال

لكنت من ارباب الشعر لو كنت خالياً من الهموم

لما كنت اتحمل منة الدهر الغاشم

لو كان مضيف الحبيب حمى لي

انني تلميذ درس الغرام وكفى يا سليمان

فكلما قال (رونقي) لو كان (فضلي) لي سراجا

لقد قال الشاعر حاوي افندي[١] المار ذكره في فصل سابق خاص به، شعراً على سبيل التنظير في الغزل أعلاه فجاء في غاية الابداع وإليك نصه:

الترجمة العربية:

لا أرغب في الصحراء ان يكن لي بستان في المدينة

ولا اميل إلى الرياض ان يكن لي خدٌ ورديٌ

لكنت استحق طرفاً من (كلاو) الحبيب[٢]

لو كان لي في القلب حرقة الحب كالشقائق

ولما اظلم صرح كياني على هذا النحو

لو كان ذلك البدر سراجاً في قلبي

لجعلت كأس الصفا مترعـــــــاً

لو اخلى لحظة واحدة من الهم والغم والأسى

أو كنت اتخذ من الشوك والحجر وسادة

لو كان فرش حريم وصل الحبيب فراشاً لي

بالله قل الحقيقة أفي ذلك شيء من حظ القدر

لو صار حضني لك مناماً ليلة؟

لكنت أثبت الوجود امام اهل القريض يا (حاوي)

---

[١] هو الأديب المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي، وقد تقدمت ترجمته.

[٢] الكلاو، من الفارسية كلاه: قبعة ، قلنسوة.

لو كان لي رغبة في الفضل والكمال والقدرة على نظم الشعر

ولقد قام هذا الحقير- كاتب السطور- بنظم نظيرة لمنظومة حاوي أفندي المذكورة الجديرة بأن تكون قلادة في نحور حور العيـــن. وإليـــك نماذج الترهات التي أستخرجتها من كوامن طبعي المشـــدود، والتـــي لا تساوي شيئاً من حيث القيمة:

التّرجمة العربية للأصل التركي

لا أميل إلى الفردوس لو كان لي بستان في حيكم

لا التفت إلى الغلمان والحور لو صار لي ذلك الخد الوردي

لا افصح عن حب ذلك القد الممشوق

لو كان لي في القلب كوة مثل الشقائق

في القلب لا تحترق فتيلة المحق

لو صار سريرها فراشاً لي ليلة

لا اعود ارغب في طاق الدهر السامق هذا

إن كان لي منزلاً في رياض قرية الحبيب

إن الصهباء المسكرة خير دواء للهموم

ولكنت امر بالحانة لو كنت مستطيع السير

فليسجلوا اسمي في دفتر المغرمين

لو فرغت لحظة واحدة من ذكر للحبيب

لو كان لك عقل لما سابقت يا (خطيبي) حاوي أفندي

خيل التنظير لو كان لي عقل

وبجانب مهارته في قرض الشعر، فإنه كان بارعاً في كتابة النثر أيضاً.

وبما انه كان كريم الطبع وسخي اليد وصاحب العطاء، فإنه كان مرهقاً بالديون دوماً، ينفث بالحسرات ويعاني من ضيق ذات اليد. وذلك مصداقاً للمثل الفارسي القائل:

لا يقر للمال قرار في أيدي الأكارم

بيت معناه

لا سبيل للبخل بحرف الجواز   لو نظرنا إلى المسائل في فقه الكرم

وفي عهد المرحوم الوزير سعيد باشا جرى اناطة متسلمية البصرة[1] إليه فتحسنت بذلك حالته المالية إلى حد كبير. وفي عهد سيدنا ولي النعم- دام ما دام العالم- ادخل في مصاف الندماء حيث نال الحظوة عنده. وظلت شمعة حياته مسرجة في فانوس بدنه طيلة اثنين وستين

---

[1] ارتبطت ولاية البصرة منذ ولاية حسن باشا والي بغداد (١١١٦-١١٣٦هـ/١٧٠٤- ١٧٢٣م) بادارة ولاية بغداد، فلم يعد يتولاها ولاة عثمانيون تختارهم الدولة المركزية، وإنما موظفون يختارهم ولاة بغداد بصفة نواب لهم، وقد عرف هؤلاء الموظفون بالمتسلمين، فسمى بعض الكتاب ولاية البصرة في ذلك العهد بالمتسلمية تجوزاً. (كتابنا: الأسر الحاكمة ص٣٩٩) وقد تولى سليمان الفخري هذا المنصب من سنة ١٢٢٨ إلى سنة ١٢٣٦هـ. الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢٦١.

عاماً. ثم في عام ألف ومائتين وثلاثة وثلاثين هب صرصر ريح الأجـــل فأطفأها، فارتقت روحة اللطيفة صوب قصر الجنان.

بيت معناه

لو صار المرء قلماً في الاستقامة وشمعة في الاحتراق

لما نجا برأسه من مقراض الفناء

٢٨- الحاج محمد أفندي[1]

مخلصه: سامي

ولادته: ١١٣٩هـ/١٧٢٩م

وفاته: ١٢٢٤هـ/١٨٠٨م

ذكر كاتب صحائف الفنون، سامي الحاج محمد أفندي ذي الشجون

ان الموما إليه كان مملوكاً لسعد الله آغا، رئيس خدم السيدة حرم عمر باشا[2] والي دار السلام ساكن الجنان.

وبناء على ابتداره مظاهر الصدق والاخلاص تجاه سيده، فلقد جرى تكريمه بعتقه وادخله في صفوف الأحرار جزاء ذلك.

بيت معناه

ما خسر من صرف ندات يده إلى الأماجد

ان يتلقى السماء الندى من الأرض بجود المطر

بما انه كان منصرفاً إلى تحصيل المعارف والأدب بكل جد ونشاط ليلاً ونهاراً فقد صار شاعراً مفوهاً وكاتباً بارعاً. أضف إلى ذلك كونه خطاطاً مجيداً لامعاً على خلاف حظه المنكود، فكان يمارس المهنة

---

(1) انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

(2) هو والي بغداد من أواسط ١١٧٧ إلى أواخر ذي الحجة ١١٨٩هـ(١٧٦٢-١٧٧٥م) وزوجته هي السيدة عائشة خاتون بنت والي بغداد أحمد باشا بن حسن باشا. ينظر كتابنا: عادلة خاتون، صفحة من تاريخ العراق، بغداد ١٩٩٧، ص٣٠- ٣٢.

هذه بجانب حرفته الدائمة في كتابة العرائض، مكتفياً بما تجلبه لـــه مـــن الرزق الزهيد، مولياً ظهره لتصاريف الدهر المعادي لأهل العلم والكمال.

شطر بيت فارسي معناه

إنما البقاء لمن يملك الحرية ويركن للقناعة

وإن الغزل الآتي قد نبع عن قلمه الزاهي:

شعر بالتركية معناه

جاء الرقباء يشكون ويستغيثون اليوم

هم جاءوا بقصد لعن الشيطان محضاً اليوم

في العين كحل في الكف حناء وفي الخصر حزام ذهبي

فوج من الأيدان الفضبة جاء إلى النزهة اليوم

إن ماء حسنك قد احرق الناس اذا الفؤاد احترق

هبُّوا يبثون الشكوى إلى حاكم العهد اليوم

انت بدورك يا سامي ادفع بجواد القلم الجامح

فكل ارباب الفنون قد نزلوا الي الميدان اليوم

ومن جملة رشحات قلمه هذا الغزل المتكون من خمسة ابيات قاله في وصف بلده أي مسقط رأسه، وهو نظم في غاية الابداع:

شعر بالتركية معناه

حبذا قطر يبهج الروح همـــــــذان

موقع وقع عليه ظل الألطاف الربانية همذان

كل فقير ينال فيها الغني وفق المرام

فهي بمثابة نمر يرخي ظلال الرحمة على المفلس هذا همذان

بستان جنانه ماؤه وهواؤه لطيف

فيها الكثير من الرياض ومحل صفاء همذان

طرحني الحنين إلى الوطن مريضاً كل يوم

لن مساكنك تهب الدواء الشافي للداء يا همذان

صفها بكل ما اوتيت من القدرة يا سامي

فهي جديرة بالوصف واحرى بالمدح هذه همذان

وفي ذات يوم كلفه المعاصر له الاوسطه صالح النجـــار الآتـــي الذكر في فصل قادم خاص[1]، بنظم قطعة نثرية شعرية لغرض درجـــها في اطراف كرسي صنعه بغية تقديمه إلى مقام الوالي السابق المرحـــــوم سليمان باشا[2].

فقد اخذ القلم حالاً وكتب الابيات الآتية ارتجالاً فسلمها إليه:

شعر معناه

نال الناس كلهم من نعماء موائدكم

فالشاكرون لنعمائكم واحسانكم هم في الميدان

لئن توجه القوم إلى تربة أقدامكم بالأماني

---

(1) تنظر الترجمة ٦١.

(2) الراجح أنه سليمان باشا الكبير، وقد سبقت الاشارة اليه.

يدفعهم القلب والروح فلا ضير في ذلك

إنني سامي النجار هديتي إلى حضرة صاحب الدولة

عسى ان تكون مقبولة هي كرسي بديع

بما انه صرح إشتهاره كان سامي الأركان، وشامخ البنيان، فلقد ذاع صيته بمخلص سامي في سماء الدهر اشتهار كوكب السماك الرامح. ولما كان نازحاً من تبريز وعرف بلقب ابن العجمي فقد التبس امره على بعض الناس، فحسبوه من الشيعة، وبغية درء مثل هذا الظن فإنه نظم القطعة هذه لتنبيه ذوي الاهتمام:

شعر معناه

بينما تبريز كان موطني.. هجرت الدار والديار

اكتسبت شرف الكمال في الزوراء حيث قر لي القرار

انني محب للرفاق الأربعة لا شك في ذلك قطعاً

حذار لأهل المظنة من سهام استيائي المارقة حذار

عليك الانتباه من نومة الغفلة بزيارة القبور

اذ كم من الاجساد راقدة فانظر واعتبر في جواري

ولما أدى فريضة الحج بطواف بيت الله الحرام وزيارة الروضة المطهرة لسيد الأنام واجراء مناسك الحج المقتضية، فإنه اسقط عن نفسه العج والثج. وعاش من العمر خمساً وثمانين سنة في بستان الحياة الزائل.

وفي عام ألف ومائتين واربعة وعشرين[1] انتشى بخمرة (الموت كأس وكل الناس شاربه)، فسار في سبيله نشوانا مخموراً، وحظيت عريضة حسناته بالقبول في حضرة الملك الغفار، واقترن رجاؤه بالاسعاف والتهميش ثم الحفظ.

بيت فارسي معناه

انما الدنيا بستان عتيد والانسان مثله زهرة متفتحة

والفلاح منهمك باقتطافها وفصلها عن فرع العمر

---

[1] ويوافق أولها ١٦ شباط ١٨٠٩م.

٢٩- السيد احمد أفندي[١]

مخلصه: سيد

ذكر سليل النسل المحمدي السيد احمد أفندي

انه نجل السيد عبد الله من السادات الكرام. وبفعل رغبته الشديدة في تعلم فنون الأدب وتلقيه اصول المعرفة من اربابها، ازداد ضوء مصباح الذكاء الموجود في مشكوة ذاته توهجاً، وبفضل استعداده الفطري خرج من دهليز الجهل وولج في رحاب العرفان النيرة.

بيت فارسي معناه

كن ساعياً بقلبك في طلب العلم والمعارف

فصاحبهما يعلو قدره في الزمان

وخلاصة القول فإنه بحسب كونه صاحب التصريف في فن الأدب والتقرير كما ينبغي، فقد ذاع صيته في الأنحاء المجاورة بوصفه استاذاً

---

[١] له في المختصر ترجمة تزيد في بعض تفاصيلها عما أورده صاحب الأصل، قال" إن هذا الذات أصله بندنيجي، فجاء أبوه إلى بغداد، وأخذ الطريقة على الشيخ خالد [النقشبندي]، وأرسله شيخه إلى البندنيج، فاستقام هنالك خليفة إلى وزارات (يريد: وزارة) داود باشا فقربه داود باشا ورغب به، فصار يكاتبه إلى أن صارت وقعة الأعجام، وجهزوا عساكر على بغداد، فعاد داود باشا يستنشق أخبار الأعجام من الشيخ المومى إليه، فيخبر داود باشا بما يقع من عسكر الأعجام، ومسكوا له مكاتبات متكلماً على الأعاجم بكلام شنيع، فجاؤوا الأعجام، وحاصروا بندنيج، فأخذوها قهراً، ومسكوا الشيخ المومى إليه وحرقوه في النار فاستشهد رحمة الله عليه" (ص٣٣-٣٤).

معلماً قديراً فتقاطر عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب لتلقي الدروس من بحر علمه الفياض.

فالتفوا حوله التفاف النقاط بالحروف، فكان لا يضن من جود علمه على أي تلميذ يتوجه إليه لينهل من فضله وكماله، وذلك من منطلق خير الناس من ينفع الناس.

حتى إنني الفقير، قد درست عنده كتاب (كُلُستان) الذي تأبى اوراقه عن التساقط بفعل الخريف، والعائد للشيخ سعدي الشيرازي، نظمه في بهاء الشمس. اليك النموذج الآتي وهو تخميس لغزل الشاعر فضولي البغدادي الذي طبق صيته الآفاق لدى الناطقين باللغة التركية بوجه خاص[1]:

شعر تركي

الترجمة بالعربية:

أمر بالهموم والغموم لمسي ويومي

لا يمكن الاعراب عن محني بالوصف والتعريف

لساني غير قادر على شرح شجى الفؤاد

إن جسمي في قطنة مرهم الكي مختف

ذا هو ردائي طالما أنا في قيد الحياة ولما اموت فهو كفني

اين للبلبل من تساوى عشقه مع عشق الفراشة

فالأول يشدو وهو في الوصل والثاني صامت حول المشعل

هذا لي نصح لك اصغ واسمع جيداً

انما الروح قد طلبها الحبيب ايها القلب فلا يمكن الرد

وما الداع للنزاع فهي لا ملك لك ولا ليا.

لم احظ بالنصيب من اهل الدنيا هذه

لم ينج القلب المسكين من طوق الذل والهوان

ان يرفع العقيرة بالأنغام فلا تحسب ذلك من الحبور

ان سهم آهاتي ليخترق الحجر شوقاً لشهد ثغرك

فليس من عجب ان شابه بيت احزاني بيت الزنبور

ان الكلام الأجوف هذا ليس له من يا (سيد) جدوى

إذ انني مدرك لأسرار حب الوطن

ان جفوة الغير في ازدياد مستمر كل لحظة

لا ولن اغادر حمى الحبيب يا (فضولي)

مهما كان فيه من الظلم فالوطن عندي لعزيز

ان غزل فضولي هذا المشتهر بين الأنام قد جرى تخميسه من قبل الشاعر فوزي افندي الاستاذ الكامل والمعلم الفاضل الذي سيرد ذكره في حرف الفاء، في الفصل الخاص به، فرأينا درجه هنا بهذه المناسبة:

شعر فارسي

الترجمة بالعربية:

بداء الغرام تمر ايامي على وسادة الهموم

فقد غدا جسدي يعاني من المحن بالياً

لا من احد يسأل عن حالي ولا من يداريني

ان جسمي في قطنة مرهم الكي لمختنف

هو ذا ردائي طالما انا في قيد الحياة ولما اموت فهو كفني

انما الدنيا هذه زائلة لا تدوم لاحد

ليس في وسعك القول إلى سهم الأجل: تمهل

كل ما هو مودع عندك امانة، يسترد منك فاعلم

انما الروح قد طلبها الحبيب ايها القلب لا يمكن الرد

وما الداعي للنزاع فهي لا ملك لك ولا ليا

هب هواء الحيف على منزلي الفقير

وتهافت نمل الجفاء عبر جبل المعاناة

يتدفق جرح القلب بالألم من دون الذقن

ان سهم آهاتي ليخترق الحجر شوقاً لشهد ثغرك

فليس من عجب ان شابه بيت احزاني بيت الزنبور

ان يد الأذى والجفوة للفلك الغدار

قد جعل الأشواك عشاً للبلبل الشادي

إنني بدوري يا فوزي لأعاني من ظلم الأغيار

لا ولن اغادر حمى الحبيب يا (فضولي)

مهما كان فيه من الظلم فالوطن عندي لعزيز

لقد جاء في رواية اصحاب السير، بأنه حدث في حيـاة الشـاعر فضولي البغدادي، أن أحد سلاطين آل عثمان- دام نسل سلطنتهم إلى يوم

القرار في نعيم الاستقرار – وهو السلطان سليم خان[1]، أنه استيقظ ذات يوم في وقت الفجر فوجد أناء الماء الموضوع عند رأسه قد تجمد الماء فيه بفعل برد الشتاء حتى صار قطعة واحدة، وفي تلك اللحظة ترشح عن لسانه الشريف الشطر الآتي بالتركية:

المعنى

رأيت قلعة فضية انحبس فيها الماء

ثم وقف عند هذا الحد، فلم يوفق في نظم الشطر الثاني.

لذا فقد كلف بالشعراء الموجودين في الأستانة العلية باتيان الشطر التالي اللازم لذلك لكي يتم البيت ويستقيم المعنى، فلم يوفق احد إلى ذلك. وفي آخر الأمر، لما كان صيت فضولي معلوماً لدى رجال الدولة عن طريق السماع، فقد تم ارسالي الشطر المذكور إليه بواسطة ساع مخصوص، لغرض اكماله من قبله. ولما كان الشاعر فضولي مغرماً جداً بامامي كربلاء والنجف، فإنه كثيراً ما يغادر بغداد لأجل زيارتهما ومجاورتهما ثم يعود إلى بغداد[2].

---

[1] يقصد السلطان سليم الأول (تولى السلطنة ٩١٨ وتوفي سنة ٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥١٩م).

[2] إنني لما كنت في كربلاء بحسب الوظيفة، عجت بعد الزيارة، إلى مكتبة الروضة الحسينية للاستفسار فيما اذا كان يوجد فيها بعض المخطوطات العائدة للشاعر فضولي وبخط يده لكي لمتع النواظر بكتابته. فجاء الجواب بعدم وجود شيء من هذا القبيل عندهم. وفي هذه الاثناء سأل احد السدنة عن جلية الخبر من زميله السادن الذي كان مهتماً بأمري. فكان جوابه إليه: إنه يسأل عن اعمال الشاعر=

ولما وصل الرسول إلى بغداد، كان فضولي قد خرج منها لمثـــل هذا الغرض كالعادة، فما كان من الرسول إلا أن سعى وراءه يطلبه فـــي الجهات المذكورة بلا تريث. ولدى وصوله إلى كربلاء، وجد في خـــارج المدينة شخصاً- وهو فضولي نفسه- يتهيأ للسير في طريقه إلى بغـــداد. ولما استفسر صاحبنا فيما إذا كان يعرف في هذه الأرجاء شخصاً* باســـم فضولي، كان الجواب بالنفي على النحو الآتي:

لا اعرفه ولا ادري به فلا أقول!

كان في هذا الجواب السلبي شيء من التورية لـــم يفطـــن إليـــها المأمور المذكور. إذ ما معنى قوله: فلا أقول!.

ولما نزل إلى المدينة وشرع يستفسر عنـــه، إذا بـــهم يصفونـــه بالصفات التي وجدها عليه في بوابة المدينة. وقالوا أنه قد توجه إلى بغداد قبل قليل. فقفل الموما إليه عائداً دون إضاعة وقت، حتى لحق به وهو يهم بالدخول إلى بغداد، فعاتبه على إخفائه هويته عنه لدى مصادفته إياه فـــي المرة الأولى، فكان الجواب على المنوال نفسه، لكنه شرح له العبـــارات واحدة فواحدة. وعلى اثر ذلك صرح له المأمور بأنه موفد من الســـلطان إليه خصيصاً بطلب إيجاد شطر ملائم ثان لشطر البيت الشـــعري الـــذي نظمه حضرته.

---

*فضولي.. ألم يكن يخدم هنا في وقته. فكان في جوابه كأنما يتحدث عن شـــخص كان موجوداً معهم حتى الامس، فالى هذا الحد كان معروفاً عندهم. المترجم.

فما كان من الشاعر الكبير إلاّ وأخذ للقلم فأتم البيت الشعري على النحو الآتي في الحال:

شعر معناه

رأيت قلعة فضية انحبس فيها الماء

لسوف تفتحها الشمس بالمدفع الذهبي من شرقها

ولما جرى عرض ذلك على السلطان، استدعى استحسانه وتقديره الكبيرين. كما أن ندماءه والرجال المقربين إليه قد أبدوا إعجابهم وثناءهم لهذا الإنجاز الأدبي الوجيز الرائع. وفي نهاية الأمر تقرر إيفاد شخص إلى بغداد لجلب المومأ إليه إلى جانب الدولة العلية، لكنه لشدة ولعه بمجاورة الإمام العالي الشان المشار إليه في كربلاء، وعدم استطاعته مفارقته لمدة طويلة، لذا فلقد دعا على نفسه بالسوء لكي يصاب بمرض بحيث يصعب عليه السفر معه، وفعلاً ظهرت بوادر القرحة على إنحاء شتى من بدنه، حتى وضع الطبيب لفائف القطن عليها عند المعالجة، وأمام الأمر الواقع هذا اضطر الموظف المذكور إلى صرف النظر عن تنفيذ الأمر[1].

---

[1] هذه الرواية يكتنفها الضعف من وجوه عدة، منها أن المصادر التاريخية والأدبية التي أرخت لسيرة الشاعر فضولي لم تشر إلى صلة ربطت بينه وبين السلطان سليم الأول، وإنما هي تشير إلى أن صلته بالدولة العثمانية بدأت يوم دخل السلطان سليمان القانوني بغداد سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م، وإن السلطان المذكور تعرف عليه وأعجب به أثناء اقامته ببغداد، ومنها أن بغداد لم تكن تخضع للعثمانيين في عهد-

فلنعد الآن إلى البحث عن شاعرنا السيد. ان حضرة سيدنا ولـــي النعم قامع أبنية المظالم، وقالع قلاع أهل البغي والمفاسد، أمر فـــي ســـنة ألف ومائتين وأربع وثلاثين[1] بتصنيع عدد من المدافع لمكافحـــة أهـــل الشقاوة في البلاد[2]، فنظم شاعرنا السيد للدوبيت الآتي من بـــاب تـــاريخ أعمال المدافع المذكورة بغية نقشها في واحد منها وقد ارتأينا درجه هنا:

شعر بالتركية معناه

إسكندري الشيمة، آصفي الخصلة، الخديو العادل

داود باشا حق عليه قول: إنا جعلنا

قد حددت تاريخ تصنيع المدفع الشبيه بالأفق

إلهي فليكن العدو الصريع طعاماً لنيرانه دوماً

=سليم المذكور، وإنما كان يحتلها الصفويون المعادون للعثمانيين، فمن المســـتحيل أن يرسل أي مسؤول عثماني رسولاً إلى مدينة يحتلها الأعداء ، وبخاصة لســـبب ثانوي كالذي يذكره المؤلف هنا.

(1) أولها ٣١ تشرين الأول سنة ١٨١٨م.

(2) أشار الكركوكلي (دوحة الوزراء ٢٨٩-٢٩١) إلى حركات عسكرية كثيرة حدثت في هذه السنة من عهد داود، لكنه لم يشر إلى لجوء داود إلـــى تصنيـــع المدافـــع محلياً، فهذا الخبر المهم مما انفرد به المؤلف. وقد ذكر الكركوكلـــي (ص٢٩٣) أن داود استقدم سنة ١٢٣٦ "كمية هائلة من الأعتدة والمدافع ومختلف الأسلحة منـــها خمس عشرة قطعة من المدافع السريعة الطلقات.. ثم أودعت الأسلحة المذكورة في القلعة".

علماً ان الشطر الأخير في النــــص الــتركي يتضمــن التــاريخ المصادف لسنة ١٢٤١ بحساب الأبجدية للحروف العربية. وقد حظي رسم وتحرير ذلك بالاستحسان الكبير.

وبما انه كان من أصحاب المروءة وعلو الجناب الذين يعاكســـهم الفلك الدوار دوماً حسب عادته، فلقد عانى من ضيق ذات اليد ونكد العيش مدة من الزمن. ومع هذا:

شطر بيت معناه

لا تطلبن في الدنيا راحة بل امتحان.

وعليه فقد ظل مثابراً على الاستقامة في مركز الصيد، إلى جاءته البشرى بـ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] ففي حضرة ولي النعم تحول عسره إلى اليسر واحتياجه إلى مُكنة.

بيت فارسي معناه

لا تيأسن فان فتاح باب المشاكل

إذا ما سد باباً في وجهك قد يفتح لك ألف باب

---

[1] الأنفال ٤٦.

٣٠- محمد سعيد آغا[١]

مخلصه: شوكت

ولادته: ١١٨٠ بالتقريب/١٧٦٦م

وفاته: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م

ذكر صاحب لواء ميدان الادباء، شوكت محمد سعيد آغا

إن الموما إليه هو ابن عبد الله آغا الماردينى. اشغل في أول أمره منصب المعتمد للمرحوم نجيب بك ويوده ماردين[٢]. وبما انه كان موهوباً بالاستعداد اللازم والقدرة المطلوبة في المجال الوظيفي فقد تــدرج يومــاً فيوماً حتى استوى في مصاف الموظفين الكبار، ففي عهد وزارة المرحوم سليمان باشا جرى تعيينه في منصب الويوده المذكورة.

بيت معناه

رُبَّ يوم يرتقي فيه الصدر عالياً

شخص بسيط كنت تعده راجلا

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر ترجمة له فيها بعض التفاصيل مما لــم يرد في الأصل.

[٢] ويوده: لفظة روسية الأصل Voivode تعني حرفياً: الجنــدي المــائق، اطلقــها العثمانيون على الموظف للذي تناط به إدارة بعض توابع الولايات، وقــد تــترجم بكلمة (متسلم)، وكانت ماردين في عهد مماليك بغداد جزءاً تابعاً لولايتــهم، وهــم الذين يرسلون إليها من يمثلهم في حكمها، فعرف هؤلاء باسم (ويوده) أو (متسلم).

بعد ان نزعت الرتبة المذكورة من عهدته، جاء ليستقر في مدينة دار السلام مدة، وقد اغبر عيشه للدرجة القصوى وتعكر صفـوه، لكـن واتته الفرصة السعيدة يوماً فنال عطف حضرة ولي النعم المقيـم لـوزن الأدباء، والملم بقدر أهل العرفان، فجرى تعيينه فـي منصـب متسـلمية كركوك[١] مرة ومن ثم في منصب ويوده ماردين مرة أخرى.

بيت معناه

دع عنك الأسى إن ظفرت بطريق الوصال

فلابد للمياه ان تجري في مجاريها العتيدة

كان ذا باع طويل في فن الإنشاء النثري، ومتمكناً من ناحية النظم الشعري، ففي مجال النثر يقف العقلاء إزاء سطوره مشـدوهين، وفـي ميدان الشعر يظل أهل الكلم المنظوم أمام قصائده فاغري الفاه لا يحيرون كلاماً. إن الدوبيت الآتي قد جرى اختياره نموذجاً مـن جملـة أعمالـه الشعرية:

المعنى

جد لنفسك سنداً كالوسادة تتستر به

لا تجعلن نفسك عرضة للدوس كالبساط

لما يفتح مفتاح القضاء قفل التمني

---

[١] كانت كركوك مركزاً لولاية شهرزور، ولكنها أصبحت منذ أوائل عـهد المماليك تابعة لولاة بغداد، مثلها مثل ولاية البصرة، وكان ولاة بغداد يرسلون إليـها مـن يمثلهم بصفة متسلمين.

كن ستاراً للمدخل وأفسح الصدر في باب الاتكال

وبالنظر لا تصافه بالعظة القائلة: من عرف نفسه فقد عرف ربه، فقد رماه البعض بالغرور والتعالي، وأطلقوا العنان لألسنتهم في اغتيابه، وهم عن قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ غافلون. فلما وصل ذاك إلى سمعه أطلق قوله هذا فألقم الأفواه المغرضة في مجلس كنت أنا أيضاً حاضراً فيه شخصياً:

بيت معناه

على الأعداء إلا يطيلوا اللسان ورائي

وهل يحتاج الإنسان غير المريض إلى زرق الإبرة؟

وصادف في يوم من الأيام كنت وإياه معاً في منزل أحد كبار القوم، لتناول طعام العشاء، وكان الشلغم أيضاً من جملة الألوان المقدمة، ولما لاحظ أني عزفت عن طبق من اللون المذكور تلا لي البيت الآتي في الحال:

شعر معناه

لم نعد حتى شلغماً عندك أيها الحبيب   مع انه كان لنا البقاء عند أبناء جنسنا

ولدى ترديدي هذا البيت في مجلس آخر بمناسبة أخرى، ذكر فضل الله أفندي[1] الكاتب حالياً في ديوان حضرة ولي النعم: أنني احفظ البيت هذا بصيغة أخرى وهي:

---

[1] سيترجم له فيما يأتي من هذا الكتاب.

بيت معناه

بينما كان عمامتنا فوق الطربوش على الطراز الجزائري

لم تعد عندك أيها الخال حتى بقدر الشلغم

وفي خلال أيام عزله وبطالته، لم اكن انقطع عن زيارته قطعـــاً. وفي ذات يوم حضر شخص عنده في المجلس وشرع يشكو عـــن ســـوء وضع بيته لكونه عنده زوجتان، ويبدي التذمر والتضجر لما يعانيه علـــى يديهما من المشاحنات، فما كان من شاعرنا إلا وأملى البيت المفرد الأتـــي عليّ في الحال:

المعنى

يختل نظام داره فلا يجد للحل ســبيلاً　　كل من كان له زوجتان تحت نكاحـــه

وانا بدوري نقلت القصة التالية من قبيل الاستطراد:

سبق أن وصل إلى سمع إعرابي، بان من لم يـــتزوج بزوجتيـــن اثنتين لم يستطعم شيئاً من حلاوة الحياة، وعليه فقد ذهب وتزوج بزوجتين اثنتين الواحدة تلو الأخرى في مدة مناسبة. ولم يلبث ان اصطدم بـــالواقع المر في وقت قصير فأنشد القصيدة التالية يشكو عما آل إليه حالـــه فـــي البيت من السوء:

تزوجت اثنتين لفـــرط جـــهلي　　بما يشـــقى بـــه زوج اثنتيـــن

فقلت أصـــير بينـــهما خروفـــاً　　وانعـــم بيـــن اكـــرم نعجتيـــن

فصرت كنعجة تمسى وتضحـــى　　تـــدارك بيـــن اخبـــث ذئبتيـــن

رضى هذي يهيج سخط هـذي | فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل بؤس | كذاك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى | كذاك الضر بين الضرتين
فان أحببت ان تبقى كريماً | من الخيرات مملوء اليدين
وتملك ملك ذي يزن وعمر | وذي جدن وملك الحارثين
وملك المنذرين وذي نواس | وتبع القديم وذي رعين
فعش عزباً فان لم تستطعه | فضرباً في عراض الجحفلين

وكما سبق وأشرنا أعلاه فإنه قد جرى تعيينه في منصب ويوده ماردين للمرة الثانية[1]، فقر بذلك ناظره ظاهراً، إذ لم يلبث بعد ان سافر إليها مستصحباً معه أهله وعياله، أشهراً قليلة، إلاّ وأصيبت زجاجة عمره بحجارة الأجل الموعود، وفي عام ألف ومائتين وواحد وأربعين تحديداً وافته المنية.

وكان عمره العزيز قد تجاوز الستين، ومخلصه الشاعري المتواتر في أفواه الناس هو شوكت.

---

[1] ذكر في المختصر أنه لبث يتولى هذا المنصب نحو ثمانية أشهر، وبعدها تمرض فقدم بغداد ليبقى فيها ستة أشهر أخرى حتى وفاته.

٣١- عيسى أفندي البندنيجي[١]

---

[١] كتب المؤلف هذه الترجمة وصاحبها لم يكن قد غادر مقاعد الدرس، وإن كانت مخايل النجابة والنباهة ظاهرة عليه، تبشر بمستقبل محمود في مجالي العلم والأدب. ولعل من المفيد ذكره هنا أن ظن المؤلف لم يخب، فقد تبوأ عيسى صفاء الدين البندنيجي مكانة عالية فيما بعد تأليفه الكتاب، حتى صار يعرف برئيس المدرسين، ودرس على يديه عدد كبير من علماء بغداد في عصره، منهم السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف، ورئيس الوزراء في أول حكومة عراقية بعد ثورة ١٩٢٠ وغيره، وله مؤلفات أهمها (تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان) وهو ترجمة موسعة باضافات كثيرة عن الأصل التركي الذي وضعه المؤرخ العراقي مرتضى آل نظمي المتوفى سنة ١١٣٦هـ. وجاء في ترجمة خطية، غير معروفة الكاتب، مثبتة في أول هذا الكتاب أنه "كان فصيح الكلام عذبه، ذكياً جيد الفطنة والادراك والانتقال والفهم، حاضر الجواب، خفيف الروح، جسراً عاقلاً مدبراً.. ذا حافظة قوية، ونظم لطيف، ونثر عال، وانشاء في الألسن الغريبة، ومعرفة للألسن مثل العربي والفارسي والتركي والكردي والفرانساوي، وخط بديع في جميع ذلك وغيره، شفاف الطبع، مرتب الهيأة، عالماً بالنحو والصرف والمنطق والفقه والأصول والكلام والجدل والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها من العلوم العقلية والنقلية.. ذا دقة في الأمور وحسن توقيع لها، حسن الرمي والسباحة، مهيأ الأسباب لكل أمر، عارفاً بالطب والرمل ونحو ذلك". وزاد صاحب المختصر (ص٣٤) معلومات لم ترد في الأصل، منها أنه تزوج من كريمة حفيد السيد علي البندنيجي، وهو الذي ترجم له المؤلف فيما سبق، وهذه السيدة هي صالحة خاتون بنت علي بن حسن بن علي المذكور، وتنظر ترجمته في محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، بتحقيق عبد الله الجبوري، الرياض ١٩٨٢، ص٢٠١-

مخلصه: صفائي

ولد سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م

توفي سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م

ذكر جامع مجاميع الفنون والفضائل، عيسى أفندي البندنيجي ذي الشمائل

هو ابن الشيخ موسى البندنيجي الآنف الذكر. انصرف بمقتضى شدة الفهم والإدراك الكامنة في جبلته، إلى طلب العلم بكليته منذ نعومة أظفاره. ولما صار يستمتع بحلاوة العلم والتعلم أخذت بوادر الحسد والغيرة تظهر في وجوه الحساد والمغرضين ممن حوله يريدون ايقاع الأذى به، لكنه لم يأبه بهم، وهو لا زال ماضياً قدماً في سبيله، ولسوف يكمل الدراسة عن قريب ان شاء الله الرحمن. فمن قبيل الاستطراد نسوق القطعة العربية الآتية:

رضينا قسمة الجبار فينا   لنا علم وللأعداء مال

فان العلم يفنى عن قريب   وان العلم باق لا يزال

=ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية، بتحقيقنا، بغداد ١٩٩٧، ومحمد صالح السهروردي: لب الألباب ج١ ص١١٣ وخليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر ص١٨٩، ولويس شيخو: الآداب العربية ص ٩٨ والزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٩٧ وكحالة: معجم المؤلفين ج٨ ص٣٥، وكتابنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني ص٢٠٢-٢٠٤، ولنا في سيرته دراسة مفصلة بعنوان (صفاء الدين عيسى البندنيجي، حياته وآثاره) نشرت في مجلة المورد، المجلد ١٣، العدد ٢، ١٩٨٤، ص٣-٢١.

كان متزن الطبع مستقيما، وذهنه صاف وغير سقيم. وهو على قدرة كافية في النظم باللغتين العربية والتركية، له أساس متين في ذلك الباب.

لمنشئه ما معناه

إنما الشعر زينة طبع الإنسان   وحلية مجلس أهل العرفان

وفي ساحة قرض الشعر باللغة التركية فهذا الغزل الآخذ بالألباب والغاية في الفن من نتاج يراعه البارع وهو من طراز الملمع:

الترجمة العربية:

على حين غرة رفع الحبيب النقاب   ففي القلب والروح الف اضطراب
فقد زال من لوح لقلب كل ما سواها   إذ لم يعد ما بيننا أي حجاب
ان ليلى قد سقتني خمرة   درت شوقاً وغراماً بالشراب
صفا قلب (صافي) عن غيره   فاعلموا.. والله أعلم بالصواب

واتباعاً للنص الشريف القائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، فلقد انصرف حضرة ولي النعم إلى تشييد الجوامع، وترميم الأربطة والصوامع، فأدامه الله ما دام العالم. ومن جملة مبراته المحمودة هذه إنشاء جامع في محلة الحيدر خانه[1] من محلات الجانب

---

[1] من جوامع بغداد الكبيرة، عرف بقبته الضخمة، ومصلاه الواسع، وأبوابه العالية، وهو نموذج لما وصلت إليه عمارة الجوامع في بغداد في عهد المماليك، ولم يكن=

الشرقي، فإنه أسسه وأنجزه لوجه الله تعالى مؤخراً. وثمة بوابتان اثنتـــان سامقتان لهذا الجامع، فنظم شاعرنا بعض القطع الشعرية في بيان تـــاريخ تشييده، نقشت على البوابتين المذكورتين، وإليك بعض الأبيات منها[1]:

هو البيـــت مـــا أبـــهاه لله معبـــداً ومأوى تسامى واستنار من الهـــدى

يقيم به الخمس الرواتـــب عصبــة يخـــرون فيــه راكعيـــن وســـجداً

فكيف وقد شادته أيدي امرئ ســما وفاق على الأسلاف مجداً وســؤددا

مليك الورى داود أصـــف عصـــره ولا زال محفوظ الجنـــاب مخلـــدا

ونادى به راعي الفـــلاح مؤرخـــاً إلا جامعـــاً بـــالبذل داود شـــيدا

التاريخ الآخر

ألا حبذا بيت حوى الرشد جامعاً محاسن تهدى الناسكين لوامعـــا

حوى ببديع الصنع حسناً وبهجةً ولاح به نور العبـــادة ســـاطعا

=داود باشا هو أول من أسسه فقد عثر في أثناء ترميم أجري فـــي ســـاحته ســـنة ١٣٩٢هـــ/١٩٧٢م على رخامة تشير إلى قيام من اسمه حســـن بتعمـــيره ســـنة ١٢٠٧هـــ/١٧٩٢م. ومن الراجح بحسب خطط بغداد أن يكون أصل هذا المســـجد مسجداً قديماً أنشأه الخليفة الناصر لديـــن الله (٥٧٥-٦٢٢هـــــ/١١٨٠-١٢٢٥م) وكان يعرف بمسجد سوق الخبازين نسبة إلى السوق المجاور، وقد عـــرف هـــذا السوق في العهد العثماني بسوق باب الأغا القديم. ينظر كتابنا: معالم بغـــداد فـــي القرون المتأخرة، بغداد ٢٠٠٠، ص١٩٥-١٩٦.

[1] من المؤسف أن أزيلت هذه الأبيات من على بوابتي الجامع منذ عهد بعيد.

جزى الله من قد زانـــه بنوالـــه	وشيده لله فـــي الأجـــر طامعـــا
هو العزم داود السرى اخو العلا	وياسل رزم بالفضـــائل دارعـــا
بناه ولمـــا تـــم قلـــت مؤرخـــاً	ببذل نـــدى داود شـــيد جامعـــا

أما من حيث العمر فلم يصل إلـــى الثلاثيـــن بعـــد فـــي الوقـــت الحاضر[1]، وهو في مجال بحر العروض غواص للأعماق. وقد تلقيـــت بعض الدروس في النحو على يده. فجرياً على قاعدة: من علمني حرفـــاً صيرني عبداً، فإنني مدين له بالشكر كثيراً من كل الوجوه، ولا يمكننـــي الخلاص من عبء ذلك بسهولة وإني قاصر عن إيفاء حقه كل التقصـــير، فاعتذر عن كل ذلك من كل قلبي. والاعتذار عند كرام الناس مقبول.

بما انه كان من زمرة اهل الصفاء فلقد صار عنوان (الصفـــائي) مخلصاً له.

---

[1] هذا ما كان عليه في أثناء تأليفه الكتاب، وقد ولد سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م وتوفـــي في ١٧ رجب سنة ١٢٨٣هـ/١٤ تشرين الثاني ١٨٦٦م.

٣٢- مصطفى أفندي النعلبند[1]

مخلصه: صافي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر ابي ضائقة المعارف، صافي المخلص،

مصطفى ذي اللطائف

هو ابن الأسطه أمين النعلبند[2] البغدادي الأصل والوطن، بحسب كونه ذا حظ من القابلية والاستعداد بالفطرة، فقد سار في أثر أهل الأدب ملازماً لاولى الألباب، فتسنى له اقتطاف بعض الأثمار من نخلة المعارف مع جني شيء من المحاصيل.

بيت تركي معناه

وما الضير لو لم يكن في الولد ما يشبه الآباء والأجداد

فالعلم هبة الرحمن لا يناله كل الورى

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، واختصرها صاحب المختصر ص٥٠- ٥١ ولكنه سماه (صافي مصطفى خروس أفندي نجل أمين للبيطار).

[2] النعلبند كلمة مركبة من العربية: نعل، وبند الفارسية: قيد، مادة، وهي تعني اصطلاحاً: البيطار. ينظر محمد علي الألسي: الدراري اللامعات، بيروت ١٣١٨، ص٥٢١. وآل النعلبند أسرة بغدادية قديمة كانت تسكن محلة الحيدرخانه من محال بغداد الشرقية، من سراتها سعيد أفندي بن موسى أغا بن أحمد أغا، وقد وقف داره على ذريته بموجب وقفيته المؤرخة في ٢٨ رمضان سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م. كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، بغداد ٢٠٠٠، ص٣٠.

لما استنارت ذاته بالأدب، جرى قبوله في المصرفخانة بصفة كاتب متدرب في أيام وزارة المرحوم سعيد باشا، وفي عهد حضرة ولي النعم الملتزم بقواعد العدل تم تعيينه في وظيفة الدفتردار بالبصرة.

نثره لطيف ونظمه ظريف، من جملة نتاجه الشعري الرائع هذا التخميس النابع من قلمه المبدع:

المعنى

انما النفس والاماني قد جعلت المرء تحت منة الآخرين

فكم من عاقل جعلته مقيداً بعقال الاغبياء

بما ان الناس يتوخون الفضل واحداً من آخر

فكل واحد منهم أوجد لنفسه باباً وانتمى إليه، فيا قلبي

توخ الانتماء إلى بوابة صاحب الدولة الذي لا يزول

في هذا الباب لكاتب السطور أيضاً:

المعنى

لا تتوسل لا إلى الشاه ولا إلى الباشا ولا إلى الأمير

فالله هو المنعم بالرزق على عبده أينما كان

الكل في تمني الفضل سواء كان الأمير او العبد المملوك

فكل واحد منهم أوجد لنفسه باباً وانتمى إليه، فيا قلبي

فتوخ الانتماء إلى بوابة صاحب الدولة الذي لا يزول

كذلك الغزل الأتي هذا من روائع ريشته البارعة:

المعنى

كل قلب احتوى الصدق والمحبة في داخله

يشبه مرآة تحتوي حسن اللطافة في داخلـــها

رأيت شرحاً في مصف ذلك الثغر الجميل

لهي نسخة نادرة تضم كل الحلاوة في طياتها

لا تمدن اليد حتى وان كان من طعام الجنان

كل مائدة فاحت بنكهة الامتنان

يا صافي لن علبة الأعمال ظلت خالية خاويـــة

لا شيء فيها من نقود العبادة أو من بنود الطاعة

ومع لن اسمه مصطفى ومخلصه صافي، الا انه قد اشتهر بلقـــب الديك،حتى وصل صيته إلى ديك العرش بهذا العنـــوان. وهـــو نمـــوذج لشخصية فريدة في بابها، لكن الظاهر انه لم يتلق أي نصيب من العظــــة القائلة ومعناها:

إياك والتكبر كيلا تحرقك نار الغيرة كالشمعة

فكان عقله خالياً من مثل هذه النصح، ولم تكن له دراية بالمقولـــة القائلة: من تكبر تكسر. فكان مغتراً بنفسه الى حد كبير، شـــامخ الـــرأس يقترف الأعمال الرديئة بلا مبالاة بفعل الطيش والاستهتار، لـــذا اصـــاب الذبول اوراق صحبته في نظر الناس، أضف إلى ذلك لمؤلفه:

المعنى

له اسم ولكن ليس لـــه وجـود   كيميـاء طـائر العنقـاء

وكان يدعي ممارسة فن الكيمياء والضلوع فيها.

بيت عربي

واو الوفاء وكاف الكيمياء معاً   لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

مع انه قد جرى ردعه ومنعه من مثل هـذه الصناعـة الباطلـة بالنصح والإرشاد، الا ان كل ذلك لم يفد معه فتيلاً، وفي نهاية الأمر فـإن الإكسير النادر في الزمان والكيمياء الخالص في الدوران، حضرة صاحب الدولة ولي النعم- دام ما دام العالم- سيدنا الوزير، لمجرد إثبـات كذبـه وفضح دعواه الباطل أمره بإنجاز التجربة المذكورة فعلاً لتبيان الحق عن الباطل واثبات مدى هذه الدعوى من الصحة، فبادر هذا الصفر اليد وخالي الوفاض بتهيئة الوسائل والأسباب اللازمة لذلك في الحال وانصرف للعمل بجهد جهيد فوراً، وأخيراً:

مقولة عربية

من ادعـى مـا ليـس فيـه   كذبتـه شـواهد الامتحـان

إذ لم يحصل على أية نتيجة صحيحة من وراء تلك المحـاولات اليائسة فطلع من المختبر صفر اليدين يتعثر في أذيال الفشـل. وبمـا أن

دعاويه الباطلة مصهورة في قالب الكذب، ومصبوبة في بوتقة المغالطـــة، فإنه رغم ظهور معدنه النحاسي إلى وضح النهار وضوح الشمس، إلا انه لم يرتدع من كل ذلك، بل ظل هائماً في متاهات الهوى يضرب الأخمــاس في الأسداس بلا طائل حسب عادته القديمة المستحكمة ولا ثمرة. لذا صار عرضة للتهكم يوماً بعد يوم.

بيت فارسي معناه

وان كان الديك شاطراً في العــراك   ما حيلته أمام مخلب الباز الفتـــاك

وبما ان المصير البائس الذي آل إليه حاله أخيراً، والـــذي جـــاء مغايراً لحالته الاجتماعية المحترمة التي كان يتمتع بها في سابق الأيـــام، فلقد أمسى غارياً في الاغتراب، يعيش نائياً معتزلاً عن الخلان والأحباب، مجانباً الأتراب والأصحاب[1].

---

[1] في المختصر أن داود باشا حبسه بسبب فشله في إثبات صدق مقالته فـــي تحويـــل النحاس إلى ذهب، ثم عفى عنه وجلس في بيته مدة سنة كاملة بعده، حتى وفاتـــه سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م.

٣٣- صالح أفندي كاتب الباب[١]

مخلصه: الاسم نفسه

مولده غير محدد

توفي سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م

ذكر العارف باللغات بلا حساب، صالح أفندي كاتب الباب

هو ابن رستم آغا الكردي الأصل[٢]. بوصفه قاموساً للغات الغريبة وصحاحا للكلمات العجيبة، فإن أنامل الفحول قصرت دون حل عقد عباراته المستعصية، ولا يجد افضل الرجال الى ذلك سبيلاً.

بيت معناه

لا تتوخى من كل طبع معنى طيف فهل يلد روح الله من كل مريم

وخلاصة القول ان أبواب نثره ونظمه مغلقة مستعصية من وجوه عدة. ومن جملة أعماله الفريدة في بابها، انه نظم ثمانياً وعشرون قصيدة جاءت قوافيها بحسب الترتيب الألفبائي تباعاً، فأعماله الشعرية مكتنفة

---

[١] انفرد للمؤلف بالترجمة له، وله ترجمة في المختصر (ص٥٣-٥٤) فيها بعض التفاصيل مما لم يرد في الأصل، منها أنه قدم إلى بغداد في عهد واليها علي باشا القتيل، وعمل كاتباً بالمصرفخانه، وإنه كان "وقوراً قليل الكلام متواضع (يريد: متواضعاً) للأنام، وكان ماهراً في علم الهيئة والهندسة، وكثيراً كان يطالع في نسخ العقائد والتفاسير.. وكان مزاحاً يحب أن يمزح مع من يألفه مزحاً من غير أذى.. فإنا الفقير كثير كنت أجالسه، فبتاريخ سنة ١٢٤١ توفي رحمه الله تعالى".

[٢] في المختصر (من أكراد عشيرة الصالحية).

ومحفوفة بالمعاني الرمزية المعماة حتى عن أربابها كما يبين هــو ذلــك أيضاً. فكل لغة منها قد أورد معناها في الهامش كأنما أراد تكحيل عيــون الأعداء والحساد بذلك. وها نحن نقدم في أدنـــاه واحــدة مــن القصــائد المذكورة:

الترجمة إلى العربية:

للسلام يا فخر العالم ويا أيتها الوردة الحمراء في الجنينة

السلام يا شمعة جمع الأنبياء ورئيـــس الآل

من أوراق الوردة في كل لحظة سلاماً جديـــداً

في روضتك الطاهرة من الأزهار لجناح مشــيد

سلاماً مطليا بطلاء النور الإلهــي المنجلي

سطع في ضريحك واستتــــار هدى للســالكين

من درج القلب سلاما يا لؤلؤ أصداف الكون

بشـــــوقك يترنم القلـــب(*)

ليتني كنت هالة حول جيدك أيها البدر المنير

ماذا لو أجالت عيني النظــر حول حمــاك

أنني صولة السلام أيها المحــبوب في الدارين

ان مادة لطفك لهي الإكسير لي في كل الأحــوال

سلاماً يا زينة عالم الوجــود رحمة بحالـــي

هات واظلل على رأسي ظلة من الشـــفاعة

(*) هنا كلمة غير مفهومة مع الأسف ضرب بها المثل في سياق الكلام

أنني لمثقل بحمل الخطايا السـلام؛ عفـــــواً

رحماك بالظهر المقـوس والســـلوك المعوج

تقبل علي بقبول ظرف ســلامي لطفــــاً

في يوم وعد الله لا تجعلني من أهـل المذلـــة

يا طبيبي سلاماً بي تكرماً بعليل الفـــــؤاد

قطرة من ينبوع الهدى النابع بالحليب والســـكر

يا كامل أولاد آدم يا نور عيني الســـــلام

كم يخط بميزان عدلك كل ناقص عيـــــار زال

خطاباً من القلب السلام على تربة حبك وهواه

من عين انتظـــاري حارق الدمع ســــــــــال

مادة الكل السلام يا شـــــافع يوم الجـــزاء

من ذا غيرك قد شال عن أمتــــه عبء المآثم

اســـــمك افديه بقلبي يا محمــــــد السلام

إلى متى يظل هجرك يصول علي كالغضنفــــــر

سلطان ملك الرسالة جئتك مستغيثاً الســــلام

يجرعني نائيك كأس الضـــــــــلال الدامي

جئت من عالم الجمد يا حبيبي الســــــلام

أرجو ماء لطفك بعث الحياة في جسمي من جديد

يا فهرس مجموعة الأعيان المشــــهودة سلاماً

لا تنظر إلى دفتر إجرامي بل كن لهذا الفقير ظلاً ظليلاً

يا صادق الوعد ويا أمين وحي القرآن ســلاماً

لم يكتب لأحد من الأنبياء مثلك من المقـــــدار العالي

يا قدسي الذات سلاماً يا من أفتدي وصله بروحي

تقبل هذه الروح ولن كان سوق وصلك عزيزاً وغـــالياً

يا رحمة الحق السلام لأجل رؤية محيـــــاك

ثم فتح مصحف حســـــنك فجاء فأل حســـــــن

يا قائد ميدان ملك الفصاحة الســـــــــلام

ان سلطان الكلام قد ربط حزام ســـــــرجك بشعرة

لأجعلن تراب عتبتك تربة الســــــلام الطاهرة

بإمعان البصر جرت إذابـــــــة تربة الابريــز تلك

يا ثاقب للسموات السبع والعرش والكرسي[1] سلاماً

لليلة الظلماء أغرقها وجهـــك الوردي بأنوار اللآلي

يا خازن الأسرار الخفية والظاهرة ســــــلاماً

من عين لطفك قبس من النور الذهبي ســـــلط علي

يا نخـــــــر أرباب الحاجة والمرام ســـلاماً

إنما الأبرار الواقعون في سجدة التسليم عند بابك كثيبون

يا مضعضع الأديان الباطـــــــــلة سلاماً

ومالي من أهوال الحشر ولي مثلك ســـــــند ومتكاً

---

[1] الإشارة إلى المعراج. وأقول: ان هذه اعوص قصيدة وقع عليها بصري في طــول حياتي إذ أن فك رموزها يحتاج إلى كثير من الجهد والخبرة السابقة. **المعرب** .

لقد أحرقت شمعة حسنك الظلم والكفر عليك سلاماً

ان دائرة الهالة لا تصلح أن تكون مصباحاً لشمعة حسنك

الغاية من كل هذا السلام لو تفضلت: وعليك السلام

تعيد النشاط في صالح هذا البالغ من الكبر عتيا

٣٤- الملا مصطفى[1]

مخلصه: صافي

ولد سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م بالتقريب

وفاته: غير محددة

ذكــر مقيــم دكــان العرفــا   المــلا صــافي مصطفــــى

إن المرقوم هو نجل الملا حامد الكركوكي. وبفضـــل معاشـــرته لاهل الادب، وحضوره مجالس ارباب الكمال، ولوجود الاســـتعداد فـــي فطرته لمزاولة منظوم الكلام، ظهرت عنده بعض القابليـــات فـــي هـــذا المجال، كما زادت مهارته في فن الخط أيضاً.

بيت عربي

من لا يخط ولا يقــــرأ رســـالة   قدم له بقـــرأ يرعـــاه أو غنمـــاً

وله غزليات عديدة باللغة التركية، اخذنا منها النموذج الآتي فـــي هذا السياق:

الترجمة العربية:

حول الغرام قلبي إلى مراتع للشقاء

والقلب الشبيه بالعنقاء اقتنيته في قاف الهموم[2]

---

[1] انفرد بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[2] اشارة إلى جبل قاف المزعوم.

إذ انا الهث وراء كمال وصلك في طريق الغرام

إذا بالقلب المتيم يضيع مني في مساء الغموم

انقطعت عن النوم والطعام في هوى القد الممشوق

فغدا الجسم المريض الولهان شبيهاً بالشعرة لفرط الاعتلال

احترقت بنار الهوى فلا مساغ للشكوى

وبدا القلب المتيم فراشة تحوم حول شمعة الجمال

لا تنال اليد نيل وصلها تلك التي الشمس لها خد

فكم حولت الثريا شهوراً إلى سنين في دورة القمر

دونت الاجفان ما يجيش في القلب من الاماني بدماء الكبد

ففي خدي المصفر عرضت الحال لذلك العالي القدر

ان لم تعطف معبودة الكفار النظر في العريضة

فسوف اخرج إلى الصحراء واقيم فيها مثل المجنون

ان اغلب الشعراء في الماضي والحاضر، من اصحاب الكتابات والمقال البديع، قد نظموا غزليات طريقة صحيحة سالمة من شوائب حرف العلة الناقصة في هذه القافية:

وأنا كاتب السطور هذه، المقرون بالجهل، المشحون جوفه بالعلل، قد ادرجت هنا الغزل الآتي، رغم ما تشوبه من العيوب المضاعفة، ومن قبيل السماء فوقنا والارض تحتنا:

الترجمة العربية:

حلمت بوصل الحبيب في غيهب الحزن

فاطلقت العنان للقلب الشريد في امر محال

اجريت الدموع في رياض حبها كالجدول

فجعلت قدها الممشوق معتدلاً متزناً على هذه الحال

انني لجدير ان احظى بكلمة عطف على حالي

إذ بألف استعطاف قدمت عريضةً إلى ديوانه العالي

حري ان تشملني بفضلها بعد اليوم لانني

كل ما كابدت على يدها من الجوار جعلته من الحلال

وهل في ذلك عجب لو احظى بقرب من شمس حسنه

فمن فراقه جعلت الجسم المريض في شكل الهلال

معالجة الموضوع حولته إلى مجمع التحقيق

وفي بيان ذلك جعلتهم كلهم نهباً للقيل والقال

يا خطيبي انني شوقاً إلى ذلك الورد المتفتح في روض الدلال

قد جعلت العندل بعويلي وآهاتي في الجنان أبكمَ ملجوم اللسان

غير ان شاعرنا هذا إنسان اناني شديد التعنت ومتكبر، وهو فاغر الفاه بداعي الفاقة والعوز، وأما قصة حاجته فطويلة كذوائب الحسان. وهو يدبر احواله المعيشية بمزاولة حرفة البقالة في بغداد حالياً.

بيت معناه

بالتكبر تغدو قامة العالي في دنو

ويزداد المرؤ بالتواضع ارتفاعا

أما عمره فيقارب الخمسين سنة، ومخلصه صافي، وقد استخلصه من اسمه.

٣٥- يعقوب افندي[١]

مخلصه: ضيائي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر منـــور مجـــالس الشـــعراء   ضيائي يعقوب افندي سليم الأداء

إن المومأ إليه هو نجل حاوي رسول افندي السابق الذكر. وبنـــاءً على كونه سليل بيت الكمال والأدب فقد اتصف هو ايضاً بالسعي الموفور والجهد غير المحصور وراء تحصيل المعارف، وقد دخل في مقصـــورة الآداب، جرياً على المقولة التركية القائلة:

الـــدار ندخلـــها نرثـــها مـــــن الاب

فلقد بلغ شوطاً غير قليل في سبيل القصور التـــي يقصدهـــا بـــل وبلغها فعلاً. اضف إلى ذلك انه اخذ نصيبه من علوم النحو والصـــرف، وهو حالياً يبسط البساط للتحصيل في ساحة المنطق البسيط، ويتزود منه. مع انه لا زال في المقدمة الصغرى من حيث الشكل والعمـــر، أي انـــه صغير السن، في الوقت الحاضر، إلا انه بفضل مقولة:

العظمة تأتي بالعقل وليس بتقدم العمـــر

وحظه الوافر من مادتي الفهم والعقـــل، اللذيـــن همـــا العـــاملان الاساسيان في الرقي الانساني، وبفضل ما أوتـــي مـــن الإدراك الواســـع

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر، وهو والد ثاقب خضر افندي الذي سبقت ترجمته، وقد سماه هناك (منلا يعقوب الماهوني).

والإحاطة ببديع المعاني، فإنه يبشر – ولا ريب – بمستقبل زاهر مـــزدان بالعرفان المهذب بمختلف أنواعه من المركب والبسيط.

لمؤلفه

ان ينبوع الكمال كله أو بعضه

جرى الفصل فيه بما امتاز به المرء من نوع الأدب

الحق يقال بأن عباراته، ما هي إلا صدفة لـــدرر المضـــامين أو درجاً للآلي الكتابات الثمينة. وفضلاً عن ذلك، فإن اشعاره جاءت حاويـــة لألوف المعاني المكتومة. ان الغزل المدرج ادناه من جمله ابـــداع قلمـــه المتضمن:

الترجمة العربية:

عيناك السوداوان تحت الحاجب البديع

تخالها دخلت في عراك مع السيف في الحسن

الطرة المسكية المجعدة المحيطة بصفحة خدك

انشغلت في نزال مع سلطان (الخاورزميني)[1] في الشام

الخال في خدك قد وقع في طرف الذقن كأنما

تلصص الهندي في بستان بهيج لأجل التفاحـــــة

لما تصورت ثغرك في الفؤاد، نلت حظاً من النشوة

---

[1] كذا في الأصل، لعل الصحيح (الخوارزميين)، اشارة إلى الدولة الخوارزمية التـــي حكمت بلاد المشرق الإسلامي في القرن السابع للهجرة، لكن سلطانها لم يبلغ بـــلاد الشام على أية حال.

كانت جرعة من الراح كأنما هي ملء كأس مترعة

لما هام القلب يبغي خدك، وقع في شراك السالف المعقود

بينما هو يطلب الساطع إذا به يلج في الليلة الظلماء

ليت شعري ما بال إنسان العين مغرق في الدموع

اشوقاً لخطابك أم هو غواص غاص في البحر وراء اللؤلؤ

ان ضيائي باقتدائه لمعشر ناظمي الأوزان

ففي انشاء الغزليات قد سلك في وادي المعاني موغلاً

أما في ميدان قرض الشعر باللغة الفارسية، فله عدد لا يحصى من الغزليات في هذا المضمار، اخترنا النموذج الآتي منها اتحافاً لمصاريع قلوب اهل العرفان بمصاريعها:

الترجمة العربية:

يا من اظل زلفه الاسود والشمس بالظلال

لزاء بدر خدك غدت الشمس مجرد نجمة

ان لم يقتبس الليل ضوءاً من جمالك

فلا تجعل الشمس النهار منيراً مثلما يفعله وجهك

بداعي استمداد الوهج من شمعة جمالك

حطت الشمس الرأس على بوابتك كل صباح

ما ان خرجت من الخدر فارفعي النقاب

كما ان نفس الليل قد فاضت بشروق الشمس

ان ما جناه ضيائي من هوى البدر المنير والصدر الفضي

ما هو إلا جسم نحيل ووجه اصفر كصفرة الشمس

وفي ايام الباعث لتزايد اهل العرفان والمقيم لدرجات اهل الكمال، لوذعي الدهر والمعي العصر، حضرة سيدنا ولي النعم، تم قبوله بصفة كاتب مبتدئ في المصرفخانة، ولايزال قائماً بأداء خدمة الكتابة في المحل المذكور.

انه طائر حديد الجناح في فن المعميات والالغاز، وقد عرف بطول الباع في هذا الميدان. وها إني هذا الحقير الجاهل، كنت ذات يوم حررت اللغز الآتي، موجهاً الخطاب إلى محمود آغا، زين منتدى الافاضل، نجل عمر افندي الدفتردار السابق[1]، طالباً منه حل غوامضها وفك رموزها إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الترجمة العربية:

يا عالم الالغاز والكنايات	ويا ايها الخبير بالاستعارات
جناب حضرة محمود الأغا	عندي سؤال وعليك بالإجابات
ما ذلك الاسم وهو ثلاثي	رباعي خماسي سداسي..هات
وهو صحيح ومثال ومضاعف	ولفيف وناقص ومهموز اجوف
رأسه في الأرض ورجله في السماء	ليس بمخفي بل ظاهر في العراء

---

[1] كان الدفتردار عمر بك آل الحاج محمد سعيد بك قد تولى منصبه في عهد والي بغداد محمد سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير، وعلى الرغم مما أبداه من اظهار الطاعة لداود باشا، عند تعيين الأخير والياً على بغداد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م، فإن داود عزله عن منصبه وعاقبه. ينظر دوحة الوزراء ص٢٧٦-٢٧٧.

رأسه فـــي إثنيـن ورجلـه كذلــك   لا تجـد احــــداً لــــه بمـــالك
إذا ما تقدمت لـــهذا اللغـــز بالبيـــان   تقدم اليك (خطيبـــي) بالاستحســـان

إذا بالآغا الموما إليه وهو فارس ميدان العرفان، ينجز حل اللغـز المذكور فوراً ويلوح عنه بالبيان. والظاهر ان ضوء مصباح الذكاء قد بلغ غايته عند ضيائي. فكان جوابه على النحـــو الآتـــي مـــن حيـث الحـل والتصريح وبشكل منظوم:

الترجمة العربية:

أيا عندليب رياض الفطانة الاديب
ويا صاحب النطق والكلام خطيبي
نظمت اللغز هذا طالباً حلـــــــه
من الخلاق عســــى له من مجيب
لما وصل إلى الفقير هذا اعملت الفكر
فرأيت شرحه على النحو آتي الذكـــر
إنما هي الشمس تلك اللغز المشكل
وان كان المعنى على اسمائها شامل
الثلاثي (مهر) شـــارق رباعــــي[1]
والتماع الشمـــــــــس خماسي

---

[1] مهر يعني الشمس بالفارسية.

الصحيح والسداسي هما الشمس والخورشيد[1]

أما اللفيف والأجوف فهما يوخ وشيد[2]

الذكاء والناقص والمهموز البيضاء

والخورشيد المضعف حسب المعنى

ان قدم الشمس قد صار في السماء

أما رأس يوخ فأقام في الثـــرى

رأسه باء البيضاء فقل هذا مسلم

وقدمه فباء الآفتـــاب والله اعلم[3]

إذا جعلت الباءين الاثنين محسوباً

فرأسه وقدمه يساوي لثنين مطلوباً

هذا ما أتى به ضيائي من التبيان

عسى أن يحظي بالقبول بين الاقران

وقد لضاء محافل الاشتهار بمخلص ضيائي.

---

[1] خورشيد يعني الشمس بالفارسية.

[2] لعله يريد: يخ، وهو الجليد، وشيد تعني الشمس والضياء.

[3] آفتاب، بالفارسية: الشمس.

٣٦- ولي افندي[1]

مخلصه: طيبي

ولادته: ١١٨١هـ/١٧٦٧م بالتقريب

وفاته: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م

ذكر الغدير العذب الورود للعرفـــان طيبي ولي افندي كـــاتب الديـــوان

إن الموما إليه هو نجل الحاج عمر آغا قدوة اهل بغداد، وزبـــدة سكنة الزوراء دار السداد.

لمنشئه

ظهرت من ينبوع الكرم تارة اخـرى جوهرة طـــاهرة التكويـــن فريـدة

ومذ نعومة اظفاره وجه عنان الفرس نحو ميدان المعرفة حتـــى وصل إلى رأس منزل الآداب وبلغ محطة حي المعارف.

لمؤلفه

كل من كان في نفسه اثر من استعداد

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة مختصرة فـــي المختصـــر (ص٣٤-٣٥)، لكنها حوت معلومات لم ترد في الأصل، منها أنه أدى دوراً خطـــيراً فـــي أثنـــاء حوادث عزل والي بغداد سليمان باشا الصغير، وهو المعروف بـــالقتيل، إذ كـــان سبباً في تحريض هذا الوالي على عدم الامتثال إلى أمر عزله الذي أظهره مندوب الدولة حالت أفندي المرسل لهذا الغرض، وهو ما أدى إلى قتل سليمان باشا، أمـــا ولي أفندي نفسه، فقد لقي جزاء فعلته، إذ ظل معزولاً عن العمل، وتوفـــي ســـنة ١٢٤١هـــ.

فتحصيل المعارف لابد أن يكون ميسرا

ولما بلغت روائح فوائح للعبارات الطيبة النابعة من مجمره طبعه، وعبير عنبر استعاراته إلى شام ذوي التقدير الصعب واهل التقييم الصلب، فالمرحوم سليمان باشا المقتول..

لمؤلفه

كل من ظهرت عنده بوادر المعرفة

فيليق بالديوان معززا مكرمـــــا

فمن ردد ذلك، فقد ترقى من درجة المكتوبي إلى منصب رئيـــس الديوان[1] العالي.

بيت معناه

رب من يقول آه راح مني الحبيب

ومنهم من يقول ان حبيبي بجانبي

كتاباته النثرية الخاصة بالتحريرات الرسمية كانت تمتاز بتركـــيز المعنى في اقل قدر ممكن من الأسطر لحد الايجاز، لذا فإن التحريـــرات المدونة من قبله والمرفوعة إلى مقام الجهة العليا للدولة، أدامها الله إلـــى الأبد، كانت تعرض إلى حضرة السلطان كما هي، دونما حاجة إلى اجراء ايجاز أو تلخيص فيها قطعاً.

---

[1] في الأصل (ديوان أفنديلك).

ومثل نلك كان شأنه في مجال الكلم المنظوم ايضـــاً. وكنمـوذج لروائعه المنظومة، ندرج لدناه رسالة له كتبها إلى ولده صاحب الفضيلـــة عمر افندي الذي يشغل منصب المكتوبي لحضرة ولي النعم حالياً:

الترجمة العربية:

يا رونق بصر حياتي

ويا ضياء كل جهاتي

يا دوحة بستان حياتي

يا كمال رونق عيني

انت فرح قلبي وحظوه

انت زهرة فؤادي وحظوه

حمداً للاله الذي لا يزال

يقضي بالمحن لمثل هذا الحال

فالمرجو لك أن تكون سالما

مسروراً شجاعاً دائمـــــا

ان هذا الغزل الحسن، خير شاهد لاقل الابداعات النابعة من طبعه اللطيف:

المعنى

لا تضيعن على الرقيب كرم الغنج والدلال

ولا تضيعن على الكلام نعمة مائدة الوصال

إن حمى النوى لا يداويه إلا نار للهوى

فيا أيها الطبيب لا تضيعن ســـليم الزلال

ان هؤلاء الهذارين أو الصامتين لا يعرفون الهوى

فأنت يا فقيه لا تضيعن معهم القيل والقال

ان طبيب الدهر لهو أصم ايها القلب العليل

فلا تضيعن عنده قصة الغم والهم والملال

لئن كان محلى بالقند فلا اعتبار له يا طبيبي

فلا تضيعن معه رحيق قلمك عديـــم المثال

والبيتان المفردان المدرجان في ادناه قد انبثقا من فرقدي جو طبعه المبدع:

بالتركية ومعناهما

ان من يقدح زناد الفكر كثيرا في تصرفات الدهر

لا يقر له قرار بالقهر، بل يغدو كبده كبابا

وبأمر من المرحوم الوالي المشار إليه، اراد تـــأليف مـــادة توحـــي بالرعب والخوف في نفس القارئ، فسلك في عالم المثال سعيا وراء ذلـــك الغرض، ومع انه تيسر له تأليف المادة المذكورة في عالم النوم، إلا انـــه لدى الاستيقاظ لم يعد في باله غير البيت الوحيد هذا:

ومعناه

اعتزام النزول في ميدان الجلاد لا يقبل الكلام جزافا

ان كان لديك قوة ساعد الشهامة هات فاستعرضها

ومع ان الاقدار قد تسمح لحوصلة النصيب ان تنال من مائدة الطموح ما تنال، إلا انه ثمة حجارة مضمرة في كل نوال. كما أن من دأبها ضم جفاء إلى كل صفاء، بناء على قضية سليمان باشا المقتول.

بيت فارسي معناه

إن السماء المرتفعة الظافرة ليست بسفاكة

مع ان ذراتها رأس كسرى وتاج برويز[1]

ولما اصاب الوزير المشار إليه من مكمن القضاء المبرم ما اصاب جرى، عزل الموما إليه من المنصب الذي كان يشغله، فظل عاطلا عن العمل فلزم داره[2].

المعنى

لا تظنن بأن حسد للدهر على السعة أو الرفعة

إنما حسده العتيد على العلم واهله

لا يحلو له ان يرى احدا يعيش سعيدا

لذا عطف همته متوجها إلى عديم الهمة

بما ان كان صاحب وقار، وكأنه ذهب كامل العيار.

شطر معناه

اسوة بالسرو كن خاليا وخليا وكالصفصاف

---

[1] اشارة إلى الشاه خسرو برويز احد ملوك ايران. المترجم.

[2] في المختصر أنه ظل معزولا مدة خمسة عشر عاما.

ذلك ما كان يردده طيلة سنين عديدة ومدد مديدة، مع انه عـــاش ايامه الاخيرة الطويلة تلك بعيداً عن عطف انظار الوزراء الكرام وخدمـة الامراء العظام وهو يسلي نفسه وفق المنطوق القائل:

بيت فارسي معناه

انني لمجانب الملك والصعلوك معاً

لن مسكين بوابة الحبيب لهو مليكي انا

كان من المؤمنين بنظرية تحديد القسمة والنصيب مذ يـوم الازل. وفي عام الف ومائتين وواحد واربعين تم عزل كاتب ديوان عمره مـــن منصب الجهات الاربع للحياة، وحصل ايصال سفير اجله، فصـــار مـن نزلاء جنان النعيم ورواد مجلس قصر العليين. وكـــان عمـره يقـارب الستين.

دوبيت فارسي

لا تؤذي النفس بهاجس الموجود وغير الموجود فانشرح

فمصير كل كمال حتماً إلى العـــــــدم

من المنزل والدور هذه لابد من الرحيل

سواء كان رواق طاق العيش عالياً أو قاصراً

٣٧- محمود[1]

مخلصه: طفلي

ولادته: ١١٨١هـ/١٧٦٧م

وفاته: ١١٩٢هـ/١٧٧٧م

ذكر المتربع على كرسي الفطنة محمود الطفلي ذي الذكاء

ان المرقوم هو ابن المدعو عبد الله الكركوكي. بما انه قد غمره فيض الملك الفياض فقد ظهر بوادر الاستعداد لقرض الشعر منذ بلوغه التاسعة من العمر.

بيت تركي معناه

فيض الحق لا يمكن نكرانه يا قلبي

لكن ما كل احد يحظى به

وعلى الرغم من صغر سنه إلى هذا الحد، فإن أدوات الصنعة الأدبية وحسن العبارات الموجودة في نظمه، لأمر مسلم به لدى أرباب الانصاف.

بيت معناه

ان فهيم لصغير حقاً لكنه لما يتناول القلما

يرمي بك في ميدان للفصاحة كقطعة العود

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولا يشر إليه صاحب المختصر.

له العديد من القطع الشعرية الشابة الجديـــدة مثلـــه، وإن الغــزل المدرج أدناه من جملة أعماله الشعرية الرائعة:

الترجمة العربية:

القلب الولهان لي والعارض المتورد لك

اللليل الداجي والنـــهار الواضـــح لك

هات الانفتاح لعقدة الاماني ايها الحبيب

ان حبل الروح لي والسنبل الزاهي لـــك

تعال إلى الحانة ايها الزاهد فلنتقاســـم

ليكن كأس الراح لي والكوثر المزعوم لك

وانت ايها البلبل لتتقبل القســـمة هذه

الآه والعويل لي والاكمام الريانــــة لك

قلت يا طفلي في ليل النوى للحبيب

دع مرارة السهاد لي وحلاوة الوســـن لك

كذلك اخترنا هذا البيت الحاوي على مخلصه من احدى غزلياتـــه، وهو بيت الغزل عادة ويسمى المقطع:

أي

يا طفلي لئن كنت طفلا، فكلامي شيـــخ الكلام

ولما يبلغ شيخ العرفان مبلغ الشيوخ فسوف ينتمي إلى بابي

ولما كان الافراط أو التفريط في كل شيء يجر إلى الآفة، كما هو معلوم لدى اهل الخبرة بالتجربة والدراية، فانه لما بلغ الحادية عشرة من العمر اصيب بشيء من الانحصار الجزئي فتمزقت حوصلته الفتية بمخالب المنية، وصارت طعمة لسيف الاجل المهند السفاك في عام الف ومائة واثنين وتسعين، فاتخذ لنفسه موطنا بجوار الغلمان، وبالقرب من الولدان في الجنان.

بيت فارسي معناه

ارم بسهم هذا الفلك المقوس الظهر

ما اكثر من قضى عليهم من اسلافك نسلا على نسل

حتى يحكى بأن المتنبي[1] عليه الرحمة، وهو افصح شعراء العرب وألسن ارباب الأدب، لما كان مارا في سبيله في درب، إذا بطفل في السابعة من العمر يعترض طريقه ويسأله مستفسرا:

– ألنت القائل:

واني وان كنت الاخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الاوائل

فقال الشاعر:

– نعم

فرد عليه الطفل قائلا:

---

[1] الصحيح أنه أبو العلاء المعري، لا المتنبي، وهذا الخبر مذكور في شروح سقط الزند، القاهرة ١٩٦٤، القسم الثاني، ص٥٢٥.

– الفحول المتقدمون قد اوجدوا الحروف الهجائية المتكونة من ثمانية وعشرين حرفاً، فزد على ذلك حرفاً واحداً لو استطعت، إذا كنت صادقاً في دعواك. فبهت الشاعر الكبير ولم يحر جواباً، غير انه لم يمر على ذلك مر الكرام، بل ذهب يستفسر عن والد الطفل حتى وجده وقال له:

– ان بوادر النبوغ لبارزة عند طفلك المحروس فلان اكثر مما هو معتاد. اوصيك بالحرص عليه لكي لا يصاب بمكروه، فمثله يخشى عليه من السوء كثيراً.

بعد ثلاثة ايام صادف أن اصيب الطفل بالاحتصار[1]، فلم يمهله الأجل كثيراً حتى وافته المنية على اثره. وبعد مرور أيام على الحادث جاء والده إلى الشاعر الكبير، يستفسر عن كيفية استدلاله على هذا المصير المفجع غير المتوقع لولده.

فكان جواب المتنبي:

– وجدت علائم الفطنة والذكاء عنده قد بلغت الغاية، لذا قلت في نفسي انه لو تصاب نبضة فؤاد مثل هذه الإنسان بأقل ذرة من الكدر فلا بد ان حوصلته تتعرض إلى التمزق!.

---

[1] في الأصل: الانحصار.

٣٨- الحاج عبد الله آغا[١]

مخلصه: ظاهري

ولادته: ١١٧٠هـ/١٧٥٦م

وفاته: ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م

ذكر زين نادي الأمراء، الحاج عبد الله آغا الظاهري

إن الموما إليه هو نجل سليمان آغا البغدادي الأصـــل والوطـــن. ونظراً لظهور أنوار الاستعداد والنخوة، وآثار النبوغ والشهامة، وبـــوادر الرجولة الأصيلة في أحواله، وعلائم النجابة ساطعة البرهان في ســـلوكه، جرى تعيينه في منصب خزندار أولاً[٢]، ومن ثم ألقيـــت علـــى عاتقـــه مسؤولية ويوده ماردين، وبعد ذلـــك جـــيء بـــه علـــى رأس متسـلمية البصرة[٣]. فنتيجة لهذه المقدمات المبشـــرة بالسـعد، وفـــي أيـــام وزارة

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر (ص٤٦) بعض التفاصيل مما لم يرد في الأصل.

[٢] في المختصر "أول ما دخل في سلك المناصب في أيام وزارات (كذا يريـد وزارة) سليمان باشا الكبير عمله خزندار مقدار ثلاث سنين".

[٣] في المختصر أن شغله منصب (متسلم البصرة) جاء بعد أن أصبح (ويوده) ماردين لا قبلها. قال "وأيضاً في وقت المشار إليه عمل متسلم البصرة بقي فيـــها احـــدى عشر[ة] سنة متسلم (يريد: متسلماً) على الدوام، وبعده انفصل من البصرة وجـــاء إلى بغداد فصار مصاحب الوزير وبعد أيضاً في وقت وزارة المشار إليـــه عملـــه ويوه ده إلى الماردين بقى فيها سنة ونصف ثم من بعد مدة عزل منها وقدم بغـداد فبقي في مصاحبة للوزير إلى تاريخ سنة ١٢١٧"

فنتيجة لهذه المقدمات المبشرة بالسعد، وفي أيام وزارة المرحـــوم ســعيد باشا، صار يضفي رونقاً على مسند الكتخدا[1].

بيت تركي معناه

إذا ما حظي إنسان بالتوفيق من المولى

فيوماً بعد يوم يزداد موقعه من العلـــى

وإذا ما لم يوافه التوفيق في مرامه

فليس في سعيه البالغ جـــــدوى

وبالإضافة إلى أنه كان متضلعاً من العلم، ومجلواً بكمال العقـــل والرشاد بوجه خاص، فانه كان حافظاً للقرآن الكريم عــن ظـــهر قلــب، يحسن ترتيل القرآن الكريم على وفق قواعد التجويد علـــى احســن مــا يرام[2].

أما في قرض الشعر، فكان ناظمـــاً لا تشــوب أعمالــه شــائبة، وباللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية، مع طرق الأبواب العويصـة فيها، ولا يرقى الشك إلى قدرته الفائقة في الإبداع والتمايز. ومن جملـــة

---

(1) تقدم شرح هذا اللفظ. وفي المختصر أن والدة سعيد باشا هي التي أرســلت إليــه وعينته، بعد تمنع منه، في هذا المنصب المهم.

(2) أثنى عليه صاحب المختصر فقال أنه كان عاقلاً ذكياً، حافظاً للقرآن مرتلاً له، وله أياد في علم الطب وله معرفة في علم الهندسة والهيئة، وأنه تلقى العلم علـــى يــد عالم بغداد أحمد أفندي الطبقجلي ثم على داود باشا نفسه، إذ صحح عليــه قــراءة كتاب الجغميني في الهيئة. وإليه ينسب جامع عبد الله آغا في مدينة البصرة.

إبداعاته في مضمار الشعر العربي تحريره للدو بيت اللطيــف التخمــير (كذا) أدناه:

الباء والخاء من بختي قد افترقا

بالباء والخاء من بخل إنســـان

واللام والباء من هذا وذاك هما

لب المسائل عن أسباب حرمان[1]

ومن إبداعاته باللغة الفارسية:

الترجمة العربية:

بغداد ما أحلاها.. ليلها، صبحها ومساها

فليدم الهي نظامها إلــى الأبد

أذان بغداد قد يفوق على أقرانه

فاسمها قد جاء وفق المسمى بالتمام

بحمد الله لن الأحباب في سعة

فالفيض عميم على الخاص والعام صبحاً ومساءً

اجترع الكأس ولا تأبه بالفلك

فذاك لا أمان منه لا للجم ولا للجام[2]

---

[1] الأصح: لسباب حرماني. المترجم

[2] تقدمت الإشارة إلى أن جم، مرخم أو مصغر اسم جمشيد، وجام جم، يراد به علــى ألسن الشعراء: كأس جم، ويريد هنا ك إني لن أكون في حاجة إلى الكأس أو إلــى ساقيها.

أنني لا احسد أي خسرو في العالم

اللهم إلا ذات ثغر سكرى أنال منها النصيب

أما باللغة التركية فمن روائع ريشته المتقطرة بالفصاحة زينا صفحة الكتاب بالغزل آلاتي:

الترجمة العربية:

من لم يكن قلبه صافياً من نقش العدم

فبوابة الصفا ليست متفتحة له قطعاً

مرور أيام الأيام اعتبرها مغنما

شأنها شأن صلاة العيد لا تستعاد

إنما السكرة الضاربة في رأسي لمن عيني المجيب

لئن كان نشواناً فإنه ليس من فعل الراح

ليت شعري ما الذي سيؤول إليه الأمر مع ذلك البدر

فانه لحد الآن لم يبت بقرار بشأن موعد الوصال

ان كوكب الإقبال في السماء يا ظاهري حالياً

ليس بواضح وضوح كوكب آهاني

وفي الفن الموسيقي، طبقت شهرته الآفاق بالضلوع في المقامات على غرار الفارابي[1]. فكان في نظر أهل العرفان الضاربين على وتر

---

[1] ليس في المختصر اشارة إلى معرفته بالموسيقى.

النوى[1]، والقائمين على أصول الإذعان بشروا [2]كاملاً، وكار نقش[3] فاضلاً في مقام ظاهر كان أصوله سماعياً. ان البَستة الآتية[4] التي نشوتها نشوة الراح ولطيفة الرواح من نتاج قلمه الموسيقي.

بَستَة

المعنى

لا المروج ولا ظل الورود

لا الصبا ولا أريج السنبل

---

[1] النوى: من نغمات الموسيقى الشرقية، أشار إليه أول مرة صفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، وله مقامات هي النوى والمسجين والعجم والبنجكاه والراشدي. ينظر: الحاج هاشم الرجب: المقام العراقي، بغداد ١٩٨٣، ص١٧٧.

[2] ضرب من الغناء، ينسب إلى الكمال التوريزي (القرن الثامن للهجرة) وهو أنغام تطول على مقدار بيت الشعر، وتقبض على وسع عياره، فيسد بأنواع من الكلام الملفق الذي لا يحصر بوزن ولا قافية. قال ابن فضل الله العمري: وهذا الغناء يستلذ في المشارب، وحانات القصب. ينظر: عباس العزاوي: الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان، بغداد ١٩٥١، ص٤٠.

[3] لعلها نقش كر (بالكاف الفارسية) وتعني نقاش أو رسام، ولا يتوضح لنا ما إذا كان لها معنى اصطلاحي في فن الموسيقى الشرقية.

[4] البستة: كلمة فارسية معناها الربط، ويصطلح عليها في الموسيقى التركية بالموشح، وهي من الأغاني الخفيفة المرحة، وتعد ملحقة بالمقام العراقي لأنها تخرج من أنغامه نفسها، ولكل مقام بستة أو بستات تخرج من نغمه وتلائمه. الحاج هاشم الرجب: المقام العراقي ، ص٢٠٥.

لا تعرضها علي يا بلبل

فأنا أسير سالف الحبيب

له في هذا المضمار نتاج غزير ، لكن الحصول عليـــها عســير.
وطلب مني بعض الأحباب، إتمام بعض الأبيات المفردة له علــــى هيئــة بَسْتَة. من ضمنها:

المعنى

إن ثغر الحبيب لوردة

وقامته لسرو سيار

عارضه آية من الجنان

أنا الهزار في حماه

وعلى الرغم من انه قد أصيب لمرات عديدة بمصـــائب الدهــر، غير انه- كما نوهنا سابقاً بعون حضرة الكريم، ومرافقة حســن الطـــاف الملك الرحيم- ظل صاحب دولة ويسار بشكل مســـتمر ومـــالك المكنـــة والاقتدار، حيث كانت خزائن الغيب مكشوفة لوجهه بلا سعي او جهد على نحو مستديم.

بيت معناه

ان كان رزق الناس حصيلة التدبير والتوفيق

لظل الأطفال العُجْم[1] محرومين من الحليب

---

[1] العجم هنا: غير القادرين على الكلام والفهم.

وفي أيام مولانا حضرة ولي النعم، الذي هو جبل الرحمة المنيـــع للذين يلوذون به، الحاتمي الشيم، مقتدى العلماء، وموئل الوزراء، كان من ضمن ندمائه، فعاش معززاً ومكرماً في كنفه[1].

وفي عام ألف ومائتين وأربعين عادت درة روحة النــــادرة مـــن صدفة بدنه، لكي تكون قلادة تزين جيد الحور في الجنة.

قطعة شعرية عربية

هذا الرفات على ما فيه من كدر

حكى انقلاب لياليه بأهليـــــه

غدير ماء تراءى في أســــــفله

رؤوس قوم غشوا في نواحيه

كان عمره قريباً من السبعين. ومخلصه (ظاهري) فقـــــد أظـــهر الفضل والكمال حقاً.

[1] في المختصر أن داود نقم عليه فحبسه في القلعة، ثم أطلقه، وقربه وجعله مصاحبــاً له، حتى وفاته سنة ١٢٤٠هـــ.

٣٩- الملا علي كاتب النظام[١]

مخلصه: ظلمي

ولادته: ١١٩٥هـ/١٧٨٠م بالتقريب

وفاته: غير محددة

ذكر جامع العبارات تامة الانسجام، الملا علي ظلمي كاتب النظام المرقوم هو ولد المرحوم حسن أفندي من كتاب الباب العالي، المذكور سابقاً، حيث انه على اثر انتمائه الى الطريقة النقشبندية قدم الاستقالة من وظيفته وانزوى في ركن القناعة ثم خرج لأداء فريضة الحج. وبعد طواف أم القرى وزيارة روضة خير الورى، قفل عائداً إلى بلده برفقة بنته باهرة الميمنة، لكنه في طريق العودة، تعرض لصولة قطاع الطرق من أشقياء سنجار فناله الغدر على يدهم، وفاضت روحه الطاهرة إلى المجلس القدسي على اثرها.

تقدم الشاعر الملا علي بطلب إلى حضرة ولي النعم يرجو فيه نيل مخصصات أبيه. وقد حظي طلبه بالقبول من لدن سيادته فأدخله في عداد الذين يدعون له بالخير، وأصدر أمراً بتوجيه خدمة والده إليه. فهو اليوم يشغل وظيفة كتابية في الصنوف العسكرية[٢]، التي هي من استحداث

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة مختصرة في المختصر.

[٢] في المختصر "نهذا علي أفندي في صغر سنه قرأ من العربية مقدار[اً] وبعده تعاطى الإنشاء والإنشاد إلى أن صار كاتب (يريد: كاتباً) في عسكر النظام في ايام داود باشا فبقي مدة بالكتابة بعده يوماً من الأيام تمرض فنزل على بدنه نازلة الأفلاج فتعطل يداه وثقل لسانه فبقي مدة على هذه الصورة وبعد توفي رحمه الله".

الحضرة الخديوية الداودية، وفي الزمرة الحَسَنية منها، وهـي إذ سـميت بذلك تيمناً باسم مولانا صاحب الدولة حسن بك[1] نجل السيد ولي النعـم. وله ولع بالنظم، والغزل الآتي نموذج من شعره بالتركية:

الترجمة العربية:

لن من سيطر على فرس طبعي الفارع[2]

وهو في دار ملك الحسن شاه صاحب الشوكة

تناثرت ذوائبه على الحاجبين واحدة فواحـدة

فما أن يضع طاقيته حائلاً حتى تفتن الدنيـا

قامته قيامة، خطه عنبر، وجهه الندى ورق ورد

طره ذوائبه السود المتناثرة كأنها الصليب

لفتة غمزته تسفك الدماء تواً ذلك الفتان

ان عينيه المكحلتين توحيان بالكأس قبل الكحل

قولوا لأرباب الغرام ليحفظوا النظم الجديد

فهو طرح طري من مزاج ظلمي الرقيق

ولكثرة ذكائه ووفرة فهمه وحجاه كان يميل أحياناً إلـى ترتيـب عبارات خالية من المعنى، إليك هذا البيت المفرد الذي كلماته كلـها مـن الجناس.

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] في الأصل: سروي: نسبة إلى شجر السرو المعروف بطوله.

إن الدوبيت الآتي قد نظمه حلمي السيد محمد أفندي المار ذكـــره في فصل سابق فأرسله إليه لغرض فك رموزه:

الترجمة العربية:

إذاً تصاب بقبقة نار حنمنم بالقحط

بصوت الطنطور خنق صوت الطنبور

وهل ولّى يا ترى وتد النغم المدقوق

بصوت البربط جرى خنق صوت العنقور

فما كان من شاعرنا إلاّ وأخذ القلم وشرع يكتب الجواب فوراً:

أصيب بالقحط، أي غاب ونفد. البقبقة صـــوت. الحنمنـم شـــعبة مستخرجة من مقام الإبراهيمي[1]. وهذا يعني أنه بما ان للشعبة المذكورة المستخصة من مقام الإبراهيمي قد اختفـــت، فصـــوت الطنبـــور[2] مـــع الصنطور[3] الذي غدا طنطوراً[4] قد اختنق. والمدقدق هـــو المضـــراب،

---

[1] مقام الابراهيمي من المقامات العراقية، ونغمه بيات، وبصاحب موسيقاه الايقاع، ويعـــد من أصعب المقامات لكثرة قطعه وأوصاله. الرجب: المقام العراقي ص١٦٣.

[2] الطنبور آلة موسيقية وترية، ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس. دوزي: تكملـــة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ج٧، بغداد ١٩٩٢، ص٨١.

[3] ويعرف بالسنطور أيضاً، وهي كلمة فارسية معربة معناها النبر السريع: آلة موســيقية قديمة وترية بشكل شبه منحرف غير قائم الزاوية يضرب عليها بقضبـــان ضاربـــة، وهي بذلك تختلف عن القانون الذي تحرك أوتاره رأساً بالاصبع. صبحي أنور رشـيد: الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية ، بغداد ١٩٧٥، ص٢٠٥

[4] الطنطور: قلنسوة واسعة تسدل على الكتفين. دوزي: المصدر السابق ج٧ ص٨٢.

والوتر إن لم يجر نصبه بالآلة فصوت الآلة لا يظهر، والوتر هو المفرد من الأوتار. وكاوازه هو اسم أحد المغنيين الاثنين لشاه إيران خسرو برويز[1]، والثاني هو نكيسا، فكانا تلميذي باربود. ولدى عزف البربط[2] فصوت العنصور الذي هو الطاسة المعروفة يختفي ولا يسمع جيداً أي يصير واطئاً.

البيت المفرد الآتي ومعناه

شاهدت تحت الورقة مادياناً مربعاً

وموسى قد قبض على العصا. ما هو تفسير ذلك؟

فلما جرى عرض ذلك عليه، إذا به يتناول القلم ويسارع إلى الجواب على النحو التالي:

أيام النبي موسى عليه السلام وعلى نبينا، شاهدت تحت الورقة قد اجتمع اثنا عشر ألفاً من السحرة وقد صنعوا حيات وأفاعي من الورق، ووضعوا في داخلها ماء الفضة، وبفعل حرارة الشمس صار الزئبق المذكور يتحرك في مكانه وتتحرك معه الورقة المذكورة تروح وتعدو كأنما هي الأفعى بعينها.

أما ماديان فهو عرش فرعون عليه اللعنة، فكان طوله من ركن إلى ركن مائة وأربعين ذراعاً. ولما حضر موسى إلى مواجهة فرعون

---

[1] تولى الحكم من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٨م.

[2] البربط: العود، معرب بربط الفارسية، ومعناه صدر البط لأنه يشبهه. دوزي: المصدر السابق ج١، بغداد ١٩٧٨، ص٢٧٢.

سمعوا الحوار بينهما، إذ قال فرعون للجالسين حول ذلـــك العــرش: إلا تسمعون؟ من ثم دارت القصة كما هو معلوم. فألقى موسى عصاه فإذا هي تتحول إلى ثعبان يلقف ما يأفكون من السحر بفعل الزئبق وحرارة الشمس في الأفاعي الورقية المذكورة. ولا داعي لإطالة الحديث في هذا الصــــدد أكثر من ذلك.

وخلاصة القول إنه كان بارعاً جداً في معالجة مثل هذه الرمـــوز والألغاز وعويص الكلام. ذكرنا بعضاً منها لاطلاع ألباب المعارف.

في الوقت الحاضر يناهز عمره الخمسين، وهو لا زال مكباً علـى دراسة الأدب. وقد اتخذ من اسم ظلمي مخلصاً لنفسه، مما يوحي بأنه من جملة هذه الأقوال والأمثال الغريبة العجيبة.

٤٠- عناية الله آغا[١]

مخلصه: عنايت

ولادته: ١١٨٦هـ/١٧٦٠م

وفاته: ١٢٣٠هـ/١٨١٤م

ذكر منتخب فهرست الأدباء عناية الله آغا

إن الموما إليه قد وطئ بقدمه على صحف الظهور من سراج احمد أفندي القبولي المكتوبي الجورجي الأصل والبغدادي المسكن[٢].

بيت تركي معناه

لا تكتف بالمظهر وحده بل اكتسب المعنى والكمال

فنوع البهائم لا يغطيها الناس بمذهب الجلال

فقد اتخذ من هذه الحكمة الفريدة قرطاً في أذنه، وانصرف بكل حوله وقوته إلى أخذ نصيبه من مختلف العلوم والمعارف جهد الإمكان، فبلغ درجة الكمال من الأدب بما يغني عن البيان[٣].

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة مختصرة في المختصر ص ٣٦ لا تخلو من زيادات على الأصل.

[٢] تقدمت ترجمته.

[٣] زاد صاحب المختصر هنا معلومات عن نوع ثقافة هذا الرجل فقال "كان من أرباب الفضل، رجل وقور ذو شهامة، وقرأ العربية، وكان منطقي مشهور (يريد: منطقياً مشهوراً) بالقصورات، وله حاشية على عبد الله اليزدي، وكان مشهوراً في علم الموسيقى، وكان ماهراً في علم الهيئة.." وفي الترجمة اشارة مهمة إلى أن له مدرسة في بغداد، وأن تلقى العلم فيها صبياً السيد محمود أبو الثناء الآلوسي-

بيت فارسي معناه

لن حسنه ليس بحاجة إلى مسك الصين او الجكل[1]

فالأريج المنبعث منه نابع من كســـــانه الخاص

وفي أيام وزارة سعيد باشا المرحوم والي بغداد، جرى إدراجه في سلك الندماء تكريماً لقدره.

بيت تركي معناه

لا مندوحة من مراعاة شروط اللياقة

فبُرْدَة العناية السُموريّة ليست مباحة لكل من هب ودب

والحق يقال انه كان على دراية واسعة بعلم المعـــاني والبيـــان، وقدرته في مجالي النثر والنظم ماثلة للعيان. هذا مع ذيوع صيته في بـــلب الكمال، وقدرته ومهارته في مجال الشعر، إلا انه عملاً بمقولــــة: ليـــس الخبر كالعيان، فلقد ارتأينا تجميل صفحة الترجمة هذه الخاصة به، بـــهذه المقطوعة الغزلية الرائعة النابعة من قلمه الفياض وخياله الخصيب:

الترجمة العربية:

أنني لراج وصله وان لم يجد بوصل

حتى وان تسبب في تدلهي وهوان حالــــــي

من الجائز قبول الراح من نشاط الدهر

=صاحب التفسير الشهير، وكان صاحب الترجمة يمده بالكتب، وأن خزانة كتبـــه حوت، عند وفاته، ٢٤٦٣ كتاباً.

[1] لم نقف على معنى (الجكل).

حتّى وان جعل المهر الذي في يده سفالاً ذهبياً

في طريق الهجاء كن كشجرة الورد خاضعاً

حتّى إذا جعلك الزمـــــــان ذاوياً كالوردة

ان الدهر بهذا الوضع يتّخذ من عظامي قلماً

وان يجعل نقوش الصفحة حمراء كالــورود

ان الله قد جعل عبده عنايت عزيزاً بعنايته

حتّى وان جعله عرضة في فاه الحســـــود

ولكونه كان ملماً بفن الموسيقي أيضاً، فقد كلفه المرحوم احمـــــد باشا الكتخدا[١] بترجمة البَستَة الفارسية التالية إلى التركية.

فامتثالاً للأمر قام شاعرنا بتحويل البَستَة المذكورة إلى التركيـــة على النحو الآتي:

تعريب البَستَة من الترجمة التركية:

غادة دموية لا تمنح الأمان للمغرم بها

مئة ألف أمان، من غنجها أمان!

أصبت بغرام غارم ما العمل

اضطرم الجسم ناراً، بمن استغيث

---

(١) الراجح أنه يقصد أحمد باشا كتخدا سليمان باشا الكبير، وهو الذي شـــيد الجـــامع المعروف بجامع الأحمدية نسبة إليه في الميدان ببغداد. محمود شكري الآلوســـي: مساجد بغداد وآثارها، بغداد ١٣٤١هـــ، ص٧٤. وله ترجمة في هذا الكتاب.

انظر ماذا فعل بي الدهر إذ وقعت في الهوى

بينما كنت عزيزاً في نظر القوم صرت في الهوان

ولـه عدد من المؤلفات الغنائية الرائعة، لكننا اكتفينا بهذا النمـوذج وحده. وكان شديد الميل نحو الصلاح والتقوى. لم تشغله مبـــاهج الدنيـا وبهارجها عن أداء الفرائض الدينية والقيام بأعمال البر والإحسان بشـكل دائم، إذ كان مواظباً على أداء الواجبات الدينية دوماً.

بيت فارسي معناه

لا تقض الحياة في الدنيا على نحو

ما تقضى كي لا يقال انه مضى

عاش من العمر أربعة وخمسين عاماً[1]. وفي سنة ألف ومـــائتين وثلاثين[2] وقع في شراك الأجل الموعود، واتخذ سبيله نحو جنة المأوى.

بيت فارسي معناه

لا تتوخ الوفاء من الدنيا المغبرة النهار

فهذه العجوز الطاعنة قد زفت إلى ألف عريس!

---

[1] في المختصر أنه بلغ من العمر ٥٦ سنة.

[2] ويوافق أولها ١٤ كانون الأول سنة ١٨١٤م.

٤١- محمد عارف آغا[١]

مخلصه: عارف

ولاته: ١١٨٣هـ/١٧٨٩م

وفاته: ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م

ذكر زبده العارفين محمد عارف آغا

ان الموما إليه هو ابن المرحوم عبد الله أفندي مفتي بغداد السابق. وهم بغداديو الأصل ومن وجهاء البلد الاماجد في زمانهم. وبما أن قريـــة قزانية[٢] من أعمال بغداد كانت ملكاً مخصصاً لهم، فقد كان مقيمـــاً فيـــها بشكل دائم مع أهله، بوصفـــه متمكنـــاً مـــن الأدب والكمـــال بـــالإرث والاستحقاق.

بيت ملمع تركي وفارسي معناه

قدمك يضعونها علي الرأس ان تكتسب المعرفة

ان تكتسب المعرفة فسوف يضعون قدمك على الرأس

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة مختصرة في المختصر ص ٤٤، وهـــي لا تخلو من اختلاف عما ورد في الأصل.

[٢] بلدة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة مندلي في محافظـــة ديـــالى بمســـافة ١٠ كيلومترات، وفي المختصر: الجيزاني، والأخيرة أرض واسعة، فيها عـــدة قـــرى تنسب إليها، منها جيزاني الجول، من أعمال الخالص، وجيزاني الإمام من أعمـــال هبهب.

فمن هذا المنطلق انه لم يدخر وسعاً في تحصيل العلوم بمختلـــف فروعها، ومن هذه الجملة طلع علينا شاعراً مفوهاً وناظماً منتظم النظـــام. أضف إلى ذلك براعته في كتابة الخط الحسن. ومن آثار طبعه الخصـــب الغزل الآتي:

الترجمة العربية:

دار الفؤاد مني لا تجعله موئلاً للكرب يا رب

بالأسقام لا تجعل جسمي شبيهاً بالشعرة يا رب

لا تحكم علي بمكابدة أثقال الدهـــــــــــــر

وتلطف ولا تجعل ألف قدي كحرف الدال يا رب

هب لي التوفيق على حسن الفعل دوماً

ولا تجعل عشيري من المال والأولاد يا رب

بما انك قد وهبتني الهداية تكرمـــــــاً

فلا تحبس لساني في النفس الأخير يا رب

بكشف عيوبي يوم الجزاء على الملأ

لا تجعلني مما يشار إليه بالبنان كالهلال يا رب

لقاؤك أره دلع عبدك عارف في الجنة

فلا تحرمه من الوصل يومذاك يا رب

دأب الموما إليه على بذل المساعدات المالية والعينية علـــى ذوي قرباه والمحتاجين من أهل القرية المذكورة، وكان يرى في ذلـــك واجبـــاً

لامحيص عنه ولا محيد بداعي الحمية الإنسانية، ولاسيما تجاه الفقير ذي المتربة واليتيم ذي المسغبة بوجه خاص، فيحسب ذلك فرضاً في عنقه[1].

بيت تركي معناه

فليدخر ماله للدفاع عن الخصوم

كل من يمتنع عن مساعدة الخلان

جاء يوم ساء وضعه المالي وتبدلت أحواله المعيشية مدة من الزمن بتقدير من مقسم الارزاق وقضائه. غير انه لم يطرأ أي تغيير على عاداته الحميدة المذكورة فظلت سارية جارية كالمعتاد حتى تحسنت موارده المالية كالسابق وعادت إليه البهجة والنعيم ثانية.

بيت تركي معناه

لابد لمن يعرف قدر نفسه الظهور بالثياب القذرة

طالما يتوفر في القلب صابون الاتكال على الله

وكان يعرف بمخلص عارف الذي هو جزء من اسمه.

ان طائر روحه الباز لم يمكث في بدنه غير ستٍ وخمسين سنة. ففي عام ألف ومائتين وتسعة وثلاثين[2] ذهب ضحية لسيف الغدر في

---

[1] أثنى عليه صاحب المختصر فقال" كان ممدوح السيرة، وكان من الأسخياء جداً، وكان يطعم الطعام ويكسي الأرامل والأيتام، كان هين لين دين (كذا، يريد: هيناً ليناً ديناً) فكل أهل القصبة يحبونه محبة عظيمة من زيادة شفقته عليهم، وقرأ من العربية مقدار ما يحتاجه لتصحيح العبارة، وكان له اطلاع في التواريخ".

[2] أولها ٧ أيلول ١٨٢٣م.

إحداث قرية منذليجين التي وقعت مع الأعجام[1] فطارت روحـــه بقــوادم الشهادة، واتخذت لنفسها عشاً في رياض الجنان.

بيت فارسي معناه

لا تأمنن من البحر الصامت

فانه لم ينس عادة التغذي بالبشر

---

[1] في المختصر "وكان عمره أربعة وخمسون (كذا، يريد: أربـــع وخمســين) ســنة فبتاريخ سنة ١٢٣٩ الأعجام هجموا على قصبة البندنيج اخذوا القصبـــة البندنيــج فتغلب الأعجام على أهل القصبة البندنيج، وأخذوا القصبة ووقع القتال في وســـط القصبة ففي تلك الواقعة استشهد رحمه الله تعالى".

٤٢- السيد محمد أفندي[١]

مخلصه: بهاء

مولده ووفاته غير محددين

نكر محفل طراز الآداب، نصاب المعارف، السيد محمد أفندي

إن الموما إليه هو ابن السيد احمد من أهالي منطقة الأناضول[٢]، كان كهية[٣] مصطفى أفندي خطيب زاده[٤] الذي شرَّف دار السلام بمهمة قضاء بغداد قادماً من استانبول دار السلطنة العلية، وهو من اسوة المحققين وسيد الفاضلين.

أما صاحبنا السيد محمد أفندي الذي نحن بصدد ترجمته، فكان ذا باع طويل في علم الفقه وحل المسائل العويصة ومعالجة الأمور الصعبة في هذه الساحة. غير انه لم يكن ملماً بالعلوم العربية. وكان يدعي قرض الشعر التركي. والواقع ان جانباً من أعماله مشهود بها من الخلان.

لمؤلفه بالتركية ومعناه

هل ثمة شيء ألذ من النظم والإنشاء

أيوجد ما هو ألذ من القند والشهد المصفى

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، كما لم يشر إليه صاحب المختصر.

[٢] تأكيده على أنه سيد بن سيد يدل على أنه ينتسب إلى الدوحة النبوية.

[٣] أشرنا إلى معاني هذا اللفظ وطرق لفظه وكتابته.

[٤] هو مصطفى آل إبراهيم أفندي، وقد تولى قضاء بغداد من سنة ١٢٤١ إلى ١٢٤٢هـ. الأسر الحاكمة ص٨٠.

ومن جملة أعماله قصيدة موفقة نظمها بمناسبة وفاة الشيخ خـــالد قدس مره من الطريقة النقشبندية جاء فيها[١].

الترجمة العربية:

أشرقت طلعة الشمس من برج الشرف

وسلطت على العراق الأضـــــواء

انغمرت الدنيا بالنور من هذه الشمس

فانقشع الظلام عن الأرض والسماء

جناب حضرة الشيـــــــــخ خالد

كان عناية من الباري علـــى البلاد

كلما عطف النظر بعين الرحمة

عاد أهل التلون إلى الرشـــــــاد

كم من شخص جاءه بقصد لمتحان

فاعتراهم الخجل وكروا خائبـــين

في حضرته كان يلقي الصلاح

كل من للهدي من أهل الضلال أراد

دارت شمس عمره نحو الافول اخيراً

دقت كوسات[٢] الرحيل في الصدور

---

[١] جاء في النص بان تلك هي قصيدة مثنوية، لكنها ليست مثنوية بل قصيدة عموديـــة اعتيادية تسير على قافية واحدة كما سبق. المترجم

[٢] الكوسات: الطبول.

وصلت الصراحية من عند الحبيب

وتم تقديم كأس الشـــــــــهادة إليه

لما وصل نعي حضرة الشـــيخ

إلى بهاء[1] قامت عند راســـه القيامة

لما تخترق صيحتي هذه العرش المعلى

فليحترق إقليم الوجود بالنار عبرة للمعتبر

دونت تاريخاً بصهبـــــاء الوداد

صار له مقاماً قرب العـــــــــزة

وفي ختام السنة المذكورة قفل عائداً إلى موطنـــه الأصلـــي مـــع القاضي الموما إليه، وكان عمره آنذاك يناهز الأربعين. وأنني الفقير هـــذا بحكم كوني محسوباً ومنسوباً إلى البوابة الروحانية، وجنابه النوراني بكل كمال الإخلاص وصدق الاختصاص لذلك الشيخ المشار إليه فلقد نظمـــت التأريخ هذا بدوري في وقته إتحافاً لذكراه:

شعر

الترجمة العربية:

يا للدهر الفاسد

قد جعل سوق الصلاح كسادا

بانتقال ذلك الشخص عديم المثال

---

[1] يريد نفسه فهذا هو مخلصه.

صار مزاج الزمان فسادا

ذا سالك للطريقة النقشبندية

كان قائدا لأرباب الصلاح والزهاد

ذلك القطب للحي القيوم

أعني جناب الشيخ خالـــــــد

دائرة أرباب الحقيقـــــة

ذلك الموئل لكل صالح وزاهـد

صاحب الكرامات العالم بالأسرار

أصبح نفس حياته خامـــــــدا

في أغلب أيامه كان صائماً

يقضي الليل موحداً وللصبح قاعدا

كان قلبه الطاهر بحراً زاخراً

أقواله وكلامه فرائــــــــدا

اليوم فقد انعكســـــت آيـة

إذ دخل في الحداد الأماثل والاماجد

سيما ان ابن الخطيبــــي

قـــد صار عنده الهم والغم زائداً

حيث كان يكن له الود كثيراً

وكان الله علي ذلك شـــــــــاهدا

صعد الأبدال السبعة في فضائل الفكر

وهم قد اعدوا الدواة والقرطاس إعداداً

دونوا تاريخـــــــه في الأرض

يا إلهي عسى ان يكون في الفردوس خالداً

إن السلسلة النقشبندية كان قد تم حصرها وضبطها فـــي القطعـــة التالية من قبل ذلك المُطَّلِع على الكرامات والعالم برموز الحقائق:

الترجمة العربية:

النبي والصديق وسلمان قاسم وجعفر طيفور[1]

وبعد أبو الحسن صار أبو علي يوسف أمينا للمخزن

من عبد الخالق داء النصيب إلى عارف ومحمود

فمن وراء هؤلاء صار اسم ما وراء النهر جبل الطور

على بابا كلال ونقشبندي وعلاء الدين

بعد يعقوب جاء جرخي خواجة الأحرار فاشتـــــــهر

محمد زاهد، ودرويش محمد، انتقلت الرئاسة إليهما

---

(1) الأسماء الواردة في هذه المنظومة هي لسلسلة أشياخ الطريقة النقشبندية ولـــم نــر ضرورة للتعريف بهم.ينظر في تراجمهم: محمد الخاني: الحدائق الندية في تراجـم أجلاء النقشبندية.

المجددون هم عروة الوثقى وسيف الدين والسيد نور[١]

حبيب الله مظهر شاه عبد الله مولانا

هؤلاء حسدهم صباح العيد ونحن اكتفنا الليل الداجي

ان خلق الجحيم المتأجج بالنار، لما غلبت عنده الشهوة إلى لقمة ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، حصلت لدي الرغبة في تدبيج الرسالة المسودة المليئة بالخطايا والذنوب، وباللغة التركية، بداعي الحفظ والحماية من مغبة تلك الذنوب والصيانة من مسؤوليتها وعليه جرى تحريرها على صفحة القرطاس[٢]

---

[١] عروة الوثقى ترد هنا كاسم معطوف عليه وذلك ليس بشيء غريب إذا ما قسناه ببعض أسماء العلم المركبة التي استعملها الفرس من قبيل سنا برق ورزم آرا، وعزم الو وشمس الغياهب وما شابه ذلك. المترجم

[٢] لقد حشر المؤلف هنا منظومة مطولة في ١١٢ بيتاً، نظمها في مدح الشيخ خالد النقشبندي، لا علاقة لها بصاحب الترجمة الذي عقد له الفصل أعلاه، ولكونها خارجة على سياق الترجمة تماماً، ولضعفها بوجه عام، فقد ضربنا صفحاً عن ترجمتها.

٤٣- عثمان عمر الأربيلي[١]

مخلصه: عثماني

مولده ووفاته غير محددين

ذكر نائل العطاء الرباني، عثمان عمر آغا عثماني

ان المرحوم هو ابن المدعو عمر الأربيلي. كان يحمل- في بادئ أمره- رتبة بولوك باشي[٢] وهو لما يزل في مرحلة تعلم الحروف الأبجدية في مدرسة الجهالة، وأمضى العمر على هذه الوتيرة حتى الخامسة والأربعين، وعلى حين غرة جاءه الفيض الألهي والعطاء اللامتناهي بشكل غير متوقع فأخذ يقرض الشعر باللغة التركية بشكل يسترعي الأنظار.

بيت تركي معناه

صارت دولته الكبرى للفيض الرباني مظهراً

قلبه النبيه ينفتح لأسرار الأقوال

اهتم بجمع أقواله الشعرية شيئاً فشيئاً بإملائها على الآخرين، ولديه حالياً ديوان جميل. وهو لحد الآن لا يميز الألف عن الباء او حرف الباء عن التاء، بل ان العبارات الموجودة في نظمه، لو سئل عن معناها لما أجاب عنها بأي جواب.

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يذكره صاحب المختصر.

[٢] بولوك تركية بمعنى: الفوج، الجماعة، الفصيل، وباشي: المقدم والرئيس، اصطلاح عثماني يقابل آمر فصيل في كتيبة الخيالة.

كذلك اخترنا البيت المفرد هذا من أعماله الشعرية لطرافته ورقته:

المعنى

ارم نفسك في نقرة ذقن الحبيب اسوة بيوسف

لئن كان سجناً ففيه منصب الرفعة

اشتهر بمخلص عثماني بين الأقران، ولكنه وقع ذليلاً أسيراً وكسيراً في مخالب الدهر، يمضي يومه في حالة يرثى لها من الضيق والضنك.

بيت تركي معناه

هل سبق وان شوهد في هذا المنزل يا ترى

من نال البغية وفق المرام وحسب الهوى؟

٤٤- عاطف الحاج احمد آغا[١]

مخلصه: عاطف

مولده ١٢٠١هـ/١٧٨٦م

توفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م

ذكر مطمح الجهلاء، عاطف الحاج احمد آغا

ان الموما إليه هو ولد الحاج صالح آغا للكاتب الأول، كريم العين، بغدادي الأصل والوطن. وهو يدعي بأن أجداده جاءوا من مدينة ارضروم في سابق الأيام.

---

[١] له ترجمة في المختصر فيها بعض التفصيلات التي تزيد على ما أورده صاحب الأصل، وإن لا تخرج على مضمونه العام. قال "إن المومى إليه كان من أهل التعقلات، وكان يدعي في جميع الكمالات بالقول لا بالفعل، وكان يسرق من كلمات الشعراء السالفين ويقول هذا نظمي فيكذبوه الناس، وكان يدعي أنه يعرف الصرف والنحو فيسئلونه (يسألونه) اعلال كلمة الصرف فما يقدر أن يعللها، فهكذا كان أحواله، فقط كان يخط قلم الديواني والرقعة والتعليق خطاً جيداً، ما كان من الكتبة كاتب يكتب خطه بقلم الديواني والرقعة سوى فضل الله افندي كاتب الديوان الذي قبل هذا سبق ذكره ومنقبته لأنه كتب عليه قلم الديواني والرقعة، وكل يوم كان يعطي مشق مقدار خمسين وستين بقلم الديواني والرقعة للصبيان ويعلمهم، وكان يعطي مقدار اثنين أو ثلاثة مشق بتعليق لأنه كان اناس من الأعجام يخطون بالتعليق أحسن منه، وكان عمره خمسة وأربعين سنة وتوفي في سنة ١٢٤٦ رحمه الله تعالى".

عرف بالحمق منذ نعومه إظفاره، وكـان حينمـا يحضـر فـي المجالس لا يخرج عن ذكر مثالب الناس ورميهم بالمذمة، وهو غافل كلياً عن الإشارة الشريفة: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[1].

وعلى الرغم من كونه قليل الاعتداد بالنفس ومعروفاً جيـداً فـي محيطه وينطبق عليه للقول السائر: الطول الفارغ يفتقر إلى العقل، فإنـه مع ذلك لا يخلو من بعض المواقف الحميدة في عين الوقت. ففـي عـام ألف ومائتين وأربعة وأربعين استزرع بعض الأفدنة القليلة مـن الأرض في مقاطعة شهربان، فاسترعى الأنظار ببعض الحركات الغريبة، منها أنه بداعي السيطرة على نفسه الأمارة علّق كيساً في عنقه أسوة بالمتسـولين، وطفق يتجول في القرى والأرياف المجاورة سعياً وراء جمـع العظـام والطعام للكلاب التي يربيها في خيمته، كأنما يقوم بذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[2].

كذلك كان يكتفي بثوب واحد فقط امتثالاً بأهل التجريد. ولما كـان يتوجه إلى الحرم بتحريض بعض المحبين، ينصرف إلـى غسـل ثوبـه بالماء وحده بيده وبلا استعمال الصابون، رغم كونه مرتعاً للقمل، وربمـا تكرر ذلك بين كل شهرين او ثلاثة.

---

[1] الحجرات، آية ١٢.

[2] الحج، آية ٣٦.

أما بالنسبة للتدخين، فإنه كان يستعمل التبغ في الجبق[1] أولاً. وهو الاداة المركبة على رأس عود طويل على شكل أنبوب، لكنه عاد ونبذ ذلك وأخذ يستعمل السبيل عملاً بالآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2] في زعمه، كأنما في استعمال الجبق إسراف، وفي السبيل رعاية لجانب الاقتصاد، علماً بأن التبغ الذي كان يستعمله يبتزه من ذوي الكرم من أصحاب العمل الذين يعاشرهم أو الأعراب الذين يجاورهم.

وهو بالغ في السذاجة حداً لا يسهل وصفه، فإنه يخطط او يتصور بيع التبن الحاصل عن زراعته إلى بعض من الأشخاص المجاملين جزءاً جزءاً بكل عقله الذي في نظره جوهر العقول، وبأسعار خيالية ويحصي المبالغ التي سيحصل عليها من جراء ذلك بمهارة فائقة تدل على الإلمام بعلم الحساب والأرقام، بحيث يحصي عدد الحبات الناجمة عن كل سنبلة مع مقادير التبن الخاصة بها، ومن ثم يتوصل إلى المجموع العام الذي سوف يدره عليه أرض مقدار مساحتها خمسة افدنة. وهكذا يحلق في أجواء الخيال متغافلاً عن النصح القائل: (لا تكن اشعباً فتتشعب)، وكانت النتائج التي يتوصل إليها من وراء العمليات الحسابية المذكورة أنه يفترض ان يحصل على ثمانين ألف قرش من حيث المجموع، لكنه يجد في خاتمة المطاف أن كيسه يكاد أن يكون خالياً إلى درجة صفر في

---

[1] هو اداة التدخين المعروفة بالشطب.

[2] الأعراف، آية ٣١.

صفر، مما أدى إلى ذيوع شهرته في المنطقة اكثر فـــأكثر مــن حيــث السذاجة والطيران على جناح الخيال.

وعلى هذا النمط لو استمر في تعداد حساب أعماله، فـــان ذلــك سوف يحتاج بلا ريب إلى جمع وضرب وتضعيف. ولذا رأينا الاكتفـــاء بهذا القدر. وفي الحقيقة فإنه ممن يصح فيهم القول:

بيت تركي معناه

لن الكمال والمعرفة بعيدان عنه

فهو حمار يستوجب تعليق العليقة على رأسه

ومع ذلك فله موهبة على قرض الشعر باللغتين التركية والعربيـة رغم انه لا يميز الفرق ما بين العِشق والعَشَق.. (أي اللبلاب. المترجم)

فندرج هنا بعض الأراجيز قد قالها وهو في الطريق إلـــى مكـة المكرمة ليس لزيارة بيت الله الحرام بل من قبيل تحويج الركـــائب مــن الجمال.

بيت فارسي معناه

إذا ما اخذوا حمار عيسى إلى مكة

يعود بكرة وما زال حمـــارا

وهو على غير دراية بهذه المقولة طبعاً. فلما وصل إلـــى هيــت وعانة كتب إلى ولده يشعره بوصوله إلى تلك النواحي قائلاً:

بيت تركي معناه

لما وصلت إلى هيت

غطست في القمل من رأس إلى قدم

وحدث أن صعد على شجرة توت لتناول شيء من التوت، فتعسر عليه النزول لما أراد ذلك، فاستغاث ببعض الناس القريبين ليساعدوه على ذلك.

ولما طرق ذلك سمع الشاعر يسري إسماعيل آغا الـــذي سيرد ذكره في فصل قادم، ارتجل للبيت الآتي فوراً:

يا عاطف قد تسلقت شجرة التوت فصعب عليك الهبوط

ولما استغثت مستجداً كنت كأنك المؤذن توتـــه

وتوته هذا كان شخصاً أعمى كريه الصوت والمنظر.

وفي إحدى المرات عرض على بعض أصدقائه قطعـــة غزليـــة بدعوى انه قد فرغ من قرضها أخيرا، لكنه لم يلبث طويلاً حتى ظـــهر أن القطعة المذكورة تعود لتائب أفندي دون اية زيادة او نقصان سوى انه قـد رفع مخلص تائب عنها ووضع اسم عاطف بدلاً منه.

أما الغزل المسروق المذكور فهذا هو نصـه:

التزجمة العربية:

بنت العنب التي في القصر الزجاجي مختبئة

ما الضير لو تراءت لخادم الحانة فهما من دار واحدة

وهل زاوية الاعتكاف تغني عن الحانة

فهذه بطاق الرواق ذات فخامـــــــــة

لا ترك الصدرية ايها القلب إلي ذلك المحبوب

ولا تتقرب من وسطه فهو من الصنف(*)

يعتبر الساحة المذكورة ميداناً لجولته

ويداعي التواضع جبل على قدم شاطر.

وقد نظم إسماعيل آغـــا الأندرونـــي الحمــامجي، والمتخلــص بيسري[1]، وهو من الظرفاء المعاصرين، قصيدة عارض بها ذلك الغزل.

شعر

ومخلصه الشعري هو عاطف

ورغم كونه قد دأب على اغتياب الناس وصرف الكلام مـن وراء ظهورهم جزافاً بسبب كان لو بغير سبب موجب، كما نوهنا فـــي بدايـــة البحث، وبدافع الجهل والحمق قبل كل شيء، إلا ان الكثيرين من أصحاب العلاقة لا يعيرون بالاً له ويمرون عليه مر الكرام عملاً بالحكمة القائلة:

بيت عربي

لو كل كلب عوى ألقمته حجــراً لأصبح الصخر مثقــالاً بدينــار

كما أن البعض الآخرين منهم يرددون قول الشاعر التركي فـــــي حقه:

---

[1] له ترجمة فيما يأتي من هذا الكتاب.

بيت معناه

لا نعير السمع لكل زاغ لو زغت

فأننا كطائر العنقاء لنا حواصل بقدر جبل القاف

فهم يردون عليه الجواب وفق ذلك المنطوق.

كانت حركاته غير المرضية وسكناته الرديئة ناشئة من بعض الوجوه عن تأثير الذهب والفضة وزيادة الثروة واليسار، هذا مع أن زوال كل من اغتر بحطام الدنيا لقرب من الحاجب كما هو معلوم عند أهل الخبرة والصبر.

بيت فارسي معناه

ألم تر قهقهة القبج المختال يا حافظ

ذلك هو مصير كل طائر غفل عن مخالب صقر الفضاء

هذا وان الأفعال في الهذر والثرثرة شيء مرفوض.. في حين ان التغافل عن الحديث النبوي القائل: لعنة الله على الكاذب ولو كان مادحاً أدهى وأمر[1].

---

[1] لم نقف على أصل لهذا الحديث في كتب الحديث المعتمدة.

٤٥- يوسف افندي الاربيلي[1]

مخلصه: غريبي

ولد سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

توفي سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦

ذكر بؤبؤ عين الذكاء، صاحب الحجى، يوسف افندي الغريبي

إن الموما إليه هو ابن الملا خليل الاربيلي. ولكونه بمثابة عين الفهم والادراك ومنبع الذكاء والفطنة، فلقد اصابته عين الدهر الحاسدة اصابة غادرة فقد على إثرها حاسة البصر في كلتا عينيه.

بيت لمنشئه بالتركية معناه

منهم من جعله بصيراً ومنهم من جعله ضريراً

لا تظنن بأن أي من الحالين خال عن حكمة الرب الجليل

بيد أن ذهنه وادراكه كان عامراً بالأدب ومظاهر الذكاء وطينته مجبولة بجواهر الفهم والعقل، فصار يتابع قراءة الكتب، ويتدارس وسائل

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر (ص٥٧) زيادة على ما في الأصل، جاء فيها" إن هذا الرجل أصله من إربل، أبوه كان جبوقجي يبيع الشطوب، وكان من الأذكياء، فبتاريخ سنة ١٢٣١ كنت أنا الداعي راجع من الموصل ومتوجه إلى بغداد، فتلاقيت معه في إربل، وجالسته، وطالعت في ديوانه، ورأيته (خرابساتي)، وكان يقرئ الصرف والنحو والمنطق، وكان سريع النظم في الشعر، وكان يحب مجالسة الفقراء، وكان فقير الحال، عمره ثلاث وستون سنة، توفي سنة ١٢٣٢ رحمه الله تعالى".

المعارف، حتى تكون لديه المام بصنوف اللغة العربية، واليد الطولى في مجالي النثر والنظم باللغة التركية.

بيت معناه

لكنت الهج باشعار خالية من المعاني الجديدة

لولا نبذ مالا يعني وحسن الإسلام وزينته

فامتثالاً لمنطوق البيت المفرد هذا، كان ديوانه المستقطر[1] من طبعه الرقيق وخياله اللطيف، ناطقاً بالبلاغة، وكل عبارة مفعمة بالفصاحة. وكنموذج لغزل محبوك بالكنايات، انطلق كالسلم المارق من كنانة خياله يبعث النشوة في قلوب أهل الغرام وذوي الهيام، لكي تتكحل به عين كل بصير، ويمتع الناظر به جميع اهل البصر:

شعر معناه

ليس عمى القلب قد ورد إلى العاشق من الطور

فقد جاء موج الفتح إلى مهبط الوحي من بحر النور

ان همة الصعلوك قد تمتد إلى الملوك

---

[1] أشار المرحوم عباس العزاوي إلى هذا الديوان فقال "طبع ديوانه فهو متداول، وعندي نسخة مخطوطة منه، كتبت في حياة المؤلف في سنة ١٢١٧هـ وفي هذا الديوان من الرقة وجمال المعاني ما يفوق الوصف، وتغلب عليه الشعر التركي بل كله تركي، والتصوف غالب عليه، بل للمتصوفة رغبة زائدة فيه واهتمام بمطالعته، وليس له عقب" (اربل في مختلف العصور، راجعه وعلق عليه محمد علي قره داغي، بغداد ٢٠٠١، ص١٣٧)

الريح قد جاءت إلى عرش سليمان من جناح الهوام

ان ساحة الصدر غدت بحر المحن من دمع العين

فسيل الطوفان حدث في الدنيا من فوران التنور

شرب المعشوق لابد ولن يؤثر على العشاق

فخراب القلب الولهان ناجم عن العين المخمور

انما الموت والحياة سيان في نظر اهل التوحيد

ان شجرة (انا الحق)[1] قد استقت الماء من بقاء منصور[2]

ليس لي رغبة في الصهباء الوردية إن يقول الزاهد كذباً

فلون شال الصوفي ومدامه قد جاء من الكرم

يا غريبي ضيق ساحة النظم على شعراء الزمان

وهذا فيض الطبع قد اتي من همة تيمور

ان صاحب الأقوال الغريبة، والطرز العجيبة، والمقالات الطريفة، ومعجز الأداء، قد امتاز بين الناس بمخلص غريبي. وكان قد اوتي نصيباً وافراً من القدرة العقلية تفوق القياسات الاعتيادية، ومن المدارك ما تزيد على المقادير المعتمدة لدى اهل الأدباء، فضلاً عن فكر ثاقب سريع الانتقال وذهن وقاد قاطع المحال. ومن جملة هواياته انه كان بارعاً في

---

[1] عبارة مشهورة في التصوف تنسب إلى الصوفي الحسين بن منصور الحلاج المقتول ببغداد سنة ٣٩٦هـ.

[2] يريد الحسين بن منصور الحلاج المتقدم.

تجليد الكتب، رغم كفاف بصره، فكان يجمع الصفحات الواحدة بـــالأخرى بمهارة فائقة تدعو إلى العجب.

وبما ان والده كان جبوقجياً[1]، فلقد اودع إليه وكيل اربيل عـــود ياسمين ليصنع له منها جبوقاً، غير ان العود المذكور حدث فيه اعوجــاج بفعل تعرضه للهواء والتيبس، مما جعل عملية ثقبها عملاً عسيراً وامــراً غير يسير. فجاء شاعرنا خلسة، دون علم من ابيه، فثبت احد طرفي العود المذكور إلى سقف الغرفة التي يسكن فيها والطرف الآخر شدّه بـــالمِثقب، ثم شرع يعمل بتروٍ حتى فرغ من ثقبه كاملاً دون ان يحـــدث فيـــها أي ضرر ما في جوانبها. ولما اطلع والده على العملية المذكورة بعد الفــراغ منها فغر فاه اعجاباً وتقديراً امام هذا الانجاز العظيم المثير للعجب. وهـذا عملاً بما جاء في البيت المفرد القائل:

كمال نشوة العشق ينجم عنها

تشوير المرارة في المدام وتأثير الالحان في الناي[*]

---

[1] الجبوقجي كلمة تركية مركبة من جبوق، وهو الغليون، وجي أداة نسبة إلى الحرفة، فيكون معناها صانع الغلايين.

[*] هذا البيت عائد لفضولي البغدادي وفي أول غزلياته من ديوانه. ولقد سبق شـرحت انا هذا الغزل قبل اعوام طويلة في مجلة (الاخاء) ان لم تخني الذاكرة، ولحد الآن انني لم افلح في ايجاد معنى لقوله: تشوير الحرارة. لقد سبق وان رأيت في مراجع اخرى الشطر الاخير هذا على النحو التالي:

تـــأثير الحـــرارة فـــي المـــــدام   وتأثير الصدى في الناي. المـترجم

فبناء على منطوق البيت هذا فقد كان يميل إلى نجـــل المرحـــوم تيمور باشا حاكم وان[1]، فكان يشد الرحال إلى مدينة وان بشكل منتظـــم حتى صار ذلك له عادة مستديمة. ولدى حلوله عندهم كان يحظـــى بكـــل اعزاز واكرام. وفي تلك المناسبة[2] انشد البيت الآتي:

ياله من مسجد ليس فيه مجال حتى لمقدار قدم واحد

فالقوم قد وضعوا الرأس على عتبة الحبيب من مئة جهة

كان الموما إليه يعاني من نكد العيش وضيـــق ذات اليـــد اغلـــب ايامه، ويصارع الفقر والعوز اكثر اوقاته.

---

(1) ذكر ياسين العمري أنه كان حاكماً لمدينة وان سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، غرائـــب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، تحقيق محمد صديق الجليلي، الموصـــل ١٩٤٠، ص١٧.

(2) أورد الشاعر الملا محمد صادق الكركوكي قبل نحو خمسين عاماً تفسيراً آخر لهذا البيت خلاصته أن الشاعر غريبي حضر في احد المضايف في اربيل ذات مســـاء كالعادة، ولما دخل في الحجرة واراد ايجاد محل لنفسه، إذا بأحد الجالســـين يمـــد غليونه المثبت على طرف عود لنبوبي طويل عادة امام قدميه فسد عليه الطريـــق، ولما استدار يميناً إذا به يجد في طريقه عائقاً آخر، ولدى انحرافـــه يســـاراً، مـــد شخص آخر غليونه بدوره نسد عليه السبيل، فما كان من الشـــاعر إلا وارتجـــل البيت المذكور في التو واللحظة. أما سبب زيارته لدار تيمور باشـــا كـــل عـــام، فحسب رأيي الشخصي فإنه كان لاستلام المنحة أو الصدقة أو الزكاة التي كان قـــد خصصها له سنوياً وليس إلا، فإنه كان يعاني من ضنك العيش كما نرى اعلاه.

بيت تركي معناه

لا تطمعن حياً في عيش مريـــح حتى يعقد معك عقد المصالحـــة

وفي سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين بلغت قصيدة حياته إلـــى المقطع الأخير منها بفعل أجله الموعود فحط في مطلع جنة المأوى[1].

بيت بالتركية معناه

لم يحط احد بالحياة الابدية الخالدة

البقاء الدائـــم لله وحـــــده

لا تدوم هذه الدنيا لأحد

فالله العزيز هو الدائم على قرار واحد

---

[1] المطلع: هو أول بيت من الغزل والقصيدة، والمقطع هو آخر بيت فيها. المترجم.

٤٦- فضل الله افندي كاتب الديوان[١]

مخلصه: فضلي

مولده ووفاته غير محددين

ذكر مجموعة جامعة العرفـــان فضل الله افندي كاتب الديـــوان

هو ابن المرحوم ولي افندي مدير الديوان. وشقيق لطف الله افندي كاتب الديوان الوارد ذكره في فصل حرف اللام من الكتاب. وقـــد بلـــغ درجة الكمال في صناعة المعاني والبيان وضروب البلاغـــة والفصاحـــة والكنايات وغيرها من الوسائل والأدوات الأدبية الفنية:

بيت عربي

ســـبقت اناملـــه الانـــــام فـــأحرزت قصـــب الـــيراع

على اثر انتقال شقيقه الشفيق الموما إليه لله رحمه الباري بأجلـــه الموعود، اسند له منصب (أفندي الديوان)[٢] الشاغر عنه[٣].

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، واختصر صاحب المختصر هذه الترجمة ص ٥٥.

[٢] في الأصل (ديوان أفنديلك)، وهو ما يقابل: ملاحظية الديوان.

[٣] في المختصر أن والي بغداد سليمان باشا الكبير ولاه منصب كاتب الديوان في بعد وفاة أخيه سنة ١٢١٦، وفي سنة ١٢١٧ توفي الوالي المذكور، وتولى من بعـــده علي باشا المقتول فعزل فضل الله أفندي عن منصبه وبقي معـــزولاً مـــدة عشـــر سنوات، ثم أعاده والي بغداد سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير إلى منصبـــه ســـنة ١٢٣١، فلما تولى داود باشا أبقاه في منصبه في مدة وزارته خمس عشرة ســـنة. وذكر أنه كان ليناً سليم الطبع مولعاً بأنواع اللعب، معتنياً بجمع الطيور النـــادرة،=

المعنى

ليس من الممكن اناطة منصب الدنيا إلى شخص واحد

فقد قيل فيما سبق ان كل يوم عهد لعاشـــق جديد

ومع أن المنصب المذكور ظل فترة شاغراً عن ذلك الإنسان عديم المثيل والجوهر غير القابل للانقسام، فإن مميز حـــال العـــارفين ونقـــاد الافاضل، السيد آصف الشيم وزير سليمان الحكيم، ألا وهو افندينا حضرة ولي النعم، وفقاً لمنطوق: إذا اراد الله لعباده الخير ارسل اليـــهم حاكمـــاً عادلاً، فإنه لما جعل بغداد دار السلام مركزاً ومقاماً للامن والسلام برتبـة الوزارة وابهة الخلافة معنى وصورة، احله في المنصب المذكور ثانيـــة، وبالاضافة إلى ذلك منحه عنوان (خواجه كان ديوان)[1].

بيت تركي معناه

لئن يجري بعض الايام عكس المجرى

فإنه يتبع مجراه القديم ماء الاحســـان

=من الحمائم والقماري والبلابل، كما ماهراً في فن النجارة والخراطة، فكان يخرط مسابح وبزوز الشطوب (فم الغليون) وغيرها، توفي في الطاعون سنة ١٢٤٦هـــ.

[1] خواجكان مصطلح تركي بمعنى: أساتذة، ومعلمون، واضافته إلى الديـــوان يعنـــي اصطلاحاً: رئيس ملاحظي الديوان.

ومع انه كان غارقاً في الطاف حضرة الخديو وعنايته فوق الحد والغاية، فإن الغرور لم يجد إلى قلبه سبيلاً في يوم من الايام ولم يبدر منه أي استكبار أو شموخ قطعاً.

بيت تركي معناه

ارغم النفس المتعنتة بالقهر على الخضوع

انما التكبر عمل الشيطان وانت إنسان فلا تمارسه

كان هادئ الطبع، سليم الطوية، حليماً نقي السريرة، إلى حد أنه إذا تصدى احد الناس بالمعاداة أو أظهر الكره له، لم يدخر وسعاً في تكريم ذلك الإنسان واظهار مشاعر الاحترام إليه بكل قلبه، وبصفاء النية، بحيث يغدو ذلك الشخص عرضة لاحاسيس الخجل والندم من تلقاء نفسه.

الترجمة العربية:

انه لمن الجهل عزو خصال العفو والحلم إلى العجز

إذ المراد عن المداراة هو نعمة هدوء للقلب

ان مرآة قلبه لصافية عن كل شائبة، وهو امرؤ ودود ومقاله غير ممل وان طال بعض الشيء، والخلاصة انه شخص وحيد فريد في بابه، لا مثيل له ولا عديل. والدليل على دماثة خلقه وحسن طبعه، هو الاحتفاظ به مستمراً في الوظيفة منذ أن تعين فيها في بداية تولي صاحب الدولة حضرة ولي النعم مهمة الحكم، وحتى هذا التاريخ. وهو حامي حكومة بغداد ومحافظ خطة دار السلام، فلم يجر عزله منها.

ولما كان ميالاً في بعض الاحيان إلـــى قــرض الشــعر باللغــة الفارسية خاصة، فإن أرواح الخاقـــاني[1] والانــوري[2] والفردوســـي[3] والاختري[4] يعتريها الخجل وتأخذها الرعشة من قمة للرأس إلى اخمـص القدمين.

ومن جملة روائعه في هذا الميدان، الدوبيت الآتـــي الـذي قالــه تاريخاً لاكمال تشييد مئذنة الامام موسى الكاظم، وقد جرى نقشـــها فـــي شرفتها:

بانى مناره كرد أساسش جو رسخ

نوك سر اوكذشت برج مريخ

تاريخ ختامش أز مؤذن جو ســـنم

---

[1] هو أفضل الدين إبراهيم بن علي المعروف بخاقاني، شاعر بارز، له منظومة مشـهورة باسم (هفت اقليم)، وديوان شعر، توفي في تبريز سنة ٥٨٢هـــ قاموس الأعـــلام ج٣ ص٢٠١٣.

[2] هو أوحد الدين المعروف بأنوري، أصله من أبيورد، ومهر في علوم عصره، وبخاصة علم الفلك، هذا فضلاً عن نبوغه في الشعر، توفي سنة ٦٥٦هـ. المصدر نفســـه ج٢ ص١٠٥٧.

[3] هو من أشهر شعراء ايران، واسمه أبو القاسم حسن بن اسحاق بن شرفشاه الطوســـي، اشتهر بنظمه (الشاهنامه) التي ضمنها تاريخ ملوك الفرس الأسطوري، وتوفي ســـنة ٤١١ وقيل: ٤١٦هـــ. المصدر نفسه ج٥ ص٣٣٨٧.

[4] هو مصطفى بن شمس الدين قره حصاري المعروف بأختري، عالم باللغـــة، لـــه معجم مشهور باسمه، ومجموعة فقهية، توفي سنة ٩٦٨هـــ المصـــدر نفســه ج٢ ص٨٠٣.

تكبير زنان كفت كه خيراتك تاريخ[1]

الترجمة العربية:

ان مشيد المئذنة جعل اساسها راسخاً

سهم قمتها قد نفذ في برج المريـــخ

تاريخ ختامه تلقيته من المؤذن

اهل التكبير نادوا: ان خيراتك تاريخ

بيت آخر

بس از تكبير دعا ضم كن بتاريخ

تعالى شـــأنه الله أكبـــــــر

ومعناه

عقيب التكبير اضـــف مؤرخـــاً تعـــالى شـــأنه الله اكبـــــر

وهو كذلك ذو باع طويل في باب نظم الشعر باللغة التركية ايضاً.

ان الشطر الأول من البيت الآتي لما ترشح عن قلم حضرة ولـــي النعم، فإنه اتمه بنظم الشطر الثاني منه:

---

[1] حساب (خيراتك) ١٢٣٢، ويذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين أن اكمال بناء سقف آخر مئذنة من مآذن المشهد الكاظمي الأربع، جرى سنة ١٢٠٧هـ (تاريخ المشهد الكاظمي، بغداد ١٩٦٧، ص٩٢) ويظهر أن شيئاً من أعمال البناء فيها لم ينجـــز فاكمل في التاريخ الذي يحدده بيت التاريخ هذا.

الترجمة العربية:

لما غدا ذلك الغدار ذا حواجب اربعة

انغرزت سهامه في القلب، ما العمل؟

وانا بدوري من جانبي تجاسرت على اتمامه على النحو الآتي:

الترجمة العربية:

لما غدا ذلك الغدار ذا حواجب اربعة

تولـــه به القلب على رغمـــه

ومع ان بعض ايامه مرت في عسرة، غير ان اكثر سني عمــره مضت في بحبوحة من العيش، سيما بفضل حضرة ولي النعم واسـباغه عليه اسباب الرعاية مذ ان جاء على رأس الحكومة، وذلك تقديـراً منـه لكماله وعرفانه وادبه.

مخلصه المنيف هو فضلي بالاشتقاق من اسمه الشريف المترادف بالفضل والفضيلة.

٤٧- محمد امين افندي[١]

مخلصه: فوزي

مولده ووفاته غير محددين

نكر للورد في روض للمعارف والبراعة

فـــوزي محمد اميـــن افنـــــدي

ان الموما إليه هو ابن نصرت الملا علي البغدادي المـدرج فـي حرف النون[٢]. كان ميلاده الميمون في مدينة الخلد[٣]. وهو شاعر مجيـد من شعراء العراق، حتى أن ثابت وروحي قليلا الاغتراف بالقياس إليـه، وان راغب ونفعي[٤] لا ينبسان امامه بشيء كالتمثال.

بيت معناه

اته لجة فهم وبراعة لبحر محيط المعرفة

وصفحة قلبه اللطيف كله دفتر للغـــات

بارع جداً في حل أصعب المسائل الادبية وشرح غوامض اعقـد الصناعات اللفظية والبيانية. يجيب بأيسر التفاسـير والشـروحات علـى

---

(١) انفرد المؤلف بالترجمة له، واختصر هذه الترجمة صـاحب المختصـر ص٣٧، وفيما اختصره بعض اختلاف عما في الأصل، كما سيأتي.

(٢) الترجمة ٦٢.

(٣) في الأصل (بهشت آباد) وهي كلمة فارسية مركبة تعني مدينة الخلد، وإذ ذكر في المختصر "إن هذا الرجل أبوه أصلاً كركوكي، أما هو فولد فـي بغـداد"، يكـون المقصود بهذا الوصف مدينة بغداد ذاتها.

(٤) تقدم التنويه بهؤلاء الشعراء.

الاستفسارات التي يتقدم بها هواة الأدب وطلاب العلم بكل يسر وسهولة بحيث ترتاح إليها النفس وتتشرح الصدور بانفاس زكية داعية للإستئناس[1].

والجملة ان هذا الفقير، كاتب السطور، كان واحداً من ادنى تلاميذه الصغار في وقته، فلما كان يتطرق إلى ايراد الاشعار بالمناسبة كنا ننظر إليه مبهوتين حيرانين تقديراً واستحساناً.

وأنا الآن في حيرة من أمري، من أين أبدأ الكلام في وصف مؤهلاته الأدبية، هل من ترابط الكلام الموجود في تخميساته، أم من التصنعات المشحونة في قصائده وتواريخه وغزلياته؟.

وكما سبق أن المحنا في مقدمة المناقب المتدائرة لحضرة ولي النعم في مستهل الكتاب، إلى ذكر قطعة غزلية رائعة له، عرضت على عروس مقاله، فإن شاعرنا من جانبيه قد اضفى عليها برقع التخميس على النحو الآتي:

الترجمة العربية:

من الذي اسعده الدهر على مدى الدهر

---

[1] في المختصر أنه قرأ أولا العربية، ثم الفارسية، وكان له انشاء جيد في التركية، ولذا فإن والي بغداد سعيد باشا عينه كاتباً في المصرفخانه، وفي عهد داود باشا صار كاتباً في الخزينة، ثم عمل في الكمرك، وامتد به العمر حتى أول أيام ولاية محمد نجيب باشا (تولى بغداد في ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ) إذ ذكر أنه عاش ٦٢ سنة، تكون ولادته في سنة ١١٩٦هـ.

وزينه بالشـــوكة والجلال بدولة الأبد

لا تظنن بأنه دار وفق مرام احد ابداً

كل من جعله الفلك الدنيء على الدهر سلطاناً

إلا وجعله قريناً لليأس والحرمان في عاقبة الامر

إذا اردت عمارة ملك البقاء ايها الحبيب

فامسح عن لوح القلب كل نقش للصفاء والمسرة

كل بناء اساسه الرمل لابد ان ينهار يوماً

كل ما في هذا الدير القديم من كومة النقض فاعلم

إنه ملك اسكندر قوّض الدوران بنيانه

لما بلغ قده الممشوق إلى حد الكمال

فصارت اشجار السرو عبداً له وهي حرة طليقة

حجاب وجهه كان سداً ساتراً للأعين

ذلك الوجه الملائكي الذي لم تصل الانظار إلى خده

قد جعله الدهر الخائن مع الأرض سيانا

ان ارباب الفنون الذين نالوا قسطاً من الفضل والعرفان

انضووا في زوايا الحيرة يئنون من وطأة الفاقة

لم ينالوا من مائدة الدهر إلاّ المدمع القاني

لا تحسب بان السماء الزرقاء ميلها للعاقل

ما اكثر العقلاء الذين جعلهم حمالين لاعباء البلهاء

ان الله لغرض تمشية لمور الكائنات

جعل منهم سلطاناً ومنهم من جعله صعلوكاً

للفلك الدوار شأن في هذا الامر يا فوزي

لقد اعتاد الناس على الشكوى عن الفلك يا حاكم

بينما أخفى خالق الفلك حكمه في الحكمة

كما اجرى تخميساً لهذا البيت المفرد الفريد في المعنى والذي هو باكورة دوحة طبع حضرة ولي النعم:

المعنى

ان سلطان الحسن ذاك الذي نزل في منازل ما تحت اللب

اخذ المشرب من شراب مشربه مذاق نقرة الذقن

ان فرس المطلب قد انطلق من مضيق (كوموش معدن)[١]

لاجل تسخير ثغور الحسن، تلك التفاحة الغبغب

قد خرج من الحدود الرومية فتغلغل في اراضي قيزيل الما[٢]

كذلك نظم تخميساً لغزلية تعود للشاعر الكبير فضولي البغدادي، وهو يعد من اعماله النادرة والعويصة للمعنى ويحتاج إلى الكثير من الامعان والتدبر في غوامضه، واليك بعض المقاطع منه:

---

[١] كموش: كلمة تركية بمعنى الفضة، والمقصود مضيق يقع في سنجق آماسيا من ولاية سيواس في العصر العثماني.

[٢] سبق أن وضحنا معنى هذا المصطلح الجغرافي.

شعر معناه

ان فمك لعديم المعنى في التكلم على المقال

سالفك الاسود كأنه جيم على الجمال

في شاطئ الغدير على دوحة الغنج والدلال

ان قدك أصيصة سرو وحاجبك لنون عليه

وكمثل نقطة النون صار خالك فوق مسكي الهلال

شعر معناه

ان تسل عن حالي فالخاطر منكدر والقلب حزين

والعين مبتلة قد اجرت دموعها إلى العالمين

كيف يمكن لجرحي ان يبقى متستراً في طوايا الصدر

انه لمن زلال دماء القلب بكأس العين مترعة

فالنقطة الموضوعة فوق الزلال لهي تحت الحباب

ان قده جعل السرو السيار مستقيماً

فقد جعل كلام فوزي الحصيف في مستوى كلام الكليم[1]

ان لسان الصدق قد شق يراعه الموزون إلى شقين

ان ذلك قد جعل طريق فضولي نحو طريق النظم مستقيماً

ان دوحة قامتك لهي حرف ألف على نحو معتدل

---

[1] اشارة إلى موسى الكليم عليه السلام.

في عام الف ومائتين وأربعين حدث فيضان داهم في شط دجلة مثله في ذلك مثل الطوفان الناجم عن فوران التنور[1]، بحيث صارت مدينة بغداد مهددة بالغرق بأسرها وقطع الناس الامل في النجاة على صعيد البلد بشكل عام[2]. فورد الامر من لدن حضرة السلطان إلى حضرة ولي النعم والي بغداد، بعمل سد منيع لدرء أخطار ذلك. فشمر سيادته عن ساعد الجد فوراً ودعا إلى اجراء ما يلزم على جناح السرعة، فتم تشييد السدود واقامة الموانع في الجهات المهددة بهجوم الماء، بحيث تم كبح جماحه على نحو يدعو إلى كل الاعجاب والتقدير. فبهذه المناسبة نظم شاعرنا قصيدة مطولة في وصف ذلك. وقد جاءت آية في الإبداع. لذا فقد آثرنا درجها هنا كاملة دون استقطاع أي جزء منها:

شعر بالتركية معناه

وجب الحمد والشكر لجناب الحي والسبحان

فأيام المحن واوان الخوف قد انقطع دابرها

ان السحاب المنهمر بلطف الباري على صحن بغداد

جعلها طافحة بفيض الرحمة كما يطفح الكأس

بينما كانت الزوراء مائلة للغرق كالسفينة المليئة

إذا بخضر التوفيق الإلهي يأخذ بيد السكان

---

[1] اشارة إلى طوفان نوح عليه السلام.

[2] انفرد المؤلف بالكلام على هذا الفيضان الداهم الذي تعرضت له بغداد، والقصيدة التالية توضح تفاصيله ومجرياته.

كان مزاج النهر قد شابه الفساد إلى حد

فقد معه الصواب ورفع الرأس للطغيان

بينما كان اللطف كامناً في ذاته إذا به يتغير

فصار يرغى ويزبد مخموراً بفعل الهوى الآخذ منه

تخال السمان يخطف بالطيور من شدة الغضب

فخوفاً من صولته طارت لائذة بالجبال والوديان

لم تكن دجلة متصفـــــــة بالامن والســــكينة

بل كانت تورث الخوف والهلع في القلب والنفس

ما عرفت لأمواجها قيوداً بل انطلقت بجنـــــون

اسكرها الهوى فصارت تهيم في البرية اسوة بمجنون ليلى

قوضت المباني الكائنة على شواطئها فهدمتها

كمثل فصل الخريف اعملت النهب في البساتين والجنائن

اورثت الخسار في محاصيل الدهقان والرعية

ونصيب الفقراء صيرها إلى بيـــــــــادر[1]

أحاطت المدينة كالأسوار فصارت كالبحر المحيط

إذ قيدتها بسلاسل الأمواج فصارت سجنـــاً

دعاء حزب البحر لاجل حرزالروح صــــار دوماً

قد صار بكل خلوص لاهل الدين والايمان وردا

---

[1] في الأصل (خرمانه= بيدر، محصولات، غلة) ولعله يقصد أنها أصبحت أكوامـــاً مما لا نفع فيه.

كان الكل في بحر الهواجـــس غرقـــى

يضربون الايدي والاقدام في لجج الحيرة كالغريق

لاجل درء اخطار طوفان البلاء هذا

ابدى مشير ادارة المملكة رأياً صائبـــا

بوابة بحر الدولة وهو حضرة داود باشا

كف جوده وعطائه ماثلت ديمة نيسان

محيط المكارم اضفى رونقاً على صدر الوزارة

فيض علمه وفضله ماء وجه لآل عثمان

مرسى خلافـــة في بحر حكومـــــة

تجلى ذلك كالماء فانظر إلى القـــران

ان افلاطون الفطن ازاء عميق علمه

ليماثل توقف الماء الجاري بحلق عطشان

ان ماء صمصامه قد اضفى للطراوة على بستان العدل

فقوض صرح البغي والفساد وهدمه

لو يتحسس غواص المدارك لجج الآفاق كلها

لما تيسر له الحصول على درة فريدة مثله

ان سلسبيل منهل لطفه يهب النشوة للمرء

ويلهم العبارات العذبة إلى طبع ارباب الكلام

خرج بنفسه اسكندر العصر عند المدة المقامة

ماداً يد الدعوات نحو باب الخالق الفيـاض

فلقد استرشح من رشحة نهر (وغيض الماء)

ما يخمد نيران فوارة تنور الطوفـــــان[١]

لغرض تشييد السدة في خارج المدينة وتحكيمها

أصدر أمراً عالياً إلى الشيوخ والشبان والاركان والاعيان

اقيمت القباب والخيام يومذاك كمثل الحباب

إذ خرج اهل الولاية امتثالاً للامر والدعوة

شرع الكل بنقل التراب في ذيول الثياب

فشيدوا السدود مدعومة بالبواري والحصران

كان التيمم بالتراب يتوجب على كل من

دنا من ضفافه والقى نظرة في بحر عمـــان

تلك كانت حالة غريبة طارئة خارقة للعادة

لم يسبق لها نظير في اسماع المعمــــرين

لقد تجاوزت الشهرين مدة مكوثها

فقد وقعت في عام الف ومائتين واربعيــــن

بيض الله وجوه الاتباع إذ لم يألوا جهداً

في سبيل الاعتراف بحقوق النعمة منتخين

كيف بهم لا يؤدون حق الإحسان

وقد سبق ولن خاضوا في بحر اللطف والاحسان

لا سيما مصرف صاحب الشرف ورب الهمة

---

[١] الإشارة إلى الآيات الخاصة بطوفان نوح في القرآن. المترجم.

فقام بكل اخلاص بمهمة الصرف لذلك العاهل ذي الشان

أبدي كل صدق في الخدمة فاكتسب بياض الوجه

فهكذا قد تمايز على الامثال والاقـــــــران[1]

في اعالي فريجات[2] كان نهر الدجلة العظمى

قد انكسر عن منسوبه فصارت المياه في فيضان

لاجل المصلحة العامة جرى التشمير عن ساعد جد

فتم تجبر الكسرة المذكورة بهمة الشجعــــــان

ايها الخديو يا آصف، ويا صاحب المكارم والعدل

ان وجودك في البلاد لمدعاة للامن والامـــــان

انت ذاك شمس المعارف فضوء شمس عرفانك

يهب النور من برج الاشتهار إلى البدر المنير

قد اصلح رأيك السديد الفساد السائد في الناس

فكل المواد الرطبة المضرة ازحتها بحكمة الاطباء

ان همتك المسيحية وسعيك قد بعثت حياة جديدة[3]

---

[1] قد تكون الاشارة إلى مدير المصرفخانة في تلك الايام المدعو محمــــد مصـــرف. المترجم.

[2] الفريجات: منطقة على دجلة في شمال الأعظمية منسوبة إلى فخذ الفريجات مـــن عشيرة زبيد، وتقع مقابل التاجيات (جزيرة بغداد السياحية حالياً) شـــيد فيـــها داود باشا قصراً له.

[3] يريد أنك أحييت الأرض بعد غرقها كما أحيا السيد المسيح عليه الســـلام الموتـــى بإذن ربه.

في الذين كانوا قد آيســـــوا من معين الحياة

كان قد حدث حادث طارئ غير منتظر

غير انه مر والحمد لله والشكر بســـــلام

جاءت البشرى عن نداء ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾

تلا ذلك امر ﴿يَاأَرْضُ ابْلَعِي﴾ إلى الطوفـــــــان

ان غمامة الغموم قد انكشفت برياح همته

فمنسوب دجلة قد هبط إلى الحد الادنى

في تلك الاثناء قد جاءت بشرى المقرر بدورها[١]

فتموج بحر توجيهات السلطـــــــــان

صار السرور مضاعفا وصار يلهج اللسان

بالدعاء بكل اخلاص لعمر حضرة الوالي

وانا العبد القاصر من ينبوع طبعي لشدة سروري

اسقيت شجرة شعر ناشئة بطريقة ظريفة

لا تنخدع ايها القلب بوجه الحبيب الوردي ولَعله[٢]

فبذا قد تسقط اخيراً في نقرة الأنقـــــان

لاجل وضع الوجه على موطئ قدمـــــــه

تسيل دموعي في كل جانب مثل الغــــدران

احمر لون الورد وتصبب عرقاً من الخجل

---

[١] المقصود : الفرمان الخاص بتجديد ولاية داود باشا.

[٢] اللعل: الحجر الجميل الشبيه بالعقيق.

لما توجه ذلك الخد الوردي إلى صبحاً إلى الجنان

كنت اود ترسيم صورة خدك الوردي

على صفحة العين لكن يستحيل الرسم بالدم على الدم

الرائي قده الموزون على هذا النمط من الاختيال

فلا يميل بالنظر إلى شجرة السرو المختال في الروض

كذا لغرض النهب والسلب في العين والقلب

قد امتطى فرس العز والغنج كمغوار في النهج

ما احلى طبع قبلة على لعله الرطب يا فوزي

لما كان مخموراً حتى الثغر في مجلس الخمر

اختصر الكلام وادع بالخير صادقاً مخلصاً

فطول الكلام يورث الملل عند اهل الادب

يا الهي كلما كانت مياه الانهار على وجه البسيطة

جارية في الدنيا تصب نحو رياض عيش الإنسان

بكل صفاء القلب في صدر الوزارة العالي

لتكن احكامه جارية وامره نافذاً على الفلك الدوار

انه ورد روض الرقة ويوسف مصر النجابة

وهو ثمرة بستان القلب لدستور ذاك الدوران

نأت النوائب عن جوهر ذاته الشريف

ليحفظ الباري بلطفه ذلك الدر الفريـــــــــد

كذلك على وفق ما جاء في البيت العربي المفرد:

رمضة مـــاء نـــهرها سلســـال   دوحة سجع طيرهـــا مـــوزون

فلقد أوجد حضرة ولي النعم حديقة غناء فـــي داخـــل القلعـــة[1]، تضاهي بستان الارم في المثال، وتعادل جنة الفردوس في التمثال، ولـــدى الفراغ من تنظيمها وتنسيقها انشد شاعرنا المنظومة الآتية في بيان تـاريخ ذلك؛ نقتبس بعض المفردات منها:

الترجمة العربية:

يا لها من حديقة غناء وروضة بهيجة

كأن منتزهاتها وممراتها تماثل جنينة المصلى

جرى تخطيط الجداول القصية في اطراف الرياض

فأنهارها الصافية لجارية بالصفـــــــــــاء

يا لها من دوحة ازدانت بها روضة الخلافة

---

[1] في الأصل (أندرون قلعة) والمقصود بها ما كان يعرف بالقلعة الداخلية (وتســـمى أيضاً إيج قلعة وهو المعنى نفسه)، وقد ورد ذكرها لأول مرة في حـــوادث ســـنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م ينظر عبد الله بن فتح الله الغياث البغـــدادي: تـــاريخ الغيـــاثي، الفصل الخامس بتحقيق طارق الحمداني، بغداد ١٩٧٤، ص٢٨٢. وكانت تضم في القرن الثاني عشر (١٨م) داراً للصناعة ومخزناً للبارود، ولا يقيم فيها إلاّ حـــرس من الانكشارية، كتابنا: المدرسة العلية، بغداد ١٩٨٦، ص ٢٦، ولا بد لنـــا مـــن ملاحظة أنه لم يكن مألوفاً أن تضم قلعة كهذه لها مهام عسكرية دفاعية، حديقـــة ذات تصميم حسن، تحف بها الأنهار، وتتخللها الممرات، ويظللها الشجر الباســـق، كالتي يصفها المؤلف وتكشف عنها القصيدة الآتية. وقد أزيلت جميع منشآتها فـــي الثلاثينات من القرن العشرين، لتبنى على أرضها مباني وزارة الدفاع.

وهو الوالي على الزوراء المحظوظ بخطاب العزة (انا جعلنـــا)

لغرض مشاهدة صنعة للباري اوجدها

قد علم بأن القصد من روضة الدنيا امتاع الناظر

الهي لا تجعل ظل سرو بستان العدل زائلاً

حيث ان ظل رأفته على اهل العراق ملاذ الأمـــان

انها لجديرة بأن تسمى بالجنان الثمان مع التاريخ بحرفي وم

ان منشئ المتنزه الجديد هذا هو داود باشا[١]

كما أنه نظم قصيدة رائعة في وصف دار الاستراحة ومقر الاقامة لحضرة الوالي التي شيدها سيادته كجناح في القصر الداخلـــي[٢]، وكـل شطر اخير من ابياته يحتوي تاريخاً لسنة انجازه.

الترجمة العربية:

يا له من قصر مشيد بهيج من آثار العمران

في سبيل بناء مدحه صار القلم معمارا

---

[١] في الأصل (بو كلزاري جديد انشا ايدن داود باشادر).

[٢] في الأصل (سراي اندرون)، أي السراي الداخلي، ونرجح أنه يقصد مـــا عـرف بدائرة (الحرم) وهو القصر المخصص لاقامة ولاة بغداد في العصر العثماني، وقد أشغلته في العهد الوطني وزارة المعارف (وزارة التربية فيما بعد) وهو اليوم مقـو مجلس شعب محافظة بغداد، ويقع وراء مباني سراي بغداد (مديرية الشرطة ســابقاً) مباشرة، بينها وبين دجلة.

في كل شطر ثان طرح تأريخاً له

على النمط هذا قد نقشه اليراع الفنان

هذا الجناح للفرح لماء الوجه لصحن القصر

كل الابواب والجدران مطلية بالطلاء اللماع

لاسيما بوجود حضرة داود باشا

بمفاد آية ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قد اكتسب الجوهر

ان رواق القدر والطاقه ليكسر طاق كسرى

بحركة بسيطة من الحاجب هذا العالم الحكيم

ان نقش مقر خلافته لهو (انا جعلناك)

لاسيما في قصره كانت الكواكب في دوران

ما احلى دار صفاء شيدها في حي الوزارة

طيبة الهواء لطيفة المنظر، بهجة للناظرين

على هذا الاسلوب، قد جاء مماثلاً لقصر جنة الخلد

الاعمدة الاسطوانية كشجرة السرو الفضية الممشوقة القوام

ان صفاء لطاقتها قد اضفى الصفاء على مائه الجاري

لهذا السبب انعكس ماء دجلة على جدرانه دوماً

ان مقامه الجاركاه لراحة الارواح ولكن

دوكاهه[1] ينعش النفس أي النوروز مع أيار

انه لمن الخطأ تشبيه النقوش الصينية بذلك

---

[1] الدوكاه: ضرب من المقام، مثله مثل الجاركاه والأرواح.

فهذا طلاؤه من مرآة الزجاج وذاك من الزنجار[1]

نقوش صور ماني قياساً لنقوشه

قد تجمدت في مكانها وآثرت السكوت

هل انه مجلو بجام جمشيد أم انه مرآة اسكندر

تقدم فوزي باستفسار عن هذا المكان المقدس

فقد اخرج الهاتف مياناً من مقام النوى فقال مؤرخاً

ان هذه الصالة لهي مقر مسند داود باشا[2]

وانشد قائلاً تنظيراً لغزل المرحوم نديم[3] الشاعر اللطيف المعشر:

الترجمة العربية:

ان هواء عبير سالفك دخل في الرأس المتيم

بخياله دخلت سويداء قلبي في السوداء

بعضاً عينه التركية وبعضاً نظرته تسلبان صبري

بهذا المال قد دخل الفكر المحتار في الجدال

ليس اخذ الوطر من العشاق بل ربما ضن عليهم بالدلال

---

(1) الظاهر ان صالات القصر هذا كانت مزدانة بكثير من المرايا.

(2) في الأصل بالتركية (محل مسند داود باشا اولدي بز تالار).

(3) الراجح أنه يقصد الشاعر التركي أحمد أفندي المتخلص بنديم، من أهل اســتانبول، تقلب في المناصب القضائية والإدارية، له ديوان شعر ذائع الصيت، وتوفي ســنة ١١٤٣هــ/١٧٣٠م. قاموس الأعلام ج٦ ص٤٥٧١.

فذلك المتعنت اليوم قد دخل في سوق الاستغناء

لغرض تسخير اقليم الحسن بالقوس والبناء

صفوف اهدابه قد دخلت في الحاجب العنبري

لما لاحظت الصهباء خده الوردي بهذا البهاء

قبل ان يسقط قدرها ذهبت فدخلت في الزجاجة

ان نقطة خالها المستترة تحت عقدة السالف الملكي

كأنما هي الهندي الكشميري دخل، من بوابة الشهباء

والمشط بقصد ارهاق قلوب العشاق

انشبك في الوسط مثل جملة معترضة

في مجال النظم لما نسج فوزي على منوال نديم

فهذا القصيد الزاهي الأداء قد دخل في الاملاء

وانا الآخر الفقير هذا، قد حذوت حذو فوزي في هذا الباب، ونظمت التنظير الآتي له في نفس السياق مع خلوه من المآل:

الترجمة العربية:

شهد القلب ليلى سالفك فاصيب بالسوداء

ملخص القول قد صار في موقف مجنون الولهان

ماذا لو طبق نور بدر الجبين ذاك الافلاك

ان حرارة الغيرة من جمالها دخلت في قلب الشمس الساطعة

ان مشام للروح والقلب لفي انتظار ريح الصبا

كأنما قد دخل في حمى الحبيب الرحب

هل من فرصة للمحبين لالقاء نظرة على حسنك

فإن صفوف اهداب سهام الفضاء قد دخلت في القوس

ليس من الممكن كتمان الرغبة إلى ثغره

فهو المدام المنعش الرائق قد دخل في الزجاجة

ان نطقه ليحيي الالوف من الموتى لمئين من السنين

ذلك اثر من ثغره قد انصف بمعجزة المسيح

لا يسمح لخاله المسكي ان يحضر في الميدان ويصير حكماً

ان سيف حاجبيه قد دخلا في عراك مستميت

ان صرير ريشتنا يا خطيبي ليعجب البلبل

فإنه قد نسج على منوال فوزي الحصيف

كذلك له باللغة الفارسية تخاميس احلى من السكر، منها ما معناه:

أنا منتهل الصهباء فلا ترمقني بعين الصغار

لا تصدق بأنني واقع في قعر الكأس كمثل حثالة المدام للردئ

املأ الكأس بالتمام فشعوري لا زال في الرأس

نعم لا زلت احتفظ بشيء من الشعور ايها الساقي فلا تهملني

بعينك المخمورة املأ القدح الخالي هذا

تخميس آخر فارسي

الترجمة العربية:

إذا ما حدث جرح في القلب بسكين اللسان

يستحيل التئامه جيداً وان تلاطفه مائة مرة

لما تعسر شفاؤه بأي نوع من المراهم

فلا مناص من مداواته إلا بجرح اللسان

إذ ان جرح اللسان يحمل خواص جرح اللسان

لما ذاع صيته وشاع مدحه في الافواه وبين الناس

بيت فارسي معناه

انما الوجه الجميل غير قابل للستر

تسد عليه الباب برفع الرأس من الشباك

إذ جرياً على هذه القاعدة، لم يتيسر بقاؤه مهملاً في زوايا النسيان لن جاز التعبير، ففي ايام وزارة المرحوم سعيد باشا جرى تعيينه كاتباً في دائرة المصرفخانة. وحالياً هو يشتغل بصفة كاتب متدرب تحت اشـــراف فوزي غالب افندي كاتب الخزينة. وعلى الرغم من هذه المميزات الأدبيـة والثقافية فهو متسم بتواضع ووقار، وهو جم الأدب وملتزم جانب الحشمة ابداً.

المعنى

في طريقنا لا رواج إلا للتواضع

أما سوق التبجج والخيلاء فذاك طريق آخر

وبما انه كان فائزاً برأسمال المعارف، وحـــائزاً علـــى خمـــيرة اللطائف، فلقد ذاع صيته بمخلص فوزي في الساحة الأدبية.

٤٨- محمود افندي[1]

مخلصه: فوري

ولادته: ١١٥١هـ/١٧٣٨م

وفاته: ١١٨٨هـ/١٧٧٣م

السباق في ساحة المعرفة، محمود افندي الفوري

إن الموما إليه هو ابن احمد افندي البغدادي، وهو الشقيق الصغير للمرحوم محمد افندي الواثق المدرج اسمه في فصل حرف الواو[2]، فقد خرج كلاهما من منبت طاهر واحد.

لمنشئه بالتركية، والمعنى:

احدهما افق الفضل والعرفان   واحدهما: فلك العلم والاذعان

كان شاعرنا على المام كامل بالعلوم العربية، ولاسيما في ميدان الادب حيث كانت جولاته مضاعفة. فلقد قرض العديد من الغزليات والقصائد المليئة بالكنايات، تبهر العين باشعاعات لامعة كالشمس الساطعة، وقد اخترنا منها القطعة الغزلية التالية أنموذجاً:

الشمعة في المجلس لتشعر بالخجل ازاء خدك

والفراشة تحوم لتجعل نقاباً على عذارك دوماً

ان هوى الحبيب قد شاهد الكثير من هجمات المحبين المتفانين

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يذكره صاحب المختصر.

[2] الترجمة ٦٤.

لذا فإن سهامه تتحرك مسرعة للقضاء على الارواح

إذا دام الحال لسيل دموعي على هذا المنوال

فلابد ان يخرب المنزل متين البنيان هذا من اساسه

في شراك سالف الحبيب يتلوى طائر القلب مستغيثاً

فهو في شباك القناص لا يبرح طالباً للنجـاة

ان منزل املي لا يظل مسدود الباب هكذا ابداً يا فوري

فلابد ان يهب نسيم المن يوماً ويفتحه على مصراعيه

خرج من بغداد يقصد التطواف متوجهاً نحو بلاد الـروم، فظل هناك مدة من الزمن يعمل في وظيفة كتابية في الديـوان السلطاني. ثـم غادر العاصمة إلى ولاية الرقة[1] حيث جرى تعيينه هنـاك فـي درجـة (افندي الديوان)[2]. وبما انه لم يكون لنفسه علاقات ودية مع رجال البلـدة ووجوه الولاية، فإنهم صاروا يكيدون له المكائد ويدبرون له الدوائر. حتى

---

(1) الرقة مدينة قديمة على الفرات، معدودة من بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفـرات الشرقي، فتحها المسلمون صلحاً سنة ١٧هـ (معجم البلـدان ج٣ ص٥٩)، وقـد جعلها العثمانيون، منذ أول عهدهم بالبلاد العربية، إيالة قائمة بذاتها، تنقسم إلـى سبعة ألوية (علي جاوش الصوفيوي: قوانين آل عثمان سنة ١٠٦٤هـ، ترجمـة خليل ساحلي أوغلو، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، عمان، المجلد ١٤، نيسـان ١٩٨٧، العدد٤، ص١٧٤)، وبهذه الصفة يرد ذكرها في هذا الكتـاب، ثـم أنـها انحدرت لتكون سنجقاً (لواءاً) تابعاً لولاية حلب.

(2) في الأصل (ديوان أفنديلك).

تمكنوا بواسطة عجوز ماكرة، من السعي لدى الوزير ضده، بتلفيق تهمة كاذبة تنال من شرفه وعفة احدى الفتيات من بنات احد اكابر البلدة في عين الوقت، فجرى دس السم له في طعامه، فقضى عليه ظلماً واثماً.

بيتان بالفارسية والمعنى

ان رمي الابرياء بالتهم الكاذبة لعادة عتيدة في الدهر

اذن عليك بصون مقعدك من مثل هذا الأمر المعنى:

ان قذف الجهال وطعنهم لم ينالا مني ومنك فحسب

بل طالا يوسف فتحملهما كما تحملتها مريم

ولاتصافه بقرض الشعر ارتجالاً في التو واللحظة، عرف بمخلص فوري في افواه الخاص والعام. وكان عمره في حدود السابعة والثلاثين في اكثر تقدير، حينما حدث استقراره الابدي في دار القدس، من جراء القضية مارة الذكر.

بيت فارسي ومعناه

انظر بعين العقل إلى الدنيا المتلاطمة بالغوغاء

لا الدنيا ولا شؤون الدنيا لها ثبات أو قرار

٤٩- احمد افندي[1]

مخلصه: قبولي

ولادته: ١١٢٢هـ/١٧٠٩م

وفاته: ١١٩٥هـ/١٧٨٠م

ذكر سراج العلماء، صاحب الفضيلة احمد افندي القبولي

هو ولد ادريس آغا الجورجي الاصل والبغدادي الوطن، وهو واحد من درتين اثنتين انحدرتا من صدفة صلب واحدة مع الشاعر عبد الله آغا الجهدي المخلص المدون في فصل الجيم من هذا الكتاب. كان عالماً جامعاً لجميع المواد العلمية في نفسه بحيث ان ابن هشام وسعد الدين[2] هما من اقل تلاميذه درجة، وان الفارابي ومصلح الدين خادمان في مدرسة فضائله كما هو مسلم من قبل امراء البلاد، ومؤيد من جانب الرواة المعاصرين له.

بيت عربي

ومهذب بالأخلاق انوار الهدى   حاوي العلوم معظم في رتبته
كشاف معضلها وقاضي حقها   مصباح غيهبها روائق فطنته

إن قطرات بحر فضائله لهي نظم الشعر باللغة التركية. والقطعة الغزلية هذه لهي من باكورة انتاجه في هذا الباب.

---

[1] لم يترجم له أحد، ولم يذكره صاحب المختصر.

[2] يريد: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣هـ.

الترجمة العربية:

حتى وإن ألقى حتفي فلن أرفع ضماد الغرام عن الصدر

قولوا للقلب المريض ان يقطـــــــــع الامـــل من ذلك

هل يجعل كل أســـيل الخـــــد على ميل الحـــظ

انه لمن المسلم ان القلب يتلو كتاب الجمال عن البياض

ان ابن عبد اشـــــــــعل نار حبك في تنور الفـــؤاد

فجعلنا سراجاً لا ناله النأي يارب عن حمــــــــــاك

حرام ايها الحلاق لا تمســـس بخط وجـــه الحبيــــب

فلا تبعد شدة ســــــــنبل الحســــــن عن جنينتهـــا

ان الســــــــاقي لســـــوف يعتق متوله حسنه يوماً

فلا يستخفنك الطيش وترفع الـــرأس عن قدمــــــــه

ان حلاوة لعلك حتى بمــــــرارة النـــــــــأي

بالقنــــــــد المصـــــــــري طعمه ثابت لا يزول

الا ليت يفتح باب الحانـــــــــة يوماً يا قبولـــــي

فتتنفس الصعداء شيئاً عن حضور شـــحنة البلدة[1]

فنظراً لأنه كان مقبولاً عند اكامل القوم وافاضل الملأ في وقتــــه، فلقد نشأ عن ذلك اشتهاره بمخلص القبولي[1] في الوســط الادبـــي. نـــثره

---

[1] شحنة البلدة ما يشبه مراقب البلدية أو انضباط الشرطة سابقاً.

يحاكي الدر المنثور، بحيث يليق ان تزدان له نحور الحور. وفي ايام وزارة المرحوم عمر باشا جرى اناطة منصب المكتوبجي إليه فكان ذلك بمثابة تشريف الوظيفة المذكورة بوجوده، جرياً على الحديث القائل: رب ساق زينت خلخالاً.

كانت اقواله لطيفة تسحر القلوب، ومقاله ظريفاً يأخذ بالالباب. وفي ذات يوم قد استنسخ صورة فرمان، فاته ذكر كلمة الف من حرف الالف من هذا الكتاب فقال له مازحاً:

- هذا فيه الف خطأ يا سيد. فرد عليه صاحبنا فوراً:

- والله ليس فيه ولا خطأ واحد!

مستدركاً مغزى الكلام بذهنه الوقاد السريع الانتقال. حدث ان قام المرزا على خان[2] من امراء ايران باعداد جيش لجب، يبغي التصادم مع

---

[1] هذا التقييم لا يتعدى كونه من عنديات المؤلف لا اكثر ولا اقل، لأن المخلص على الشاعر ليس من حق سائر الناس ولا من اختصاصه لا عن قريب ولا عن بعيد. بل هو مصدره الذي يختار أي اسم ادبي لنفسه كيف ما يشاء. ذلك هو العيب الوحيد الذي يتصف به السيد المؤلف لدى تصنيف هذا المؤلف القيم الفريد في بابه. المترجم.

[2] كذا في الأصل، ونرجح أن يكون نادر علي خان، الذي عرف فيما بعد بطهماسب قلي، أي عبد طهماسب، ثم بنادر شاه، فهو الذي عاصر أحمد باشا والي بغداد، ولد سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م في خراسان، وتزعم قبيلته وهم الأفشار، من التركمان، فاستولى على بعض قلاع خراسان، واحتل مدينة نيسابور، والتحق بخدمة الشاه الصفوي طهماسب سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م ، وأخذ يسترجع ممتلكات الصفويين=

قوات المرحوم احمد باشا، فسير إليه كتاباً فيه تحذير، يذكر فيه في سـياق الكلام ضمن التهديدات بيتاً بالفارسية هو:

إنني علي وعلـى حـرف جـر   فلا يمكـن لعلـي أن لا يجـر

فكان الجواب المدون بقلم الكاتب الشاعر يتضمن الرد الآتي وهـو لما يزل في بداية حياته الأدبية تلك الايام:

انا ذاك احمد الذي لا ينصـرف   فلا يمكن لاي علي ان يجرنـي

هذا ثمة من يعزو الجواب هذا الى كاتب الديوان عبد الله افنـدي النشاطي في عين الوقت والعهدة على الراوي.

كان شاعرنا رجلاً صالحاً زاهداً ونقياً عابداً، يقضي اغلب ايامـه صائماً نهاراً وقائماً ليلاً.

المعنى

آداب العبودية اقتبستها من الاشجار

=المابقة من أيدي الأفغانيين باسم مولاه الجديد، فسماه طهماسب (طهماسب قلـي) أي عبده، ثم التفت إلى العثمانيين الذين كانوا يحتلون معظم المناطق الغربية مـن ايران، ومنها همدان وكرمنشاه، فاستعادها، وبعد ذلك شرع بعملياتـه العسـكرية بهدف احتلال العراق، فحاصر بغداد والبصرة والموصل غير مرة، أهمـها سـنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، لكنه فشل فـي اقتحـام أي منـها، وأغتيـل أخـيراً سـنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

فصورتك المنعكسة دعها تسجد للرحمن على سجادة الماء

وبفعل التوفيق الذي ناله من نعم الرفيق.

بيت تركي معناه

لا منة لعطاء المخلوق ولا للذهب والفضة

بل المنة للدفتر المدون في الديوان الازلي

تلك كانت هي فلسفته في الحياة، وعلى رغم انه لم يكن متوغلاً في أمور المعيشة كثيراً ولا مهتماً بالشؤون الحياتية إلى حد كبير، فإنه كان يمضي أيامه وهو عزيز النفس وبادي الامتنان عن الحال، ومرفوع الرأس دوماً.

بيت تركي معناه

ان طائر عنقاء التوكل ليجد صيده مربوط القوائم

فلا يلهث وراءه تحت منة الريش والقوادم

إن اوراق انفاسه قد استقرت مدة ثلاث وسبعين سنة في مجلد الوجود، وفي عام الف ومائة وخمسة وتسعين[1] أودعت نسخة سفر وجوده في كتبخانة[2] القدس بايدي الملائكة المقربين.

بيت عربي

ولا ينفع العلم والادب والحجا   وصاحبها عند الكمال يموت

---

[1] ويوافق أولها ٢٨ كانون الأول سنة ١٧٨٠م.

[2] كلمة تركية مركبة من كتب العربية، وخانه التركية- الفارسية، بمعنى مكان، فيكون معناها خزانة الكتب، أو المكتبة.

٥٠- الملا عبد الله مولود الاربيلي[١]

مخلصه: قاصد

ولادته: ١٢٢٠هـ/١٨٠٤م

وفاته: غير محددة

ذكر الملم بغوامض الرموز، الملا عبد الله القاصد

ان المرقوم هو ابن المدعو مولود الاربيلي. وهو خبير في فن الصرف والنحو، ويدرس حالياً في مرحلة مغني اللبيب[٢] من العلوم المذكورة. انه نشيط في مجال اختصاصه وصاحب فهم وذكاء. كما أنه خطاط بارع وكاتب سلس الاسلوب. يشغل في الوقت الحاضر احدى الغرف في جامع الأصفية[٣] الذي هو من آثار حضرة ولي النعم، ويكسب قوت يومه بكد يمينه مقتنعاً بما قسم الله.

له قابلية جيدة في قرض الشعر باللغتين الفارسية والتركية وقد اكتفينا بالقطعة الغزلية التالية من اعماله الفارسية:

الترجمة العربية:

منذ أبصرت عين بصيرتي حسن وجهك

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[٢] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام النحوي، كتاب مهم في قواعد النحو، كان يعد من كتب الجادة، أي من الكتب المنهجية التي لا بد من دراستها لتعلم النحو.

[٣] تقدمت الاشارة إلى هذا الجامع.

غرقت في الحيرة من الرأس إلى القدم

سكبوا المدام من كأس حبك في قدح الفؤاد

مهما جرى رشقي بالاحجار فاني سلمت من الألم

طمعاً في قبلة اطبعها على ثغرك الباسم

مثلي كمثل سفينة محطمة غارق في بحر الندم

في اعقاب كل عمل نقض الوفاء جحيم

ان يجري تكليف فاني في روضة الجنان

ايها الناصح قل لي كل ما شئت

لكن لا تنصحني بنبذ محبة الحسان

يا قاصداً هات وصف الخط النابت الحديث

بعد الوفاة سينبت الكثير من النبت في تربتي

ومن اعماله الشعرية باللغة التركية اخذنا الغزل الآتي:

الترجمة العربية:

روحي فداء لذرات سكر مقاله

ودمي حلال لغمزته الخنجرية المثال

لما رأى طائر قلبي جماله منكسراً

كمثل وردة وقع على ركن عمامته الحمراء

اصاب بهوى الوصل كيان فؤادي

كالفراشة بلهيب شمع جماله

أسفاً قد مضى العمر العزيز بليل النوى

ولم يفسح المجال لصبـــح الوصال

ان الفلك الدوار كل يوم في هاجس جد

لقاصد الحزين الفؤاد ولا يكف عنه اليد

مخلصه الادبي هو قاصد، وهو حالياً يبلغ من العمـــــر الخامســـة والعشرين، وبلوغه الكمال أمر منوط إلى توفيق حضرة الملك الفياض.

بيت فارسي معناه

نبتة تراها اليوم في مســتوى الأديم

سرعان ما تكون شجرة تمتد إلى السماء

٥١- حسين كامي افندي[١]

مخلصه: كامي

ولد سنة ١١٥٤هـ/١١٢٠م تخميناً

توفي سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م

نكر مستطعم العلوم والفضائل، حسين كامي افندي

إن الموما إليه كان ابن علي افندي الكركوكي الملتزم لجانب الادب ونجله المتسم بالفضائل.

شعاع شمس علمه لتبهر عيون الافاضل، وتغمر بصائر العلماء الاكامل، فقد كان رجل علم فاضل وعالم بعلمه عامل.

بيت عربي

بحر العلوم فلا اقوت مدارسها   احيا به الله منها كل ما اندرسا

كان مدرساً في مدرسة الجامع الشريف الذي شيده المرحوم الكتخدا احمد باشا في داخل بغداد[٢] والمذكور في حرف الياء بمخلص يُمْني. وبما أن فيض تقريره يحيي القلوب الميتة على نحو ما فعل المسيح، فلقد حظي تلاميذه بنصيب وافر من دروسه، وأغلبهم اكمل الدراسة واحرز الاجازة الخاصة بالتخرج.

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[٢] هو جامع الأحمدية المنسوب إلى اسم مؤسسه المذكور، وقد تقدم التعريف به.

وهو متمكن من ناحية اللغة الفارسية في الوقت نفسه، بحيث يعده ارباب الاختصاص في هذا المجال نظامي الزمان، وخاقاني الدوران. هذا ولما ذاق هابيل ابن آدم ابو البشر كأس الحمام، رثاه والده منشداً باللغة العبرانية وهذا ترجمته باللغة العربية[1]:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

وهذا بناء على توفر الدليل العقلي على جواز قرض الشعر، اضف إلى ذلك ما جاء في المقولة القائلة: بان الله كان كنزاً تحت العرش، فإن السنة الشعراء تعد بمثابة الشاهد النقلي في تأييد ذلك، اذن فلا ضير في مزاولة قرض الشعر بأي شكل من الأشكال. لذا فإن صاحبنا ايضاً قد ابدى الرغبة في نظم الاشعار، فصارت قطرات العبارات المتساقطة من سحاب طبعه الثجاج، والكلمات المترشحة من حقول المعاني وحسن الاداء تروي الغليل لمتذوقي الكلم المنظوم.

وأنموذجاً لنتاجه الشعري الرائع جرى تحرير الغزل الآتي هنا:

الترجمة العربية:

أيتها العين المخمورة غمزتها عارفة بفن الجفاء

---

[1] أفرد ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، المتوفى سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٤م رسالة في هذين البيتين المنسوبين إلى آدم عليه السلام، وبالطبع فانه لم يذكر سنده في روايتهما!.

أسفاً لم تكن بعد من الملمين باحـوال الغرام

لا تحسب الغواص غريباً في بحر غرامك

كن ايها الدر الفريد احياناً عارفاً بالمعارف

كن على دراية بالحظ الاسود في هذا الزمان

انه انساق بالفلك الاعوج فلا تأمل منه الوفاء

حتى وان ينبغي المعالجة من المسيح ذاته

فعلّة اهل الغرام لا يكتب لها الشـــفاء

لم نتوصل إلى كأس نتجرعه في منتدى الدهر

يبعث النشوة ياكامي في القلب المشحون بالهموم

كذلك عارض الشكل هذا المرسوم في بحر المعارف[1]:

وخلاصة الكلام انه كان انساناً معمـــور الجـهات فـي الفنـون المتنوعة من كل الوجوه، ومتسماً بالفضائل والخصائل على نحـو جديـر بالتقدير. كان مخلصه الشاعري هو كامي. ديدنه الحرص علـى مجانبـة الوقوع تحت منة الناس والاكتفاء بما قسم انه له من الرزق والشكر عليـه، وهو يعمه الشكر والاطمئنان على حاله.

بيت تركي معناه

اننا لأيسون عن عطايا الفلك

---

[1] هنا ادرج المؤلف حزورة تتألف من حروف مفردة وأشكال مختلفة وصور لبطتيـن متقابلين، وإنسانين متجاورين.

والمنـــــــة لله رب العالمين

كان عمره فوق الثمانين لما فارق الحياة في عام الـــف ومـــائتين واربعة وثلاثون[1].

بيت فارسي معناه

ساير الدنيا من مر جوانبها

فحلاوة الحياة تؤول إلى علقم

---

[1] ويوافق اولها ٣١ تشرين الأول سنة ١٨١٨م.

٥٢ - الملا الياس الكاتب[١]

مخلصه: كاتب

ولادته: ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

وفاته: ١٢٢٥هـ/١٨٠٩م

ذكر العارف بصناعة الادب، الملا الياس الكاتب

ان المرقوم هو ابن الملا شكور البندنيجي الوطن والبغدادي الاصل. كان ملماً بالنحو والصرف على قدر جيد، وصاحب ثروة وافرة من الأدب والكمال.

بيت تركي معناه

انما قدر المرء وعزه بالعلم والادب يا خطيب

فلولا الثقافة فلا فرق له عن الحيوان الاعجم

بما ان القصبة المذكورة هي مسقط رأسه، فلقد قر قراره فيها عملاً بالحديث النبوي القائل: حب الوطن من الايمان.

وإن الغزل الآتي لمن الآثار الرائعة النابعة عن قلمه النادر:

الترجمة العربية:

ان الذين يجترعون كأس الغرام لا يرجون رخصة من جمشيد

والذين هبط عليهم الفيض لا يبغون الاجازة عن عيسى بن مريم

إنما يطري الدمع المستمر كي الفؤاد

فزهور الروض لا تستمد البهاء من الندى

---

(١) انفرد المؤلف بالترجمة له ولم يذكره صاحب المختصر.

ان دراري الحسرة وافرة في بحر دموعي

لا بأس ان لم تكتسب الرطوبة من العين الدامعة

ان وجهاء مدينة المعاني لهم اهل الرؤى الطاهرة

فهم لا يستعيرون تاج الزهد للذيل من الناسك ادهم[1]

بهذا الرونق لا يستبان شهود عالم المعارف

فهم لا يتأثرون بـ (الكاتب) المتكلم ذي نكهة عيسى

وفي أحد الأيام وقع صاحبنا في شراك الحب لاحدى الحسان.

بيت فارسي معناه

كل شخص لم يجد الهوى سبيلاً إلى قلبه

اعدد له اللجام والسرج ولا حــــرج

وإذ كم ادار رؤوس اشخاص اكفـــاء مــن امثـال افراســياب[2] ونريمان[1] مثل دوران الرحى، فكذلك كان الحال لهذا المسكين ايضـــاً، إذ

---

[1] المقصود هو المتصوف التركي ابراهيم بن ادهم، من كبار الأوليــاء فــي القـرن الثالث للهجرة، يقال أنه كان اميراً لبلخ لكنه اعتزل الحكــم وآثــر حيـاة النسـك والتزهد حتى وفاته سنة ٢٦١هـ.

[2] من حكام توران القدماء، أحاطت بسيرته أساطير شتى، فقيل أنه بسط سلطانه علــى البلاد الإيرانية، وأنه قتل على يد كيخسرو. تنظر دائرة المعارف الإسلامية، مــادة أفرسياب بقلم شتيرن.

ساء وضعه وتغير لونه وتبدلت به الايام فوقع يعاني ما يعاني مثل الطـــير المهيض الجناح.

بيت تركي معناه

لا تقل يا قلب ان محنة الحب امر هين

إنما العشق حمل ثقيل ناء تحته جبل قاف

وهكذا قضى نحبه من جراء الداء المذكور في سنة الف ومـــائتين وخمس وعشرين[2]، وعمره لما يتجاوز السابعة والخمسين.

بيت معناه

إن ريشة الغرام قد جرت الخط على حرف وجود العاشق

ذلك لكي يثبت في سياق اثبات الحق نفي كل ما عداه

---

[1] امرأة اشتهرت في التاريخ الأسطوري لايران، حكمت سجســتان وتولــت قيــادة جيشها.

[2] أولها٦ شباط ١٨١٠م.

٥٣- لطف الله افندي كاتب الديوان[1]

مخلصه: لطفي

ولد سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م

توفي سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م

ذكر جامع العلم والادب في نفسه، لطف الله افندي كاتب الديوان

هو ابن المرحوم ولي افندي كاتب الديوان الكركوكي الاصل والبغدادي الوطن. وامتثالاً لمضمون الحديث النبوي القائل: (علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل)[2] فلقد بذل الجهد الجهيد والنفس النفيس في سبيل كسب العلوم الرائجة في زمانه، وقد تلقى الكثير منها على يد العالم الاستاذ المتبحر أحمد افندي السابق ذكره في احد الفصول الماضية[3]، فأحرز الدرجات العلمية المرموقة، بمساعيه الحثيثة وجهوده الدائبة وشهادة التخرج المعتمدة في نهاية المطاف. وفي ايام وزارة المرحوم

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، واختصرها صاحب المختصر ص ٤٩، وزاد على الأصل بتحديد تاريخ وفاته، ويفهم مما أورده رسول حاوي الكركوكلي أنه كان ضابطاً في جيش بغداد، وإنه تولى قيادة قطعة من الجيش في أثناء حملة الوزير سليمان باشا الكبير على عشائر الملية الذين كان يتزعمهم تيمور باشا الملي في نواحي قوج حصار سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.دوحة الوزراء ص١٩٥.

[2] لا يوجد هذا الحديث في الصحيحين والسنن والموطأ ومسند أحمد.

[3] تنظر ترجمته المرقمة ٣٠.

سليمان باشا[1] ارتقى إلى درجة افندي الديوان، وكان ذلك المنصب قد شغر على اثر رحيل شاغله المرحوم اسعد افندي[2].

بيت عربي

ان الهلال إذا رأيت نموه ايقنت بدراً منه في اللمعان

إن أدنى مراتب فضله هو النظم والنثر، بحيث كان في مجال النثر بمثابة (نابي) الدوران، وفي وادي النظم كان (ثابت)[3] الزمان. وإن للدرر المتناثرة من قلمه لهي زينة واجهات حانوت الجوهري. أما جواد قلمه الأدهم فحينما يصول ويجول على القرطاس، في طريق النظم، يجعل الخيول المسومة وصافنات جياد اقلامهم واجفة واجمة لا حراك فيها في الميدان.

بالنظر لكونه لطيف المعشر وخفيف الروح فقد ذاع صيته بين المثقفين الاكامل والادباء الافاضل بمخلص (لطفي). وهذه القطعة الغزلية من نتاج قلمه النادر الوجود:

الترجمة العربية:

ان الدموع المذرفة من العينين تجري في غدير وصلكم

والعينين شاخصتان بكل حسرة نحو دربكم

---

[1] هو سليمان باشا الكبير، والي بغداد، وقد تقدم التعريف به.

[2] هو أسعد أفندي بن عبد الله الفخري، وقد تقدمت ترجمته.

[3] نابي وثابت تقدم التعريف بهما.

عمارة القلب الحزين ويبدر العقل

تسكته فتنة الفراق ويحرقه نار الهجران

ان غمزة نظرتها لترمي بالسهام والسنان دوماً

القلب الجريح واحداً فواحداً وبلا هوادة

ذلك الجلاد قد جعل اسير فراقه

قلوب العشاق اوقعها في شراك ذوائب غرامه

ما الذي قمت به في حق ذلك المغرور المتغنج

كلما أبصر عبده، هب من مكانه وغادر المجلس

ان (لطفي) مثله كمثل العندليب في روض الجمال

ليكيل المديح إلى حسنه بين شجيرات الورود

وعندما قام الوالي المرحوم سليمان باشا بمنع الماء عن اشقياء الخزاعل بتشييد سد منيع امام شط المراد[1] للحيلولة دون جريان الماء اليهم[2] كان المغفور له لطفي يشغل منصب كاتب الوقائع في تلك الايام.

---

[1] كذا في الأصل، ولعله يريد نهر الفرات.

[2] في سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م أعلن الشيخ محسن المحمد شيخ الخزاعل الثورة على ولاية بغداد، وتوقف عن ارسال ما عليه من ضرائب، فتولى الكتخدا أحمد أغا قيادة حملة عسكرية توجهت إلى مكان قريب من منازل الشيخ محسن، فاضطر هذا إلى تقديم الطاعة، والتعهد بدفع ما عليه من ضرائب، ولكن الأوامر صدرت بعد ذلك بعزل الشيخ المذكور وتعيين حمد الحمود شيخاً على الخزاعل بدله (دوحة الوزراء ص١٩٧ وعثمان بن سند:مطالع السعود ص٢٠٥) وقد انفرد المؤلف بالإشارة إلى محاصرة القبيلة الثائرة بقطع مجرى النهر عنها.

فنظم قصيدة عصماء بهذه المناسبة، قدمها إلى السدة الخديوية، نقتبس منـــه القسم الخاص بالتغزل وحتى التاريخ:

الترجمة العربية:

جمع الله فيك حميد الخصال

لم يقع نظري على هذا الجمال

أيمكن أن نلهج بوصفك كالببغاء

لما وقع بصري على قند الطافك ولعلك السكري

ان آهات الفؤاد تبدأ بـــ(النوى) ثم تصعد إلى (الحسيني)

لما يحرك ريح (الصبا) الشعر المرسل كالاوتار

الحق يقال انه من الصعب الحفاظ على كرامة العفة

كلما يأخذ الخد الوردي بالتصبب عرقاً بالغنج والدلال

يقع القلب اسيراً في شراك ذوائبها كالامشاط

لما يبصر الطرة الجذابة للحبيب ذات الحلق

خذ بزمام جواد الطبع الحرون بلطف يا لطفي

انه اوان الدعاء إذ قارب التغزل النهاية

طالما كان فارس الفلك المغوار في ساحة الوجود

يظل يتلاعب بالالوان ليلاً ونهاراً ما دام يصول ويجول

جعل الله اعداءه تحت سنابك خيول الادباء

وجعل جواد طالع اقباله تحت امرته

لقد انجزت تاريخاً بديعاً لاقامة المدة

بعيداً عن الرياء انك الجمت ارباب الكلام

من الجدير ايم الحق ان يكافأ التاريخ المزدوج هذا

بمدينة الاسكندرية من قبل اسكندر الثاني

اقيمت سدة الاسكندرية[1] وفق المراد يا سليماني الحكم

حقق اللهم مراميه لاجل دوام الحكم السليماني

كان من دأبه الاكتفاء بما قسمه له الله من الرزق، والحمد والشكر عليه. ولم يستغل قربه إلى الوزير المشار إليه للتوسل إلى جني الارباح والمكاسب المادية عن طرق ملتوية ومشكوكة في صحتها بالمرة، واضعاً نصب عينيه الامر الشريف: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[2] دوماً.

بيت معناه

تجاوز على عطاء الرحمن كل من فتح فاه طمعاً على الرزق الحرام

ولذا فإنه التزم جانب الحذر عن الانجراف وراء مباهج الدنيا والانجذاب إلى بهرجتها غير المستباحة دوماً. وهو يجد الموقع الوظيفي المرموق الذي يشغله امانة مادية في عنقه، ما عليه إلا اداء حقها كما

---

[1] انفرد المؤلف هنا بتحديد بلدة الإسكندرية، في جنوبي بغداد، مكاناً للسدة التي أقيمت في أثناء العمليات العسكرية آنذاك، وكان الغرض من انشائها حبس شعبة من ماء الفرات عن قبيلة الخزاعل.

[2] البروج، آية ١٢.

يجب، وعدم التقصير أو التفريط فيها جهد الامكان، فيجد كل راحة البـــال والاطمئنان في هذا السلوك.

بيت معناه

لا يخدعنك ما في الاركان الاربعة من انسجام
كل يتحين الفرصة على الآخر وهم ينافقون

عاش من العمر خمساً وستين سنة. وفارق الحياة في عهد الوزيـر المشار إليه، واودع الثرى في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني.

بيت فارسي معناه

كم من عزيز قد توسد الثرى الفضي هذا
من مليك أو عروس فارق الروض زهورا

٥٤- لطف الله افندي المكتوبي

مخلصه: لطفي

ولد سنة ١٢٠١هـ/١٧٩٧م

توفي سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م

ذكر عندليب دوحة الأدب لطف افندي المكتوبي

ان الموما إليه هو ابن ابي بكر افندي المفتي[1] المخلص المدرج سيرته في مادة حرف الميم.

منذ ان صارت خلافة بغداد دار السلام مقرونة باسم الوالي حضرة ولي النعم، صار الموما إليه يتنعم بانواع صنوف النعم المغدقة عليه من حضرته من مطلع شبابه ولحد اليوم. فكان من الآثار الايجابية بالدرجة الأولى لذلك، ان نمت عنده ملكة النظم وقدرة الكتابة على نحو بالغ الجودة.

بيت فارسي معناه

يا من تحول التراب بالكيمياء إلى لجين

هلا تفضلت علينا بنظرة من طرف العين

---

[1] في المختصر "كان أبوه نائباً في كركوك" فمن الواضح أنه يريد نيابة الفتوى تحديداً.

ظل مستمراً في الوظيفة طيلة وزارة حضرة ولي النعـــم، حتـــى جرى ترشيحه إلى منصب المكتوبي حسب التدرج الوظيفي وثبوت الكفاءة فيه[1].

بيت تركي لمنشئه

كل من قدم الخدمة إلى ذوي العلا حصل على عالي المقام

هكذا قد سطر النصح هذا زمرة اهل الكلام

له من القصائد والآثار الشعرية الوفيرة على عدد النجـوم. ومـن آثاره أنه اجرى تخميساً لغزل يعود إلى الشاعر حافظ الشـيرازي باللغـة التركية في بعض الاجزاء منها وباللغة الفارسية في اجزاء اخرى. نـسدرج ادناه بعضاً منها:

بالفارسية ومعناها

أرى الفلك في وضع يثير الريب

وسيرة الدنيا أجدها جبلت على الشغب

مساكن الناس أجدها مقلوبة على عقب

---

[1] في المختصر زيادة فيها توضيح ظروف تقرب صاحب الترجمة من داود باشا، قـال "قدم بغداد وذاك الوقت داود باشا كان دفتردار، والوالي كان سـعيد باشـا، وهـذا المومى إليه لطف الله أفندي جاء مع أبيه من كركوك، فبوسيلة اجتماع طلبة العلم عند داود باشا دخل مع الطلبة عند المشار إليه، وابتدأ معهم في التصديقات فرآه المشـار إليه شاب ذكي (شاباً ذكياً)، فعمله دويدار[= حامل الدواة] عنده، فبعد مرور أيام قلائل، تولى الوزارة داود باشا، وعمله مكتوبجي فاستقام في خدامة المكتوبجيـة إلـى سـنة ١٢٤٦ فوقع الطاعون فتوفي رحمه الله وكان عمره قريب الثلاثين".

وما هذا العبث اجده ماثلاً حول القمر

انني لاجد الآفاق كلها غارقة في الفتن والشرر

بالتركية (الأشطر الثلاثة الأولى)

الجاهل صار مكانه في اعلى الصدر والعلا

أما الاجدر بمكان الصدارة فنصيبه الذل والهوان

اقترن زمرة اهل العرفان بالجفاء والحرمان

صارت الجياد الكريمة تنوء تحت البرادع الجارحة

الطوق الذهبي اجده يزين اعناق الحمير

ان اطراف الدنيا محاطة كلها بالحقد والحسد

لم تعد بقية باقية من الوفاء والود

الكل يسعى للكيد بالآخر من أخ وأم!

والبنات مع الامهات في جدال مستديم

والاولاد ضد الوالد في سعي قديم

بالتركية (الأشطر الثلاثة الأولى)

ان الحكمة البالغة لحضرة الفرد والعلام

قد جعل دائرة الدهر مبتغى الايام

في طلب العز والرفعة يسعى الخاص والعام

الكل يرجو النصيب الوافر من الايام

غير ان المشكلة انني لاجد اليوم اسوء من الامس

بالفارسية

لم اجد احداً يتفوه بكلمة الوفاء ابداً

كل من لاقيته وجدته يزرع بذر الجفاء

من جراء المظالم قد يمطر الفلك الاحجار

حيث لا يبدي أي اخ رأفة بأخيه

ولا يبدي الوالد أي عطف ما تجاه الولد

بالتركية

لا اعتراض على حكمة الباري ابداً

دليلي على ذلك آية: لا يسئل عما يفعل

كما وقد خطت اقلام العباقرة الاولين

انما نصيب الحمقى الشربت وماء الورد والعسل

أما قوت العقلاء فلا غير دماء الاكباد كما ارى

ان مخلصه هو لطفي بالاشتقاق من اسمه.

أما بالنسبة للغزل المذكور فلقد قـام استاذي فـوزي افنـدي[١] بتخميسه من جانبه ايضاً، وعلى نفس المنوال.. هذا قسم منه:

الترجمة العربية:

قد ارخت الجدائل على وجه وردة ندية

---

[١] تقدمت ترجمته.

احاطت بخدها كما اراها من فوق ومن تحت

إني لاجد قلوب المحبين في خطر

ليت شعري ما هذا الذي أحاط بالقمر

واجد الأفاق قاطبة مليئة بالفتن والشرور

بالتركية

سواء كان ارباب السخاء أو اصحاب الطبع اللئيم

كل ساع وراء سعة الرزق العميم

لتحقيق الاماني في الصبح الساطع والليل البهيم

الكل يرجو النصيب الوافر من الايام

غير انني لأجد اليوم اسوأ من الامس

بالتركية

لا أثر لحب الوالدين عند الولدان

ألم يعق ابنُ نوحاً عليه السلام؟

والاقارب عقارب ملؤهم سم وضر

والبنات مع الامهات في جدال مستدام

والاولاد ضد الوالد في سعي قديم

بالفارسية

إذا ما عرض شخص وطراً له على الوالد

لم يجن من شجرة الامل غير اليأس والقنوط

ولا الزوجة تدير الوجه نحو زوجها

لا من شقيق يكن الحب تجاه الشقيـــــــــق

ولا اجد من جانب الاولاد براً تجاه الآباء

بالتركية

لقد ابتلى اهل العلم بالمشاق والمحن

أما راحة البال فهي فهي نصيب الجهلاء

بما ان الفلك الدوار يدور في اتجاه معاكس

صارت الجياد الكريمة تنوء تحت البردعة الجارحة

والطوق الذهبي اجده يزين اعناق الحمير

بالفارسية

فقلوب اهل العلم زاخرة بالجواهر

أما اعتماد الجهلاء فعلى الدينار والدرهم المدخرة في الهميان

كل ذلك من تقسيم الرزاق الازلي في لوح القدر

فنصيب الحمقى الشربت وماء الورد والعسل

أما قوت العقلاء فلا غير دماء الاكباد

هذا وقد قام الشاعر ميرزا محمد الدبير المار ذكـره فـي فصـل الدال، بتخميس الغزل المذكور بدوره، نقتبس مقطعاً واحداً منه:

الترجمة العربية:

ليت شعري لم يدور الفلك هكذا على غير الهدى

فكل ارباب الهدى تجد اقدامهم رهن القيود

والعقلاء بطونهم جائعة وقلوبهم قانعة

انما نصيب الحمقى الشربت وماء الورد والعسل

أما قوت العقلاء فلا غير دماء الاكباد

مع انه كان ذا حظوة لدى حضرة ولي النعم ومن المقربين إليـــه، إلا انه لم يغتر بذلك ولم يجد الهوى طريقاً إلى رأسه، بل ظـــل محافظـاً على رزانته ووقاره ابداً، وهو لين العريكة وساع إلى خير الناس وعلـــى دراية تامة ما دأبت عليها الايام من التحول والتبدل.

بيت فارسي معناه

اياك والركون إلى الرياح وان هبت مواتية لك

ذلك ما ادلى به الريح إلى سليمان حسبما جاء في المثل

تجاوز عمره الاربعين سنة[1]، ووافته المنية في عام الف ومـــائتين وواحد واربعين[2]، فصعدت روحه الطاهرة إلى جنة المأوى.

بيت فارسي معناه

ان قاطع طريق الدهر لبالمرصاد لا تأمن جانبه

ان لم يظفر بك اليوم فالغد موعده

---

[1] في المختصر ص ٣٨ "وكان عمره قريب الثلاثين".

[2] في المختصر أنه توفي بالطاعون سنة ١٢٤٦هـ.

٥٥- مكي اسماعيل افندي

مخلصه: مكي

ولادته: ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

وفاته: ١٢٢٨هـ/١٨١٢م

ذكر منبع الفضل والكمال، مكي اسماعيل افندي

إن الموما إليه هو ابن المرحوم ولي افندي كاتب الديوان في ايام عمر باشا[١]، وكذلك شقيق المرحوم كاتب الديوان لطف الله افندي السابق الذكر في مبحث خاص به. كما أنه شقيق فضل الله افندي كاتب الديوان حالياً لحضرة ولي النعم.

بيت فارسي معناه

انه لعطر مسك ظهر عن سرة كريمة

فاح وانتشر اريجه في اطراف العالم

[إن هذا الذات كان من صلحاء الامة، وحاوي جمة من المعارف والكمالات، خصوصاً في علم الأوفاق[٢].

---

[١] والي بغداد وقد تقدم التعريف به.

[٢] قال الأب أنستاس ماري الكرملي "علم الأوفاق ويقال له ايضاً علم الوفق وعلم أعداد الوفق والدفق، جداول مربعة لها بيوت مربعة يوضع في تلك البيوت أرقام عددية أو حروف بدل الأرقام بشرط أن تكون أضلاع تلك الجداول وأقطارها متساوية في العدد، وأن لا يوجد عدد مكرر في تلك البيوت. وذكروا أن لاعتدال الأعداد خواص فائضة من روحانيات تلك الأعداد أو الحروف، وتترتب عليها آثار عجيبة، وتصرفات غريبة، بشرط اختيار أوقات متناسبة، وساعات شريفة. وهذا-

[كان يكتب اثني عشر قلم بخط حسن. وكان كل يوم بعد الظهر، يقرئ ثلاثة دروس: يقرئ درس فقه ودرس فارسي ودرس نحو. وهو قرأ على أحمد افندي الطبقجلي وقرب إلى التكميل، ولما توفي شيخه احمد افندي، فما قرأ بعد. واشتغل في العبادة. كان رجل هين لين، قليل الكلام، منخفض الصوت. إذا تكلم لا يسمع له صوت، محب للعلماء، وكان يحب مجالسة الفقراء، ويوادهم. وكان يصوم الاثنين والخميس، ويصوم الرجب والشعبان مع الرمضان، وكان عمره ستون سنة، وتوفي في سنة ١٢٢٨ رحمه الله تعالى][1].

-العلم من فروع علم العدد، باعتبار توقفه في الحساب، ومن فروع علم الخواص باعتبار آثاره" . مختصر تذكرة الشعراء ص٨٦.

[1] ما بين معقوفين نقلناه عن مختصر (تذكرة الشعراء) لعبد القادر الخطيبي، وذلك لسقوط ورقة واحدة من المخطوط. وفي نص هذا المختصر من الأخطاء النحوية والإملائية الكثير.

٥٦- عمر افندي

مخلصه: نائل[1]

مولده ووفاته غير محددين

ذكر المتعامل بالفضائل، عمر افندي نائل[2]

ان الموما إليه هو نجل الشاعر ولي افندي المرحوم كاتب الديوان في وقته، المتخلص بطيبي السابق ذكره في المبحث المخصص له. وكان غزير العلم وكثير المعرفة.

بيت عربي

بحر العلوم فلو اقوت مدارسها   احيا به الله منها كل ما اندرسا

وفارس البحر في ميدانه فإذا   جارى مناظره في حلبة فرسا[*]

---

(1) انفرد المؤلف بالترجمة له، ولا اشارة إليه في المختصر.

(2) كما نوهت في الصفحة السابقة، انه ثمة نقصاً في اصل المخطوط مقدار ورقة واحدة تمثل الصفحتين ١٦٢ و١٦٣. وهذه الصفحة التي تحمل الرقم ١٦٤ حسب التصحيح الذي اجريته فيها، تبدأ كما يلي: انه قد ذاع صيته بمخلص نزهت. وهو من معاصري المرحوم اسعد افندي الشاعر كان يتردد إلى مجلسه، ثم سافر إلى حلب الشهباء وبلغ الحظوة هناك، إلى درجة أنه ألب عليه حسد الحساد وعداء الاعداء، مما ادى إلى اغتياله من قبل احدهم ذات ليلة وهو في داره، حيث طرق عليه الباب، ولما فتحه، إذا به يهوى عليه بضربة سيف قاتلة على حين غرة. وذلك في عام الف ومائة وسبعة وتسعين. عاش من العمر سبعين سنة. رحمة الله عليه. علماً انه لم اعثر في موجز (تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد)، على اسم أي شاعر يحمل مخلص نزهت.

(*) ثمة ركاكة في هذه القطعة العربية، لم اجد لها تأويلاً أو تعديلاً مع الاسف. المترجم.

لقد انساق وراء نظم الشعر، بعد ان وقـــع نظـــره علـــى الـــدرر العصماء التالية الواردة في (مخزن الاسرار) الذي هو مـــن أدنـــى آثـــار الشيخ النظامي[1] رحمه الله كما جاء في بحر المعارف:

نظم فارسي

ان اهل القوافي لما يبادرون بالكلام

ليستخرجون خزائن الدارين بالكلام

معشر اهل الكلم المنظوم عنادل العرش

ما ابقوا شيئاً لاخوانهم من اهل الفرش

ان حجاب الرموز لهو علم الكلام

وهو ظلال حجاب الرسل الكرام

دخل الاكابر في صف بين متقدم ومتأخر

فكان الشعراء في المؤخرة والانبياء هم المتقدمون

كان شاعراً ذا خيال خصب بليغ النظم فصيح التعبـــير، رصيـــن الاسلوب، جذل المعاني.

---

[1] تقدم التعريف به.

ومن جملة روائع نتاجه الشعري، القطعة الآتية التي دبجها يراعه في بيان تأريخ تشييد دار الكتب التي اسسها حضرة سيدنا ولي النعم ذي الشيم بوصفها مدرسة علمية[1]:

الترجمة العربية:

مرحى الف مرة لهذه البناية على الطراز الجديد

مطعمة بالرخام ومزدانة بالمرايا وعلى وضع اسنى

ليقف ماني ازاءه مبهوتاً والحيرة في فيه

لما يقع نظره على هذه النقوش الفريدة يوماً

لقد نظمت التاريخ ذي جامعاً الصحاح الستة

بوركت دار كتب داود باشا

سنة ١٢٤٥

وفضلاً عن ذلك كان منشئاً أي ناثراً قديراً وكاتباً نحريراً، متمكناً من ناحية التعبير والمعاني.

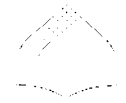
ان الباعث لتلاطم بحر الكمال والداعي إلى تكاثر اهل الافضال، اعني سيدنا حضرة ولي النعم، بعد مرور سنة واحدة على تاريخ استوائه على سرير الخلافة، ولاه مهمة الكاتب الأول في ديوانه. وبعد مدة عينه

---

[1] يقصد خزانة المدرسة الداوودية التي أضافها داود باشا إلى جامع الحيدرخانة الذي عمره سنة ١٢٤٢هـ، والأبيات الآتية توضح فخامة بناء هذه الخزانة واتقان زينتها بالرخام والمرايا والنقوش.

مديراً لدائرة مصرف البصرة. ومن ثم رشحه الى منصب المكتوبي ولـــم يلبث ان جرى تعيينه فيه بعد مدة بصفة ثابتة.

ولكونه قد نال حظاً وافراً من العلوم والكمالات، فقد كان مخلصـــه (نائلاً) بهذا الاعتبار.



٥٧- عبد الله افندي[١]

مخلصه: نامي

ولادته: ١١٦٨هـ/١٧٥٤ بالتخمين

وفاته: ١٢٤١هـ/١٨٢٥م

ذكر حلال عقد مشكل العبارات نامي عبد الله افندي

ان الموما إليه من مدينة اربيل اصلاً ومسكناً. وتشتهر اسرته بآل المشكلة. كان مبلغ تحصيله العلمي قريباً من التكميل.

بيت معناه

ضميره بحر رائق وصدره كنز الدقائق

كلامه الدر المختار وعباراته عميقة المعنى

وعلى رغم كونه متفرغاً للزهد والتقوى، والانقطاع عن الناس ليلاً ونهاراً واداء الفرائض بعيداً عن الاعين، فإنه كان يعد نفسه من ذوي الخطايا والذنوب ولا يألو جهداً في التوبة إلى الله العلي القدير.

بيت فارسي معناه

كن يقظاً إذ لما يهب هواء الاستغناء

الوف من بيادر الطاعة تباع بنصف شعيرة

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، واختصرها صاحب المختصر في ص٤١.

ولما ضاقت به الايام مدة ما، صبر وتجلد مستعيناً بالملك العـــلام حتى جاءه الفرج، باناطة مهمة قضاء اربيل إلى عهدته، فتبدل عسر حالــه إلى اليسر[1].

بيت فارسي معناه

إذا انتهى بك العمر فلا تغتم بذلك

واشكر على الحال إذ قد تصاب باسوأ من ذلك

وعلى رأس قائمة فضائله، نظم الشعر. وغني عن البيان بأن لــــه عدداً غير قليل من القصائد الرنانة في كيل المديح إلى حضرة ولي النعــم. ندرج ادناه بعض الابيات من قصيدة فريدة في هذا السياق تحمل عنـــوان العيدية:

---

[1] في المختصر زيادة توضح ظروف استعفائه من قضاء اربل وصلته بداود باشـــا، جاء فيها "إن هذا الذات أصله من اربل، وكان قاض (قاضياً) بـــها، وكـــان مـــن [الـــ]ـــعلماء المعدودين، فهاجر من اربل إلى بغداد، وسبب هجرته [أنه] اغتـــاض (اغتاظ) من متسلم اربل، فما امتزج معه، وقدم بغداد، وكان يتردد على داود باشا، وصار معيد الدرس عند داود باشا لما كان يقرأ البخاري في كل صباح، وبعد مـدة عمله قاضي (قاضياً) في البصرة، فمكث فيها مقدار سنة، بعده ما وانقـــه هواهـــا فاستعفى عن القضاء، فقدم بغداد فبقى إلى تاريخ سنة ١٢٤١ فتوفـــي فـــي بغـداد رحمه الله وكان عمره ثلاثة (ثلاثاً) وسبعين سنة".وذكر الكركوكلي (دوحة الوزراء ص٢٧٩) سبب لختياره قاضياً في اربل، وهو أنـــه امتـدح داود باشـــا بقصيـدة عصماء، فما كان من الأخير ألاّ أن يعينه في ذلك المنصب "وهو كـــل مـــا كـــان يصبو إليه ويتمناه".

الترجمة العربية:

إلا يا معدن الجود والكرم اسعد الله عيدك

ليس في كل عام فحسب، بل في كل لحظة لك عيد سعيد

طالما ظل شهر ذي الحجة يدور بأقبلة العالم

كان بنيان كعبة اقبالك دوماً ســـــــــــديداً

لا اصدق وان يجري في طست جودك بماء الكوثر

ان يجري غسيلي فليكن ثوب حظي ابيض ناصعاً

انك لمليك العدل فلا يقتصر عملك عن طالوت

في السكينة لا تقصر سمة رفعتك عن التابوت

ان تريد تمكين حلمك في العالم ايها السلطان

فاقض على الرقيب الكافر انه لا يقصر عن جالوت

علماً ان جالوت المنوه به في مقطع القصيدة، هو الحاج قاسم آغـا الاربيلي، حيث كانت بينهما ضغينة كامنة بسبب من الاسباب حسب الحالـة البشرية[1].

كان ذا حظ عظيم لدى حضرة ولي النعم الذي هو مجمع العلمــاء ومرجع الادباء ومن العلماء الاعلام، فلم ينقطع عن التردد إلـــى ديوانــه دوماً. ولقد انشد قصيدة في هجاء المرقوم قاسم آغا وبيان سلوكه وســيرته

---

[1] هو متسلم اربل الذي كان سبباً في ترك صاحب الترجمة القضاء في اربل والـهجرة منها إلى بغداد على ما ذكر صاحب المختصر.

على ما هو الواقع، وقدمها إلى حضرة المشار إليه واليك بعض النتف منها:

الترجمة العربية:

قال له الشيطان ضمن النطفة الآدمية

ان لم يقع عليك بصري في واقعة قالوا بلى

لكنت اسجد لآدم عن طيب خاطر يومئذ

حين جاء الخطاب إلى جمع الملائك من المولى

كل من يقضي على هذا قتلاً أو يزيحه عزلاً

فله الاجر في ثلاث وسبعين فرقة بموجب النص

اياك واكتساب آهات الفقراء يا مليكي

وهل يليق بذات مثلك اكتساب آهات الفقراء

خلاصة القول انه كان شخصاً عديد الفضائل، نادر الوجود، تعلق حسام مقاله في رواق البلاغة، ونفذ سهام ذكائه إلى منتهى المعاني بحق. اقام شاهد روحه ثلاثاً وسبعين سنة في غرفة بدنه. وفي عام الف ومائتين وواحد واربعين[1] فارق الدنيا بغتة معتزماً صوب قصر الجنان.

بيت عربي

ألا انما الدنيا كمنزل راكب   اناخ عشياً وهو في الصبح راحل

كان مخلصه النامي بين الانام هو (نامي).

---

[1] أولها ١٥ آب ١٨٢٦م.

٥٨- ابراهيم بيك[1]

مخلصه: نجيب

ولد سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م

توفي سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م

ذكر المستوي على كرسي دائرة الأدب نجيب ابراهيم بيك ان الموما إليه نجل المرحوم الكتخدا بكر بيك شقيق عمر باشا والي بغداد الاسبق. وهو جورجي الاصل وبغدادي المولد.

كان على دراية بالصرف والنحو، وذا باع طويل في علم الهيئة بوجه خاص. يتصف بخفة الروح، اديب لبيب بكل معنى الكلمة. اضف إلى مهارته الفائقة في الكتابة النثرية، أنه كان شاعراً مفوهاً متميزاً، حيث كان صاحب القدح المعلى في هذا المجال:

الترجمة العربية:

لئن كانت درة البحار تليق بالاجياد

فإن درة حديث الرجل النبيه اغلى

كل من تغافل عن درر الاقوال

فتجنب أنت جناب هؤلاء الرجال

وكن على ثقة بان درة الكلام

عند المرء الغافل اثمن من درة البحار

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولختصرها صاحب المختصر في أربعة سطور ص٤٢.

ان كل بيت لشاعرنا لهو مبيت للمعاني والكنايات، وكل شطر فيه النكت والادوات.

وفي التاريخ الذي كان يشغل فيه منصب الدفتري لحضرة ولي النعم، فغفوري الشيم[1] سيدنا المزدان به مسند الخلافة، وزينة منصب الوزارة حالياً، حيث كان قد رفع قدر منصب الدفتري حالياً بحيث يوازي عرش الاثير، إذا بالشاعر خروس دفتري المدرج في حرف الصاد تحت مخلص صافي[2]، يتقدم بقصيدة إلى حضرة سيدنا المشار إليه ممتدحاً اياه ويكيل الثناء عليه. ويذكر في جانب منه، بان الشاعر الذي يكتب قصيدة مماثلة لهذه القصيدة غير موجود في الميدان حالياً. وكان شاعرنا حاضراً في المجلس آنئذ لكنه آثر السكوت ولم يحرك ساكناً في التو واللحظة لاعتبارات ادبية استوجبت ذلك في نظره، ولم ير من المناسب تجريح شعوره وافحامه.

غير أنه شمّر عن ساعد الجد في الليلة التالية، وقدم القصيدة التالية إلى جناب المستطاب الخديوي غداتها. علماً انه قد تعرض في البيت الاخير منها بالشاعر خروس افندي المذكور على نحو صريح موجع:

---

(1) فغفور هو لقب لحاكم الصين ، ويسمي العراقيون الأطباق المزججة المعروفة بالصيني بالفغفوري، نسبة إلى هذا اللقب.

(2) هو مصطفى خروس أفندي المتخلص بصافي نجل أمين النعلبند (للبيطار) البغدادي. تنظر الترجمة ٣٣.

الترجمة العربية:

ماذا لو امسكت بالقلم الفواح بالعنبر العبق
كأنما الطبيعة قد فرضت عليَّ مدح ذي الشان

ياله من ذات آصفي المناقب اسكندري الهمم
كمال رأيه السديد قد احيا عهد سليمان

لقي الناس البرء في ظل صفصاف حماه
وبلسم احسانه قد خفف من شدة حمى الايام

لم يشاهد ارسطو ايام الاسكندر لهذا العدل غرارا
ولم يسبق لاحد ان شاهد مثل هذا الدوران في عهد دارا

لو تلقى الرعاية اللازمة بماء فيض لطفه وهوائه
فكل جلنار ليغدو رمانة ياقوتية في اغصانها

ليس السماع- يا مكرم- كالمشاهدة بالعين
نعم رأيتك في المكارم بالعين لا عن طريق الأذنين

ان كوكب عطارد ليدون افضالك في لوح الفلك بالقلم الذهبي
هيهات أن يعد واحداً بالألف فلا مجال لتعدادها بالكامل

ما الديك وما الغراب لكي يتباريا مع العندل في الشدو
وهل يجوز للزاغ ان يتحدى الببغاء في ميدان الكلام

كذلك قد عمل تخميساً لغزل المرحوم اسعد افندي كاتب الديـــوان والمار بنا في احدى الفصول السابقة. هذا بعض المقاطع منه:

الترجمة العربية:

هذه الليلة اشتقت إلى وصل دولة ملكة الجمال

أمر غريب عجيب اعملت فيه الفكر المحـــال

القلب المليء بالمحن صهرته في بوتقة غرامك

بهموم العشق الشبيهة بالسهام جعلت نفســـي هلالاً

على النحو هذا، اسست مع شمس المحاسن اتصالاً

حظي القلب الحزين بالطافها على أية حـــــال

الليلة بعيداً عن اعين الغرباء نعمت بوصل الحبيب

بالمدام الرائق جعلت عين العبـــــارة مخمورة

في ليلة الغرام فتحت ازرار القميص عن جيدها

جاعلاً ياقة الثوب مشرقاً لصبح الوصـــــال

ما ان استتار منتدانا بالمدام الرائق تلك الليلة

ارخى الكأس المطيح بالرجال النعاس على عيني الحبيب

آنئذ جعلت ساعدي طوقاً على جيدها

واذ انا تسببت في مساورة الشكوك قلبها

افلت مني نيل الوصل فلا جنيت شمعاً ولا عسلاً

كذلك قام استاذي فوزي افنـــدي[1]، شـمعة منتـدى المعـارف، بتخميس الغزل المذكور من جانبه ايضاً، وهذه بعض الابيات منها:

---

[1] هو محمد أمين فوزي وقد تقدمت ترجمته.

تحت وطأة هجر الحبيب جعلت الف قدي دالاً[1]

كما جعلت من كياني ظل خيال لشمس وصلها

فناءِ في هواها جعلت غرة عمـــــري زوالا

شوقاً إلى بدر جمال منير غدوت هلالاً

على هذه الصورة اتصلت بشمس الجمال

لما وجدت الرقباء في منأى عن نادي الصفاء

احتضنت الحبيب المشوق بين ذراعي بلطف

بداعي تحويل الليلة المضطرمة إلى نهار من وهج الصدر

في ليلة الغرام فتحت ازرار القميص عن جيدها

جاعلاً ياقة الثوب مشرقاً لصبح الوصال

مذ كنت ابكي حرقة الوصال كالشمعة متلهفاً

وزنبور القلب يطن بالآه والانين

إذ انا امني النفس بامتصاص شهد لَعلِها

إذا بي اتسبب في مساورة الشكوك قلبها

افلت مني نيل الوصل فلا جنيت شمعاً ولا عسلاً

وفي مجال اجادة الفن الموسيقي بوجـــه خـــاص، صعـــد صيـــت شاعرنا إلى عنان السماء واشتهاره قد اتصل بأوج العيوق[2]. فـــــهو لمـــا

---

[1] أي قدي المستقيم كحرف الالف قد صار مقوساً اسوة بحرف الدال. المترجم.

[2] العيوق نجم أحمر مضيئ في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا.

يبادر إلى ايقاع تقسيم الظرافة، يجعل البلبل الشادي يدخل في انغام الحيرة، وحمامة الدوح تستسلم إلى حالة السماع. له عدد عديد من الالحان والانغام بالتركية في غاية اللطافة تدور في الافواه حالياً من قبل الفنانين.

لما وردت الاغنية الآتية من الاستانة العلية[1] في وقتها بالتركية:

الترجمة العربية:

طالما توفرت عندك يا سيدي مثل هذه الاداء

ليرتفع النحيب لدى عشاقك كالناى والطنبور

ثم انغام النوى في الحسيني بصوت حسن[2]

تارة حانة (عرض يار) وتارة نغمة الماهور[3]

فقام شاعرنا من جانبه بانشاد الاغنية التالية ناسجاً على نفس المنوال، بحيث حظي بالقبول الحسن لدى المطربين العراقيين والحجازيين على نطاق واسع، ولربما وصل حينها حتى إلى اسماع عشاق الطرب والفن في مدينة نهاوند وبلاد العجم:

---

[1] اي العاصمة العثمانية، وهي القسطنطينية، التي سماها العثمانيون: استانبول واسلامبول.

[2] النوى والحسيني اسمان لنغمين في الموسيقى الشرقية تتفرع من كل منهما عدة مقامات.

[3] عرض يار والماهور، محرفة عن الماخور: ضرب من الايقاعات. عباس العزاوي: الموسيقى العراقية ص ١٧ و٩٩.

الترجمة العربية:

قام قلبي سائحاً في اصفهان واقليم العراق

حتى استقر به المقام في ارض نيسابور

إذا ما تحول القلب من (النوى) إلى (بوسه ليك) من لعل ثغرك[١]

عندئذ من الذي يأبه بنغم العشاق الصادر من السنطور

ولكونه نجيب الاصل، فلقد اشتهر بمخلص نجيب بين النجباء، وكان انساناً وفياً، قائماً بالعهد في تعامله مع الناس دوماً، يتبادل الزيارات مع اصدقائه ويتودد إليهم[٢].

بيت فارسي معناه

انما الاوقات السعيدة لهي التي مرت بصحبة الخلان

ما عدا ذلك فصفر اليد وغفل

كان سكيراً[٣]، وصاحب طبيعة[٤] ومن اهل الهوى ونقي السريرة، اضف إلى ذلك كونه مخلوع العذار[٥]، يميل إلى الذوق والحظوظ، فكان

---

[١] تقدمت الاشارة إلى هذه المصطلحات الموسيقية.

[٢] هذا القول يتناقض وما أورده صاحب المختصر من أنه "قليل الاختلاط بالناس.. وأنه كان بالأسبوع مرة يخرج من الحرم إلى الديوانخانه" (= مجلس الاستقبال).

[٣] في الأصل: خراباتي مشرب، وخراباتي فارسية بمعنى: سكير، سفيه.

[٤] صاحب طبيعة في مصطلح الترك من أطلق لنفسه العنان في التمتع بالجمال.

[٥] أي قليل الحياء إن لم نقل عديمه.

ضرر نلك خاصاً بنفسه وحده، ولم يكن من عادته ايراث الاذى بأحد بــأي حال من الاحوال.

بيت فارسي معناه

انما القشة والجبل ســـــيان عند ذاته

يهب بقدر الجبل حيناً أو بقدر حيناً آخر

استمرت انفاسه تتردد في قصبته طيلة خمس وخمســين ســنة[1]. وفي عام الف ومائتين واربعة وثلاثين استقرت في مقام جنة الخلد نهائياً.

بيت عربي

إلا كل شيء ما خــلا الله بــاطل   وكــل مقيــم لا محالــة زائــل

---

[1] في المختصر "وكان عمره أربعة (يريد: أربعاً) وخمسون سنة".

٥٩- الحاج ولي افندي[١]

مخلصه: همّت

ولادته: ١١٣١هـ/١٧١٨م

وفاته: ١١٨٩هـ/١٧٧٤م

ذكر المتبوأ مركز المعرفة الحاج ولي أفندي همت

إن الموما إليه ينتمي إلى الأسرة المعروفـــة بـــآل البـــارودي[٢]، والمتصفة بالعزة والوجاهة. فهو من اولاد محمود افندي المنتســب إلـــى

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[٢] سبق أن ترجم لشاعر من هذه الأسرة هو بكتاش أفندي المتخلص بتائب. وقد لفــت نظرنا ثناء المؤلف هنا على هذه الأسرة، وقوله أنها أسرة عريقة يــدل علــى أن وجودها سبق ولادة الحاج ولي المذكور سنة ١١٣١هـ بنحو قرن في أقل تقديــر، ومع ذلك لم يذكر المؤلفون الذين سجلوا أسماء الأسر البغداديـــة (محمــد جــواد السياهبوش، إبراهيم فصيح الحيدري، إبراهيم الدروبي) شيئاً عنها، وفــي الغــالب فإن سبب ذلك يعود الى انصراف رجال الأسرة في النصف الأخــير مــن القــرن الثالث عشر (١٩م) عن مجالات العلم والأدب. وهذه الأسرة كانت تســكن محلــة الفضل، قرب محلة السور، وكان لها عقارات هناك، من بينها أرض محطة تعبئــة البانزين القديمة الملغاة في ساحة الفضل في مدخل شارع الملــك غــازي، وهــذه الأرض هي التي أنشئت عليها في مطلع العصر العثماني مؤسسة البارود خانـــه، وهي دار صناعة البارود في العصر العثماني، وكان رجــال الأســرة الأقدمــون ضباطاً في الجيش العثماني، وهم ينسبون إلى عشيرة الكرويـــة القيســية، وهــذه العشيرة استقمها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، وكان منـــها قــادة وضباط ومنهم من تولى المناصب الإدارية والعسكرية الرفيعة (كتابنـــا: الأســر-

العائلة البغدادية النبيلة العريقة المذكورة. كان قد نال نصيباً كافياً من شـتى فروع الفن والادب، وهو ذو دراية واسعة وصاحب عقـل وتدبـير. لمـا بدرت عنده الرغبة في الانتهال من ينابيع الادب المختلفة، منّ الله تعـالى عليه بالتوفيق، وشد الأزر بلطفه، فحصل على ما يريد في مـدة قصـيرة بحيث اصبح كاتباً لبقاً ومنشئاً قديراً حلو الاداء.

بيت فارسي معناه

سكندر لم يمنوا عليه بجرعة المـاء   فهذا الامر ليس بالجبر ولا بـالتبر

كانت اصداف عباراته زاخرة بلآلي المعاني ودر الكنايات. وهـو مطبوع على الشعر بوصفه خصلة حميدة لاصقة به.

بيت معناه

انما العيب في لن يكون المرء عارياً عن المعارف

فإن قرض الشعر فخر لأهل الفن وليس عار

-الحاكمة ص٦١) والظاهر أنهم نسبوا الى مؤسسـة الباروdخانتـه حيـث كـانت عقاراتهم هنالك حتى بعد إزالة آثار المؤسسة المذكورة، وكان من سراتهم الحـاج ولي أفندي المتخلص بهمت مؤسس السقاية التي سيذكرها المؤلف فـي ترجمتـه، ومن رجال هذه الأسرة المعروفين عبد القادر، وله عبد الرحمن المتخلص بفكرت، وللأخير بهجت وتوفيق، ولتوفيق من الأبناء عبد القـادر (المولـود سـنة ١٩١٥ والمتوفى سنة ١٩٧٤) وبدري (المولود سـنة ١٩٢٨ والمتوفـى سـنة ١٩٩٧) وحكمت، ولكل منهم أولاد.

ومن روائع انشاده الخالدة ما معناه:

لم أكن زاهداً كما ولست عربيداً يحمل الدنا

إنما اغرمت بثغر الحبيب فصرت اقارع الاقداح

نأمل تلقي نبأ وصلك من ريح الصبا

فصرت كدوحة ورد حارساً في روضة الأتراح

لما ان خلي بسري عن هوى الغادة

انقطعت شكواي من آلام الدهر والجور

ما ان وصلتني الصيحة حتى سقط جناحي وقوادمي

صرت في المجلس كفراشة تتدثر بالنــــار

لغرض احتضان الشمعة الحارقة للقلب تلك يا همت

صرت بياعاً للسرج آخر الامــــــــــــر

مخلصه الشاعري هو هِمّت، وحقاً إنه لكذلك، فهو مـــــن اربــاب الثروة واليسار، وقد أدى زيــارة الكعبــة المشــرفة والروضــة النبويــة الطاهرة، تلبية لنداء {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه ســـبيلاً}. وعملاً بالحديث النبوي القائل: إذا مات ابن آدم انقطع عمله من الدنيـــا إلا عن ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له، فإنه قـــد جعل جل اهتمامه في هذه السبل. من ذلك أنه شيد سبيل ماء[1] فـــي احـــد شوارع مدينة بغداد.

---

[1] يريد سقاية عامة لشرب أبناء السبيل.

فقام الشاعر تائب بكتاش افندي بتسجيل تأريخ انشاء السبيل هـــذا بالبيت الآتي:

الترجمة العربية:

ما ان تناول تائب اليراع حتى وقع التأريخ

قد وجد سبيله إلى الخيرات الحاج ولي افندي[1]

وكان من دأبه طرق مجالس العلماء واهل التصوف والصـــالحين، يرى في ذلك عملاً جميلاً واجب الاداء.

بيت فارسي معناه

مجلس عيش وربيع وبحث علم على الطاولة

في قطر هذا شأنه يحسد فيه السلطان الصعلوك

طيلة ثمانٍ وخمسين سنة كان رونقاً للحياة. وفي عام الف ومائـــة وتسعة وثمانين[2] انضم إلى عداد المتكئين علـــى فــرش بطائنـــها مــن استبرق.

بيتان بالعربية

بنيت على كدر وانـــت تريدهـــا صفواً مـــن الاقـدار والاكـدار

ومكلف الايام ضــــد طباعهـــا متطلبٌ في الماء جـــذوة نـــار

---

[1] شطر التاريخ في الأصل هو (خيره سبيل أولدي حاجي ولي أفندي)

[2] أولها ٤ آذار ١٧٧٥م.

٦٠- احمد آغا

مخلصه: نشأت

ولادته: ١٢١٩هـ/١٨٠٤م

وفاته: ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م

ذكر مرغوب زمرة الأدباء، نشأت أحمد آغا[1]

إن الموما إليه جورجي الأصل، وملك يمين حضرة ولـــي النعـــم لمنشئه ما معناه

حسداً لذلك الإنسان صاحب الحظ السعيد

بحيث صار لمثل هذا السيد من العبيد

لما شاهد بعينيه ما يسبغه حضرة الخديو من العطـــف والاهتمـــام والرعاية الجمة على اصحاب الادب وارباب الكمال إلى حد كبير.

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر تفاصيل أخرى لم ترد في الأصل، ونصـــها" إن هذا الرجل كورجي الأصل، من مماليك المرحوم المشار إليه (واضح أنه يشير إلى داود باشا)، وهو من صغره قرأ الصرف والنحو، وقرأ من المنطـــق العيســاغوجي (يريد ايساغوجي في المنطق لأثير الدين الأبهري) والفناري، وقرأ مقداراً مـــن علـــم العروض، وقرأ مقداراً وافياً من الفقه، وقرأ أيضاً من علم التجويد، وكان يرتل قراآت القرآن، وقرأ كثيراً من علوم الفارسية، ونشأ في تحصيل الكمـــالات. وكـــان عـــاقلاً مداوماً على الصلوات الخمس، فصار محل غبطة لكل من ســـمع أوصافـــه، فقربـــه المرحوم داود باشا إلى خدمته وصار يسئله (كذا) مسائل شتى فيجيبه على الصـــواب، فذلك الوقت جعله جبوقجي باشي إلى مدة تاريخ الطاعون سنة ١٢٤٦ لتوفـــي فيـــها رحمه الله تعالى وكان عمره سبع (سبعاً) وعشرون سنة" (ص٤٣).

لمنشئه ما معناه

انما العرفان قد جعل المرء مقبولاً في الزمان

مهما كانت ثماره فهي لا تقبل النكران

فلقد اتخذ ذلك شعاراً لنفسه، فانكب على تهذيب نفسه بمختلف فروع المعارف وتذهيبها بذهب الادب.

وبما انه كان يتمتع بمزايا الذوق السليم والحس المرهف والفطنة بالسليقة، وله الاطلاع اللازم على اسرار النكات وغوامضها، اضف إلى ذلك ما تميز به من فضل الرعاية الابوية التي شمله بها حضرة ولي النعم، والتي هي في حد ذاتها بمثابة شمس فياضة تحيل الحجر والصخر إلى اللعل والمرجان إذا عطف النظر عليها، فإن جوانبه ودواخله تحلت خلال امد يسير، بحلية الادب، وانجلت مرآة طبعه بجلاء العرفان.

بيت فارسي ومعناه

ليحفظ الله عن عيون الاعداء

في الدهر دوماً ذلك الذات الكريم

لما برزت ثمرة جهوده على صفحة الظهور، واسترعت نظر حضرة صاحب ولي النعم، جرى تعيينه في مهمة الجبوقجي باشي[1]،

---

[1] الجبوق، لفظة تركية بمعنى: العصا الطويلة، والأنبوب (الدراري اللامعات ص٢٠٦)، واصطلاحاً يقصد بها أداة تناول الدخان، فهي تشبه (البايب) إلاّ أنها أكثر طولاً، وتقابل في العامية البغدادية : الشطب، وباشي بمعنى الرئيس، فهو=

فصار يتمتع اليوم بمنزلة بالغة الأهمية في مجاله، بـــالمنصب المذكـــور، وامتاز بمكانة محترمة بين امثاله وانداده.

والخلاصة فإن سلافة الاشعار المنصبة من قنينة طبعه، في كـــأس التحرير، وصهباء ابيات المعاني، المزيلة لجوهر عقول العقلاء، والماســكة لعنصر حكمة الحكماء، وهي حرية بذلك حقاً..

بيت معناه

يبعث النشوة في النفس ويريحها من الهموم

فكلامه مثل كأس حانة حســــــــــن الأثر

ففي هذا السياق فإن قطعته الغزلية الآتية تتناقلها الأفواه والترجمــة العربية:

ان القلب كالسمندر متوله بخد ناري ومتحسر

لاجل وصل الحبيب مثل منصور[1] إلى الصلب متحسر

ياله من روض بهيج فوجهك وقدك كله ورد

وطائر القلب مهيض الجناح إلى الجنينة متحســـــر

انه يتنزه مع الاغيار في الحدائق غير عابيء

بالف شوق ولهفة فالبصر لتجواله متحســـــــــــر

=المقدم على صنف المغنيين بإعداد مجالس التدخين، وفي الغالب فإنه يعـــد مـــن حاشية الوالي الأقربين.

[1] المقصود: الحسين بن منصور الحلاج.

فهل من اللائق ان يظل اسيركم في مأتم الغم

انه لا يطمح في وفاء لكنه مجرد كلام متحســـــر

ان العشاق ليتلظون ناراً في طــور الحيرة

والحسرة إن نشأت لصاحب يد بيضـــــــاء مثلك

واننى هذا متجرع فضالة كؤوس الاكامل، وخادم منتدى الافاضل، الحقير العديم الاداء، والمسكين المفتقر إلى البهاء، بحســـب كونـــي مـــن جانبي بمثابة صديق رفيق مع ذلك الإنسان ذات المعارف السمات، بحيث تكاد روحه تكون روحي،وروحي روحه في عالم المعنى، لدرجـــة يخـــال للناظر بأن ثمة روحين تعيشان في بدن واحد.

فلقد نظمت التنظير الآتي الخالي مـــن المعـــاني، مثيـــلاً للغـــزل المذكور، لا لسبب غير تقديم خدمة على قدر الاستطاعة لذلـــك الشـــخص الكريم ولكن اين الثرى من الثريا:

الترجمة العربية:

ان الاسير الذي يعاني من سقم هجرانه إلى شربة الرؤية لفي حســـرة

مثلـــه كمثـــل العليـــل الـــذي إلـــى التمريـــض لفـــي حســـرة

ان قلبي المشحون بالمحن ليس بخال عـــن خيالـــه قطعـــا

كلا عيني المبيضتين إلى القطرة العنبريـــة لفـــي حســـرة

لا تحسبن العندل فـــي نو اح عنـــد كـــل ســـحر لاجـــل الـــوردة

بل ان ذلك المسكين الفقـــير إلـــى الخـــد الـــوردي لفـــي حســـرة

ان حرقة الشقائق ليست ناجمة عن عشق دوحة السرو

بل ما في تمايلها من الفتن فهي لها لفي حسرة

لست طامعاً في توددها بل راض حتى بتقريعه والله

إذ ان سمعي المشتاق لمجرد كلام منه لفي حسرة

ماذا لو ظل العاشق يردد ذكر انا الحق[1] دوماً

فإنه اسوة بجناب المنصور إلى الصلب لفي حسرة

ان خطيبي يحذوه حذو نشأت المعاني الطراز

ليجد ان السيارات السبع اسوة بالثريا إلى هذا النظم لفي حسرة

ومن الروائع الشعرية للشاعر نشأت، الغزل الآتي، دبجه يراعه المبدع حانياً حذو غزل الشاعر التركي المرحوم نديم:

الترجمة العربية:

لقد تقلد سيف اللحظ ذلك البطل فخاض غمار الميدان

يبتغي التفضيل في عشاقه إذ دخل في الحرب معا

امتشق سيف الحاجب علي وذلك الأحور الفتان

يخال للرائي بأنه لاصلاح ذات البين سعى

اكاد افقد رشدي كلما وقع نظري على منثور جدائله

يظن بأنني قد كلفت في الغرام من جهل علم المعاني

---

[1] أنا الحق، عبارة مشهورة للحلاج، اختلف في تفسير ما يقصده منها.

جمـــع بطرفـــي النطـــاق فـــي وســـطه وتمنطـــق بـــــه

فذلك البدر المنير كالشمس دخـــــل فـــي بـــرج الجـــوزاء

ان خدك قد اتخـــذ لنفســـه مـــنزلاً مـــا بيـــن الذوائـــب والجدائـــل

أو كان القمر أم كوكب المشـــتري إذ دخـــل فـــي الليلـــة الظلمـــاء

ليـــس مـــن الســـهل تحديـــد نـــوع جســـمه يـــا نشـــأت

فهو ملـــك فـــي اللطـــف لكنـــه فـــي الاهـــاب الآدمـــي

هذا وقد حدث يوماً ان انشد شاعرنا الشطر الآتي:

ومعناه

لقد قال العشاق بأن رضاب جم لعلـــك لـــهو مـــاء الحيـــاة بعينـــه

لكنه عسر عليه الإتيان بالشطر الثاني الملائم له بأي حـــــال مـــن الاحوال. وحينما اطلع حضرة ولي النعم على الأمر، قـــام علـــى الفـــور باكمال بعض النواقص الواردة، ومن ثم جاء بالشطر الثاني من عنده، فـلتم البيت المفرد، ومن ثم جاء استاذي الفاضل فـــوزي افنـــدي[1]، فـــأجرى تخميساً للبيت المذكور كما يلي:

الترجمة العربية:

ان نـــيران الشـــوق المنبعثـــة مـــن جـــذل جسام ثغـــرك اللعلـــى

---

[1] تقدمت ترجمته.

قــد اضــرم الحريــق فـــي بنيـــان دار صـــــبري وقـــــراري
انـــه يمنـــــح الحيـــاة للنفـــس يـــا مســـبح الاخـــلاق

قال العشاق: أن رضاب جام لعلك لهو ماء الحيـــاة بعينـــه
لذا فانني فتحت فاه الطلب شـــوقاً إلـــى ثغـــرك اللعلـــي

وبالإضافة إلى هذه القدرة العالية في ساحة الكمـــال والمعـــارف، ومع ما كان مشمولاً بها من مظاهر الرعاية والتوجه من لدن حضرة ولـي النعم، فإنه كان مجبولاً على التواضع والبشاشة دوماً، ولم يعرف التجـــبر أو التكبر سبيلاً إلى قلبه قطعاً. وكانت فلسفته في الحياة، مطابقـــة تمامـــاً للمقولة الفارسية القائلة:

ان الشـــعور بـــــالتكبر ليـــس مـــــن شـــــرط الادب

فهو متصف بالخصال الحميدة والاخلاق الحسنة للغاية مـــن كـــل وجه.

بيت فارسي معناه

ان هذا الشرح المسهب بشأن جمال الحبيب
ما هو إلا واحد من الالف مما اتصف به

٦١- اسطه صالح النجار[1]

مخلصه: نجار

ولادته: ١١٣٦هـ/١٧٢٣م

وفاته: ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م

ذكر ممارس فنون الأدب الاستاذ صالح النجار

ان المرقوم هو نجل اسطه ابراهيم النجار. وبفضل جو بغداد ومائها، ومعاشرة ارباب الكمال ومجاورة اهل الادب، فإن ارباب الحرف العاملين في دار السلام قد امتازوا أيضاً في فروع المعارف المختلفة، بحيث لا تجد لهم مثيلاً في سائر الجهات والاماكن من الأقطار.

ومن جملة هؤلاء الأديب المرقوم، مع انه بحكم طبعه الوقور، قد ضرب بسهم وافر في ميدان الشعر العربي والفارسي والتركي بإبداع ظاهر، وادلى بدلوه في الساحة الادبية بكل براعة بحيث ذاع صيته

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر ترجمة تضمنت بعض التفصيلات مما لم يرد في الأصل، جاء فيها "نقلاً عن والدي إن هذا الرجل كان أصلهم من قرية قزرباط، قصبة [على] ثلاث مسافات عن بغداد، وكان أبوه أوصطه (كذا)، وخوفاً من معامع العجم انتقل إلى بغداد، ونجله أوصطه صالح الذي نحن في منقبته ولد في بغداد، فقرأ من العربية مقداراً، وما ترك صنعته ينظم أشعار، ويقرئ الفارسي، وهو أيضاً في صناعة النجارة. وكان والدي ينقل لنا عن عفته وصلاحه، وكان مداوماً على الجماعة ، وكان إذا جاء فقير أم امرأة فقيرة ينجر لهم ما هم محتاجيه مجاناً من غير أجرة. توفي سنة ١٢٠٣ وعاش سبع وستون (يريد: سبعاً وستين) سنة رحمه الله تعالى" (ص٤٢).

وعرف شأنه عن جدارة في هذا المضمار، أو قـل فـي سـوق الشـهرة بتعبير ادق، إلا انه ظل ملازماً زاوية الاعتزال، مكتفياً بما تـدره عليـه حرفته من الرزق المقسوم، مقتنعاً بالعيش في كفاف وجفاف:

بيت فارسي معناه

من لم يسلم إلى يد عروس الدنيا قيادا

قد حضر ميدان الدهر بطلاً وغادره بطلاً

ومن جملة ابداعاته الادبيـة، انـه زار ذات يـوم حديقـة تكيـة المولويخانة، والمعروفة حالياً بجامع الآصفيـة[1]، الـذي نـال العنايـة والعمران بهمة حضرة ولي النعم في الوقت الحاضر، فوجد هنـاك ثلاثـاً من الحسان الأمارد قد جَلَسْنَ على اطراف الحوض، فصار بـهم قرير العين والفؤاد، وطار بذلك فرحاً وسر ايما سرور في سره.

المعنى

طالما كان ثمة مرآة كجمال البشر

من الحمق ان يعطف إلى غيره الإنسان النظر

ولما اطال فيهم النظر، خطر له من روعة مـا اضفـاه هـؤلاء الحسان الصورة من البهجة والبهاء على المكان، أن صاغ تلك السـوانح في هيئة قصيدة ميمية مطولة، عرج في آخرها إلى كيل المديـح إلـى

---

[1] تقدم التعريف بهذه التكية وما آلت إليه.

المرحوم عمر باشا[1] من ولاة بغداد السابقين. وبما انه ليس من الجائز طي أي جزء منها، لقد ارتأينا درج القصيدة المذكورة برمتها هنا كاملة[2].

في سياق ايراد تنظير مماثل للغزل الوارد في ديوان الشاعر التركي المرحوم نديم افندي الذي هو بمثابة فص خاتم فن الشعر.والذي مطلعه:

بيت معناه

انسابت الرقة من المادة فصارت لك خلة وخصلة

وجرى المدام من الزجاجة فصار لك عذاراً ورديا

صاغ يراعه البارع غزلاً في غاية الروعة. وقد اكتفينا بادراج المقطع الاخير منه هنا وحده والحاوي على مخلصه الشاعري:

الترجمة العربية:

لكنت تصبح في سوق المعارف بياع اللآل

لكن أسفاً فحرفتك هذه جاءت في أدنى الرتب

كان من دأبه ايراد البيت الآتي، خلال محادثاته ومساجلاته في كل فرصة مناسبة والترجمة العربية:

---

(1) تقدم التعريف به.

(2) لم نر جدوى من ادراج ترجمة القصيدة هنا وذلك لمعانيها المبتذلة وما تتضمنه من غزل بالمذكر، وهو ضرب من الغزل كان شائعاً لدى شعراء الدواوين من الترك والفرس، ولم ينج منه إلاّ من كان أثر المدرسة العربية الأدبية عليه غالباً.

ايها النجار إن كنت صاحب براعة   فاحلق الرقيب يوماً غير الحليـــق!

وخلاصة الكلام انه كان استاذاً ماهراً في صياغة المعاني ولطائف النكات والكنايات وتركيبها على ارائك الالفاظ وعروش التعـــابير الفنيـة البارعة. وكان يحمل مخلص (النجار) بحسب ما كان يحترف.

مكثت روحه سبعاً وستين سنة في حانوت بدنه. وفي عـــام الــف ومائتين وثلاثة؛ تهاوت شجرة حياته بضربة من فـــأس الفنـــاء، فـــانتقلت للسكنى في الملأ الاعلى.

بيت معناه

ما دار الدنيا إلا محطة للمسافرين

من لم يتخذ الحيطة للرحيل فهو احمق

٦٢- الملا علي نصرت افندي كاتب العرائض

مخلصه: نصرت[١]

ولادته: ١١٦٤هـ/١٧٥٠م

وفاته: ١٢٣٣هـ/١٨١٧م

ذكر ساكن خيمة المعارف، الملا علي افندي نصرت

إن المرقوم هو نجل المدعو عبد الله البغدادي الاصل والوطن. ومع انه كان متزوداً بكامل الآلات المعرفية ومتجهزاً بمختلف الصنوف العلمية والادبية، إلاّ انه كان قانعاً بممارسة مهنة كتابة العرائض في سبيل كسب عيشه، شاء أم ابى.

بيت معناه

نحن لا نفرط بماء الوجه للفقر والقناعة

فليقل السلطان بان الرزق شيء مقسوم

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، وفي المختصر ترجمة موجزة فيها بعض التفصيلات مما لا وجود له في الأصل، إذ جاء فيها "إن هذا الرجل كان يكتب العرضحالات في باب السراي، أصله ووطنه بغداد، وكان فقيهاً وفرضياً، وكان دوماً يقري علم الفرائض، وكان فقير الحال ذو (ذا) عيال، وكان قليل الكلام، قانع (قانعاً) ليس معجز، وفي أواخر عمره قل نظره ما قدر يكتب (كذا) فمكث في بيته مقدار سنة، وتوفي في سنة ١٢٣٣ وكان عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى" (ص٤٢)

عباراته اللطيفة مشحونة بعبير عنبر المعاني، واستعاراته مشتملة على جميع وسائل البيان وادواته، لاسيما في مجال النظم الذي يخرجه منتظماً انتظام الثريا، فنتاجه في هذا المضمار زينة لطبع اهل المعاني، وهو حري بحق ان يعد أنموذجاً لأعمال شعرية ضربت بسهم وافر في باب البلاغة والبيان. وعلى سبيل المثال ندرج ادناه القطعة الغزلية الآتية:

الترجمة العربية:

مقوس الحاجب يمر وسرو ورد سيار ويمضي

فارع الطول ذو عطر مسكي يمر ويمضي

اياك والتمادي في ايذائي فسوف استغيث

لي صوت مسموع لدى سلطان الغرام ويمضي

انني اليوم بلا مأوى سلوتي في لحن النوى

ومقام بوسه ليك وعشاق وشهناز يمر ويمضي[1]

كلما هزني الشوق إلى اوتار إلفك علا نياحي

ليلتي حتى الصباح في السهاد تجري وتمضي

يا نصرت ان آهاتي لا تؤثر في ذاك الحبيب

بينما أناتي من طوق الافلاك تمرق وتمضي

اشتهر بمخلص نصرت بين ارباب المعارف، وقد مضت ايامه في شظف العيش، إذ لم يكن له نصيب في وظائف الدولة.

---

[1] سبق أن تقدم التعريف بهذه المقامات الموسيقية.

بيت معناه

لم يتيسر الحصول حتى على صدرية واحدة لطول الهمة الفارع

اطلس الافلاك كم من المرات اجروا فيه التخمين وقدروا

مارس في حانوت الدنيا كتابة عريضة الحياة مدة تسع وستين سنة. وفي عام الف ومائتين وثلاثة وثلاثين[1] تعرض قرطاس حياته للقطع بمقراض الممات.

بيت فارسي معناه

ابتعد عن دار الدنيا ومطالب عيشها

فهذا الكأس الاسود لابد ان يقضي على الضيف اخيراً[2].

---

[1] ويوافق أولها ١١ تشرين الثاني سنة ١٨١٧م.

[2] ان البيت هذا، هو السطر الرابع لقطعة غزلية تعود للشاعر الكركوكي نورس القديم، والتي مطلعها ما معناه:

لقد زينوا غرفة زفاف الشاه خسرو ذات ليلة وجعلوا من دم فرهاد حناءً لقدمي شيرين

علماً بأن شيرين كانت عشيقة فرهاد، لكن الشاه خسرو برويز قد استحوذ عليها، بعد ان تم القضاء على فرهاد بدسيسة عجوز ماكرة حسبما جاء في الاسطورة الغرامية الخاصة بهما. المترجم.

٦٣- محمد افندي[١]

مخلصه: ناري

ولادته: ١١٤٢هـ/١٧٢٩م

وفاته: ١١٩٩هـ/١٧٨٤م

ذكر جواب صحراء المعارف، الناري محمد افندي صاحب اللطائف

إن الموما إليه هو الابن المتشرب بفيض الادب للملا عمر البغدادي مسكناً ومن كويسنجق اصلاً. وكان على اطلاع واف على فن الصرف والنحو، وعلى المام تام برسم الخط. وكان صيت براعته في مجال النثر كالدر المنثور بين الأكامل من اهل الأدب. ومن جهة اخرى فإنه حسب الرواية القائلة: لو كان نزول الوحي بعد الانبياء، لنزل على الشعراء..[٢] فإن فوائد الشعر كثيرة وغير قابلة للنكران.

بيت فارسي معناه

في وادي الشعر ثلاثة فحول لا يدانون

بغض النظر عن القول الشريف: لا نبي من بعدي

في الوصف وتدبيج القصائد والغزل

الفردوسي وانوري وسعدي

وعليه فإن جل همه كان منصباً على نظم الشعر بالدرجة الأولى. ومن جملة اعماله المنظومة اخترنا القطعة الغزلية التالية:

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولا اشارة له في المختصر.

[٢] كذا في النص.

الترجمة العربية:

امن من نصيب دار حظي ان تكشف بالهموم

وان كان كناسها قوادم طائر الاقبال

في عاقبة الامر صار فتيلة لسراج ليلة الهجران

الحبل الواهن المنعقد لامل الوصال

ان حداد الدهر قد صنع القفل لبوابة حظي

لكنه قصر في اعداد مفتاحه بداعي الاهمال

لتكن حجرة حظي السوداء كالياقوت

اقراط زينة في اذن عروس الآمال

آن الأوان ان يكون المدام الصافي يا ناري

صبغة حمراء لخدي عروسة الآمال

كان في المحادثات حاضر البديهة والجواب وايراد النكات. وقد كان يوماً ضيفاً في دار جرجيس افندي من رجال العلم في اربيل[1]،

---

[1] جرجيس الأربلي، من علماء العراق النابهين في عصره، قرأ العلوم على كبار علماء أربل، وعلى علماء الحيدرية في قرية ماوران من أعمالها، وعلى علماء بغداد. تولى التدريس في الموصل، وفي أربل، وفي العقر، ثم استدعاه والي الموصل سليمان باشا الجليلي ففوض إليه التدريس في مدرسة جده، وهي المعروفة بجامع الباشا، ثم الخطابة في الجامع المذكور، ثم ولي مدرسة محمد باشا الجليلي اضافة إلى ما في يده، وأجاز جماعة من علماء الموصل، وتوفي في الموصل سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م. وكان شاعراً "له شعر لطيف" . تنظر ترجمته في ياسين العمري: غاية المرام ، ومحمد أمين العمري: منهل الأولياء ج١ ص٢٨٦.

فصادف أن تأخر احضار طعام الإفطار الصباحي اكثر مما ينبغي لسبب من الاسباب، فكتب بيت الشعر الآتي على ورقة وتركها لصاحب الدار:

معناه

الظاهر ان صاحب الدار هذه يحسبنا صياماً

إذ اجل فطورنا الصباحي إلى وقت الافطار

وحدث في وقت ما، ان المدعو شوره باشا، قد رفع راية الانفصال عن تبعية ولاية بغداد، واعلن نفسه حاكماً على منطقة زهاو[1].

---

[1] مدينة حدودية قديمة من توابع بغداد، قريبة من مدينة (درتنك) ومن موقع (سربيل، سربول) عند ضفة حلوان جاي، حيث تقع خرائب مدينة حلوان، وتعرف اليوم بإسم (سربيل زهاب) (سربيل تعني: رأس الجسر). وقد ورد اسم زهاب في مصادر القرن السادس عشر لكونها جزءاً من إمارة درتنك، وبانضمام أمراء الأخيرة إلى العثمانيين في القرن المذكور، أصبحت زهاب تابعة إلى ايالة بغداد، بل أصبح لواء زهاب بدلاً من لواء درتنك، وكان يتولى حكم زهاب أمراء من الأسرة البابانية العراقية، يخضعون لوالي بغداد مباشرة، وعدت زهاب احدى المناطق الحدودية الحصينة للعراق، وكانت تعسكر فيها حامية عثمانية قوية، وهي آخر محطة قبل الدخول في الأراضي الايرانية. استولى عليها فتح علي القاجاري (١٧٩٧-١٨٣٤) عنوة وضمها إلى ايران، وقد اعترفت الحكومة الايرانية في معاهدة أرضروم الأولى سنة ١٨٢٣ بوجوب اعادتها إلى الدولة العثمانية، لكنها لم تنسحب منها منذ ذلك الحين. ينظر بحثنا: الوضع التاريخي لمدن وأراضي الحدود الشرقية، في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي، اصدار جمعية المؤرخين، بغداد ١٩٨١، ص١٦٧-١٦٩.

فجاء رجل يدعى حزني افندي وعينه مديراً للخزينة كما عين شاعرنا ناري هذا كاتباً في دائرته. لكنه بما ان وزراء بغداد لا يشبهون غيرهم في قوة البأس والمكنة، ومعالجتهم لمثل هذه الحالات بالحزم حالاً، ولاسيما ما نشاهده اليوم بأم اعيننا من الصلابة والعزم اللذين يمتاز بهما حضرة سيدنا ولي النعم في الأمور الادارية، وهو الذي يركع الابطال العظام أمام جبروته من امثال رستم الوارد في الاسطورية الايرانية، في ايام الشدة، ويحسده كرام الرجال كحاتم الطائي في مجال البذل والعطاء ايام السلم والرخاء. وحاصل الكلام ان مسؤول ذلك العهد قد اتخذ الإجراءات اللازمة فوراً فارسل قوة صغيرة قضت على الحكومة المذكورة في وقت قصير شر قضاء. ولم يكتب لها من العمر غير ثمانية عشر يوماً[1]، وعلى اثر ذلك، نظم الشاعر نالي البيت الآتي تخليداً لذكرى الحادث المذكور ساخراً:

معناه

صار ناري كاتباً لشوره باشا وحزني خزنه دارا

لم يكتب لهذه الدولة اكثر من ثمانية عشر يوماً استقراراً

وكان شغوفاً بامور العشق والهوى، لا يفتأ أن يكرر ذكر المحبين دائماً. بيد أن فيه الكثير من ذرب اللسان وسلاطته.

---

[1] هذه المعلومات تردنا لأول مرة عن هذه الحركة الانفصالية في زهاو، وقد انفرد المؤلف بالاشارة إليها بين كتاب عصره.

بيت فارسي معناه

بالعشق يجد الحياة كل صــاحب قلــب   أما انت المفتقر إلى الحب فعذرك معك

وفي آخر مرة سافر فيها إلى ولاية ديار بكر، حيث حصل علـــى وظيفة كاتب بمكانة معتبرة، كان عنده عبد رقيــق ملـك يمينـه يزيـدي الاصل، فجاء هذا إلى وزير الولاية يوماً فوشى به بتهمة الزنا عنده كذبــاً وبهتاناً.

بيت فارسي معناه

ان جرو الذئب لابد وان ينشأ ذئبـاً   وان ترعرع بين الإنسان فرضــاً

وبناء على وجود الكثير ممن يكنون له العداء، ويريــدون الحــاق السوء به، فلقد راح المسكين ضحية الكيد والغدر، دون اجراء أي تحقيــق أو تمحيص في صحة التهمة الملصقة به، فأذاقوه كــأس الشــهادة ظلمــاً وعدواناً، وكان ذلك في عام الف ومائة وتسعة وتسعين للهجرة[1].

بيت فارسي معناه

كن مثل منصور إذا ما اخذت إلى عود المشنقة

فسر ثابت القدم فالدهر ليس له ثبات

---

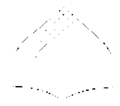
[1] أولها ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٨٤م.

كان اسمه الادبي ناري، وقد عاش من العمر سبعاً وخمسين سنة.

بيتان بالعربية

هي الدنيــا تقــول للمــلء فيــها　　حذار حذار من بطشــي وفتكــي

فلا يغرركمــو حســن ابتســامي　　فقولي مضحــك والفعــل مبكــي



٦٤- محمد افندي كاتب الينكجرية[١]

مخلصه: واثق

ولادته: ١١٣٠هـ/١٧١٧م

وفاته: ١٢١٧هـ/١٨٠٥م

ذكر مدون دفتر الادب والعرفان، واثق محمد افندي كاتب الينكجرية[٢] إن الموما إليه هو ابن محمود افندي الذي كان من معشر الرسامين وفرقة الخطاطين في وقته. وبهذا الاعتبار فإن الشاعر محمد افندي لما ظهرت عنده الرغبة في خوض غمار الأدب، وضع القدم على قاعدة ملائمة رصينة، ومما ساعده على النبوغ في هذا الميدان هو تحركه من منطلق (من جَدَّ وَجَد).

بيت فارسي معناه

إذا ما وافق التوفيق الرباني شخصاً فكل امنياته تتكلل بالحصول

---

(١) انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

(٢) كذا كتبها المؤلف، مثله في ذلك مثل معظم الكتاب العرب المعاصرين له، وهي كلمة تركية مركبة من مقطعين: ينكي (وصواب كتابتها يكي، وتلفظ يني) بمعنى جديد، وجري (بجيم مثلثة) بمعنى نظام، فيكون معناها: النظام الجديد، اسم اطلق على قوات المشاة العثمانية التي وضعت تشكيلاتها في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد، واستمرت تؤدي دورها العسكري، بل والسياسي أحياناً، إلى جانب القوات الإقطاعية المعروفة باسم سباهي، إلى أن ألغيت رسمياً سنة ١٨٢٦ بأمر من السلطان محمود الثاني، بعد أن كثرت حوادث تمردها في الداخل، وهزائمها في الحروب الخارجية.

مع انه نال الالطاف السنية، وحاز الأعطاف العليـــة، فـــي ايـــام وزارة المرحوم سليمان باشا[1] بتعيينـــه كاتبـــاً فـــي دائـــرة (ينكجـري أفنديسي)[2]، إلاّ ان سلوكه السليم وسيرته الحميدة لم يطرأ عليها أي تغيـير أو تبديل بأي وجه من الوجوه.

بيت فارسي معناه

من الجائز اغتراف الكأس المترع والجلوس بانتباه

المهم عند بلوغ الدولة الا تجعل الرجولة نهبة للثمل

كانت اخلاقه واطواره وتعامله مع الناس، مقبولة ومرضيـــة إلـــى الغاية لدى الخاص والعام على حد سواء. وهـــو ليـــن الجـــانب، لطيـف المعشر، حلو الحديث، كلامه جـــذاب يـــروق للســـامع الاســـتماع إليـــه ومجالسته.

بيت معناه

لا تتشبه بالمبرد بل كن صافي المشرب كالجنجل

انما وجه الصفا لدى جميع الشعائر هو في البساطة

---

[1] لم يذكر ما إذا كان يقصد سليمان باشا الكبير، أو سليمان باشا الصغير.

[2] وهي الدائرة المعنية بشؤون ادارة أورطات (أفواج) قوات الينكجرية (الانكشـارية) في بغداد، وكان مقرها في مبنى خاص يقع قريباً من ساحة الأمين، حيـث تمثـال الشاعر الرصافي اليوم.

وكان في وادي الكتابة النثرية، ذا باع طويل في ايـــراد النكـات المستحبة إلى القلب.

ومن تآليفه مجموع كامل في بيـان السـيرة النبويـة والأحـداث الجارية في مكة والمدينة في حضرة الرسول المصطفى عليـه السـلام، وهي بمثابة مصدر جيد لطلاب البلاغة وراغبي الفصاحة.

أما اشعاره فيربو عددها على عدد النجوم. اخترنا منـها الغـزل الآتي:

الترجمة العربية:

تلك الحبيبة ذات الدثار الوردي جعلتها زين حضن العتاب
طوقت خصرها الرفيع، في وجه القيل والقال فسدت الباب
من ديوان الملاحة مطلع انوار حسنها
متخذاً من دوبيت حاجبيها تاجا للرأس بطريقة الانتخاب
لا ضير ان يصيبني الرمي والعذل من قالة السوء
فقد تحملت كل طعن شائن في سبيلك انت بلا ارتياب
بينما ثمة العديد ممن نالوا منك اللطف والاحسان
لم آثرت انا منك حرقة الفؤاد وسترتها تحت الحجاب
ها قد حل عيد وصلك مخلفاً صيام الهجر حمداً لله
سراب محنتك بدلته بفيض ثغرك مليئاً بالشراب
طرق سمعي بأنها قد وعدت رسم العيد إلى (واثق) بابتسامة
طاب خاطري فللوصل سعيت لفتح الباب

وبحسب كونه واثقاً بالله فمخلصه الأدبي واثق.

لقد واظب عندليب حياته على الشدو فوق دوحة الدهر لمدة سبع وثمانين سنة، وفي عام الف ومائتين وسبعة عشر[1] آثر تبديل المقام، فطار إلى روض الجنات واستقر فيه على الدوام.

بيتان بالعربية

لو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلدا

فمن ذا الذي يلقى من الموت سالماً وسهم المنايا قد اصاب محمدا

---

[1] أولها ٤ أيار سنة ١٨٠٢م.

٦٥- عبد الله افندي[١]

مخلصه: وجهي

ولادته: ١١٦٢هـ/١٧٤٨م

وفاته: ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م

هو ابن الملا قاسم الكركوكي الاصل والوطن. كان واسع المعرفة بشؤون الملالي. وفي مجال النظم والنثر كان جواد قلمه الجوال، يصول ويجول كالطاووس المختال، بحيث ظل الزملاء والاقران ازاءه مشدوهين يعضون على أصابعهم من فرط الحيرة.

راجع ذات يوم كاتب الديوان لطف الله افندي[٢] لأجل مهمة في دائرته. فغفل المرحوم عنه لكثرة المشاغل على ما يظهر مما أثار امتعاضه، فانشأ القطعة الغزلية هذه وسجلها على ورقة سلمها إلى الموما إليه وغادر الدائرة المذكورة صارفاً النظر عن انجاز المهمة التي جاء من اجلها، وعاد إلى محله.

الترجمة العربية:

تضرع من القلب إلى السلطان الدائم الاوحد
بالجلاد السفاك القاسي ابداً به لا تتوسل

إذا ما ارادوا رميك في جب الفراق دعهم يفعلوا
اياك ايها الطفل البرئ كن كيوسف وبالاخوة لا تتوسل

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر.

[٢] تقدمت ترجمته.

مع انك قد حبست في السجن هذا بتهمة زليخا

لسوف تكون عزيز مصر يوماً فبالسجن لا تتوسل

ايها القلب لا تعرض النبض لكل طبيب تحسبه لقمان

ان يزدد فليزدد.. لا علاج للسقم فلا تتوسل

قد دأب الفلك على الدوران في الاتجاه المعاكس دوماً

ليس من شأنه الدوران وفق المطلوب فلا تتوسل

ان بحر المحن انساق في لججه زورق الروح

تعال ايها القلب توسل بالخضر أما باليم المبتلع فلا تتوسل

إذا ما كنت تبغي رفع المظلمة إلى الحاكم بخضوع

فتوسل برئيس الدائرة أما كاتب الديوان فيه لا تتوسل

فاتح احبائك الخلص باحوالك وحدهم

أما البليد الذي لا يرعى حق الخبز والملح فيه لا تتوسل

إذا ما رمى الحبيب سهام الاهداب من قوس حاجب

فاعرض لها الصدر لكي تضرب، اياك والسهام فبها لا تتوسل

انما الذي اصابني بطعنة نجـــلاء لـــهي الغـــادة ذات العينيـــن

السفاكتين للدماء

فتجمّل بالصبر يا (وَجْهي) وتحمّل أما بخنجر الجبار فلا تتوسل

كان معروفاً بمخلص (وَجْهي) لدى وجهاء بلدة العرفـــان[1]. ثـــم بدرت منه رغبة في السلوك في مسلك الطريقة التصوفية، فصار في عـداد المريدين التابعين للشيخ محمود المعروف بفاضل الداغستاني في اربيـــل، فكلفه الشيخ بكنس ممرات التكية لمدة من الزمن، وهكذا ظل منخرطاً فـــي سلك الطريقة إلى يوم وفاته.

بيت فارسي معناه

إذا ما احالك شيخ طريقتك في العشق إلى الراح

فتجرعه برحابة الصدر ثم كن منتظراً لرحمة الرحمن

وجرياً على قاعدة لكل موسى فرعون، كان ثمة شـــخص منكـــر جاهل يبغضه ويكن له العداء دوماً.

بيت فارسي معناه

في الروض هذا لم يقطف احد وردة بلا شوك

فالسراج المصطفوي كان محاطاً باشرار ابي لهب

مكثت روحه في رباط بدنه سبع واربعين سنة، وفي عـــام الـــف ومائتين وتسعة[2] غادر الدار غير الوفية هذه، مولياً وجهه شـــطر جنـــة المأوى.

---

[1] يريد: بغداد.

[2] أولها ٢٩ تموز ١٧٩٤م.

بيت فارسي معناه

تذكر وقد ضمنت بقاءك على قيد الحياة

ترددك بين الطموح تارة والقنوط

٦٦- اسحق افندي[١]

مخلصه: هوائي

ولادته: ١١٥٤هـ/١٧٤١م

وفاته: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م

ذكر هاوي العرفان والكمال، اسحق افندي المشتمل على المعارف

إن الموما إليه هو من اولاد عم بكتاش افندي[٢] التائب المدرج في باب حرف التاء من الكتاب. كان قد قسم له الالتقاط من فتات موائد ارباب العلم على قدر الحال، وكان مخزن ضميره طافحاً بصنوف نعم المعارف. ان العسل الصافي الطافح من طبعه في اشعار رائقة، استهوت قلوب متذوقي الأدب، وأشعاره لما طرقت اسماعهم، جعلتهم يتهافتون عليها كالنحل بوصفها شهداً صافياً لا غنى لهم عنه. واليك هذا الأنموذج من الغزل من شهده الصافي:

الترجمة العربية:

يطل صبح الامل من فتحة ثوبها

الغم يبشر بالخير عن سالفها المتناثر

كلما يممت شطر الروض للتنزه

---

[١] انفرد المؤلف بالترجمة له، ولم يشر إليه صاحب المختصر، ويفهم من قوله أنه من أبناء عم الشاعر بكتاش المتخلص بتائب، أنه من الأسرة القديمة المعروفة ببغداد بآل البارودي.

[٢] الترجمة ٨.

يعتري الاهتزاز جسمي من سَرْوِها المتخايل
لو ترمقني بنظرة فهذا القلب الولهان
ينام حتى الحشر سكراناً من عينها الثملى
هل من الممكن الحظوة بوصلها
واذ دماء العشاق تتقاطر من خنجرها الجبار
بغية الحصول على النشوة يا (هوائي) لدموعي
هي اولى لدي عن لطف الدهر واحسانه

بما أنه كان من ارباب الهوى، فلقد عرف بمخلص هوائي، وبحكم كونه من ارباب القلوب وصاحب طبيعة[1]، وليّن الجانب، وحلو المعشـــر، فلقد كان مولعاً بامتاع النظر بالخدود الاسيلة للبدور.

بيت فارسي معناه
بئس عين لم تفقد ماءها في ذرف دمع الغرام
وبالعتمة قلب افتقر إلى شمع الوداد

---

[1] ذلك مصطلح ماكر يستعمله البعض من صنف العوام فـــي التطـرق لمثـل هــذه الحالات، وقد سبق للمؤلف استعماله في بعض المباحث السابقة.

مع انه قد جبل على الطبع هذا، إلا انه لم يكن يكشف مكنونات قلبه ودخائل صدره لحضار مجلسة وروواد عشرته، بل كان يخفي ذلك عن رفاقه الخلص القدامى كذلك.

بيت فارسي معناه

كل من كشف عن دخائل صدره للآخرين كالشمعة

فإن سنان الزمان سوف يلجم لسانه كالمقراض يوماً

لم يعمر في هذه الدنيا الفانية غير ثلاث وثلاثين سنة، ففي عام الف ومائة وسبعة وثمانين[1]، ذهب مع من ذهب ضحية لمرض الطاعون الكبير المتفشي في طول البلاد وعرضها، والقى عصا الترحال في المنزل الأول من رياض الجنة.

بيت معناه

ينخدع السذج وحدهم بمكر للدهر يا خطيبي

إذ كيف يستسلم الإنسان العاقل للعدو الغادر

---

[1] أولها ٢٥ آذار ١٧٧٣م.

٦٧- احمد باشا الكتخدا[١]

مخلصه: يُمْنِي

ولادته: ١١٥٩هـ/١٧٤٥م بالتخمين

وفاته: ١٢١٩هـ/١٧٩٦م

نكر زين الوزراء، أحمد باشا اليُمْني الكتخدا

---

(١) أغفل صاحب المختصر هذه الترجمة، مع أن صاحبها من الشهرة بمكان في عصره، عرف أولاً بأحمد ابن الخربنده(خر: حمار، بنده: غلام أو عبد، فيكون معناها : مكاري الجيش) نشأ في خدمة والي بغداد سليمان باشا الكبير، ورفعه هذا إلى منصب (مهردار) أي حامل الأختام، وصار يأتمنه على أسرار الحكم ويستشيره فيها، بل جعله مشرفاً ومساعداً لمتسلم البصرة، ولسنا نعلم شيئاً عن أحواله في البصرة، ولا مدة مكوثه فيها، إلاّ أننا نراه سنة ١٢٠٠ه/ ١٧٨٥م في سراي بغداد، منغمساً في سلسلة من المؤامرات التي رفعت من شأنه حتى صار كتخدا لوالي بغداد سليمان باشا الكبير، وتولى قيادة الجيش في عدد من الحملات العسكرية، ولقي مصرعه غيلة في سراي بغداد عند مجيئه إلى الوالي كما تقضي بذلك المراسم على يد الخزندار علي آغا، ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي . ينظر عثمان بن سند: مطالع السعود ص١٤٨، ٢٠٩ والكركوكلي: دوحة الوزراء ص ٢٠٠ وسليمان فائق: مرآة الزوراء(ترجمة موسى كاظم نورس، ونشر باسم تاريخ بغداد، بغداد ١٩٦٢، ص ٢٥) ومن باهر أعماله في بغداد أنه أنشأ الجامع الكبير المطل على الميدان المسمى بجامع الأحمدية نسبة إليه، ولم يتمه، فأتم بناءه من بعده أخوه عبد الله بك سنة ١٢١١. الألوسي: مساجد بغداد وآثارها ص ٧٤.وانفرد المؤلف هنا في ترجمته بوصفه أديباً شاعراً.

كان المشار إليه بغدادي الاصل والمسكن، وهو من اشعة شمس الكياسة ونور بدر الرئاسة. بدت على جبينه الأغر، منذ نعومة اظفاره ونشأته الأولى، علامات الدولة وبوادر السطوة.

بيات للمؤلف معناه

إذا توفرت آثار العلى والدولة لدى امرئ

تجلت بوادرها عنده وهو لما يزل في المهد

ولما نصب سليمان باشا المرحوم متسلماً في البصرة، عمل مستخدماً تحت امرته، وظل ملازماً له. ولما جرى توجيه وزارة بغداد إلى عهدة المشار اليه، عمل هذه المرة بمهمة (مهر دار)[1] له، لما كان يتمتع عنده من المكانة والثقة. ولقد جرى الحال على هذا المنوال حتى حظي بمنصب الكهيا بدرجة امير الامراء.

بيت فارسي معناه

من حظي بفيض الدولة منذ الازل

لازمته حتى الأبد مترعة كأس الامل

---

[1] أي حامل الأختام.

كان موظفاً كفوءاً قديراً صاحب رأي وتدبير، يستشيره المرحــوم سليمان باشا[1] في مهام الأمور الخاصة قبل ان يبحث فيها. وكــان بعيــد النظر، ثاقب النظر سديد الرأي يتميز بذهن وقاد.

بيت لمنشئه تعريبه

كان بالغ الحدس بحيث لو يتصور امرأ ما

كان معناه يتبادر إلى ذهنه في تــــوا

كان عارفاً بالنوادر والنكات والامثال، مما كان غيره من الكتــاب وامثالهم يتداولونها في الاحاديث والرسائل والمنشآت الكتابية ومـــا إليـــها، فيأتي بها في الوقت المناسب ببراعة ومهارة تامتين، ويجـــري فـــي اثـــر المتقدمين عليه في هذا المضمار. وعلى سبيل المثـــال فـــإن ابـــا داهـــم البيدوسي كان قد اهدى زنبيلاً مليئاً بالبصل إلى حبيبته، فلما وصل ذلـــك إلى علم ابن معدل، نظم الارجوزة هذه بشأنها:

قالت جيل ماذا العمل

هذا الرجل منذ احتفل اهدى بصل[2]

---

[1] هو والي بغداد سليمان باشا الكبير.

[2] يبدو لي انه يوجد بعض التخبط في هذه الفقرة، فالمعنى غير مستقيم تماماً. كما هو ظاهر للرأي. المعرب.

وحدث ذات مرة كذلك أن احد الاشخاص اهدى حذاءاً من النـوع المسمى بالجزمة[1] إلى احد اصدقائه في معرض الاستخفاف والنكاية، فجاء الشخص المذكور، يرجوني ان احرر له جواباً للرسالة التي وردت من الرجل المهدي، ولدى تدوين الجواب، ادرجت فيه الشطر الآتي:

ان الهدية على مقدار مهديها

وكان شاعرنا ملماً بالفن الموسيقي وله معرفة بالمقام إلى حد كبير.

نظم للمؤلف معناه

كان واهب النغم إلى عشاق الحجاز ومصر حقاً

ذلك امر معلوم لدى اهل العراق اصحاب الحكم

ان شهناز نطقه قد اوحى بلحن الصبا إلى البلبل الشادي[2]

فماء فيضه وجوده قد اورث الطراوة لرياض المعان

كان الاصحاب حائرين عند اوج استغنائه

مديحه قد صار قرطاً في آذان بنات الحور

آه لو وقع نظر الفارابي على مجلس انسه عند الانعقاد

لاخذته الحيرة من الطرب ولأفلت منه زمام الاختيار

---

[1] الجزمة، بجيم مثلثة، تركية: حذاء طويل الساق.

[2] ان مصطلحات عشاق وحجاز وعراق وشهناز والصبا والاوج، اسماء مقامات موسيقية معروفة لدى الفنانين الترك، ولقد صاغ منها المؤلف منظومته بكل براعة ومهارة جديرتين بالتقدير. المعرب.

وإن ادنى مواهبه الحميدة، كانت تتجلى في براعة الاسلوب في مجال الكتابة النثرية، مع مهارته في قوة الاداء والرصانة في وادي الكلم المنظوم في عين الوقت، فالسحر الموجود في نثره القى بهاروت في جب الحيرة، ورقى نظمه قد شدت وثاق ماروت بآصرة الذهول.

ولقد آثرنا تزيين صفحة الكتاب بهذه القطعة الغزلية الآتية النابعة من قلمه الواسطي، والتي هي الواسطة للشعر البكر:

الترجمة العربية:

طلباً لخدك وقعنا في عتمة سود السوالف

ولأنا طلاب فيض الصباح وقعنا في غسق المساء

يا ذات المحيا الوردي مذ أن بان القلب عنك

مثلنا كمثل طير الروض وقعنا في شباك العناء

أي كأس يجود به الدهر ارفضه ولا اقبله

فلقد نلنا كأساً يزري بمئة شمس ذات سناء

لا ضير ان صرنا نسكن اليوم الجبال الموحشة

لما ابتلينا كفرهاد بداء العشق الذي بلا دواء

منذ ان وقع القلب اسيراً في جعدها المنير

صرنا يا يمني نصارع الموت الزؤام في شرك الهواء

وثمة بيت شعر مفاده

مثل بغداد القديمة اورثت في قلبي الخراب

وماذا يفيدني عذرك بعد خراب البصرة

فلقد جاء الشاعر احمد باشا ببيت نظير مماثل له وهو:

ها قد ظهر ريم فتان جديد في العصـو   لابد ان يجبر قلبي بعد خراب البصرية

اشتهر بمخلص يُمْني في اعماله الشعرية.

وكان ذا فطنة يحل المعميات والالغاز بكل يسر وسهولة وفي التـو واللحظة، من ذلك أنه اوجد حلاً للغز الفارسي ومعناه:

اريد جني ثمرة من اللعل وهي ضد الشرقي

والذي يتضمن معنى القبلة في طياته.

على النحو الآتي

عكس كل من الكلمات الأولى هي التي تليها مباشرة:

الشرقي= الغربي. الغربي= العربي. العربي= الربيـع. الربيـع = بـهار (بالتركية)

بهار= نهار. النهار= اليوم. اليوم= موي (الشـعرة بالفارسـية). مـوى= الشعرة

الشعرة= الشعر. الشعر= البيت. البيت= الدار. الـدار= الـزاد. الـزاد = توشه (طعام بالفارسية) توشه= بوسه (أي القبلة بالفارسية)

أما الشاعر الحاج عمر افندي الباغري (الباغرزاده) فلقد اجـرى حلاً لهذا اللغز على نحو آخر كالآتي:

ضد الشرقي= غربي. غربي= عربي. عربي= تازي (يعربي) تازي = بازي (لعب). بازي= لعب. لعب= بعل. بعل= بغل. بغل= استر (نفس المعنى بالفارسية)

استر= اشتر (جمل). اشتر= جمل. جمل= حمل. حمل= بار (بالفارسية)

بار= بقلة. بقلة= قبلة. قبلة= بوسه (بالفارسية).

وكان والدي المرحوم الخطيب اللبيب، قد راجعه ذات يوم في الدائرة، لغرض تقديم بعض السجلات الخاصة بمقاطعة شهربان للنظر فيها والبت بشأن بعض المعاملات الرسمية. وإذا بالمشار إليه يوجه الخطاب إلى الوالد قائلاً:

- خذ هذه الورقة.

ما كان من الوالد إلا ان تناول الورقة من يده، وطبع قبلة على ذيلها في معرض تقديم الشكر حالاً. لكنه ردد قائلاً: أنها لم يجدها إلا ورقة عادية لا غير، وبطريق المزاح:

- لقد نلت المجازي منها في الاقل.

وما ان سمع ذلك حتى قدم هدية للوالد مقدارها مائة دينار ذهباً بالتمام والكمال لساعته. وازاء الموقف هذا انشد الوالد البيت الآتي ارتجالاً ما معناه

ان ذاتكم الطاهرة لروح إلى جم[1] الاحسان

فلولا ذاتكم الطاهرة لانعدم بدوره الاحسان

وكان عمره قد تجاوز الخمسين، لما قتله علي باشا الخزينة دار غيلة بطعنات السكين ذات يوم بتاريخ ١٢٠٩[2]، وحل هو محله في منصبه بعدئذ[3].

بيت عربي

مصائب قوم عند قوم فوائد فوائد قوم عند قوم مصائب

وبالنظر لكثرة الطعنات النجل التي نالها على يده، وعدم انقطاع نزيف الدم من جروحه، لم يتيسر اجراء الغسل لجنازته، بل اودع جثمانه الثرى دون ذلك اضطراراً .

بيت فارسي معناه

ان اعضائي المقطوعة ارباً لا تتحمل الخياط

اودعوني الثرى برفق وتأن

---

[1] تقدم مقصود الشعرا بجم هذا.

[2] كذا في الأصل، وفي مطالع السعود ، ص ٢٠٩، ودوحة الوزراء ص ١٩٩، أن قتله كان سنة ١٢١٠هـ.

[3] أي أنه شغل منصب (الكتخدا) بعده. ويذكر الكركوكلي(دوحة الوزراء ص ٢٠٠) أن قتله كان باذن من سليمان باشا الكبير وبايعازه، وهذا ما يفسر تعيينه في منصب سلفه المقتول فوراً.

٦٨- اسماعيل آغا[1]

مخلصه: يُسْري

ولادته: ١٢١١هـ/١٧٩٦م

ووفاته: ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م

ذكر العارف باصول مختلف اللطائف،

الاديب اللبيب يسري اسماعيل آغا

إن الموما إليه هو ابن الملا عمـــر البغـدادي اصـلاً ومسـكناً، واسرتهم تعرف بلقب آل الحمامجي. له اطلاع على قدر الحــال بـالنحو والصرف العربي. وهو ذو قدرة متميزة في فن الادب واللطـائف، كمـا يستبان من قطعته الغزلية التي انشدها في حق عاطف المدرج في سلسلة

---

[1] انفرد المؤلف بالترجمة له، وله ترجمة موجـزة فـي المختصـر ص ٤٣، فيـها تفصيلات لم ترد في الأصل، منها" أنه كان شاباً صبيح الوجه، قرأ مقـداراً مـن الصرف والنحو، وقرأ الفارسي، وبعد تعاطي علم العروض، وصار ماهراً فيـها، وبعد توفي أبوه وكان له ثلاث قراريط (أي حصص)من حمام، فبعـد وفـاة أبيـه أرباب الفرض ادعوا بالارث، فباعوا ما لهم من ملكية الحمام، وأخذ كل ذي حـق حقه، وبقي الومى إليه فارغاً من الإيراد ، فبأيام المرحوم داود باشا دخـل إلـى سلك الأغوات ولبس القاووق(قلنسوة طويلة يلف عليها عمامة ثخينة، ولابسه يدل على أنه آغا)، فصار ايج آغاسي (أي: أغوات الخدمة الداخلية)، فبتـاريخ سـنة ١٢٤٦ وقع الطاعون فتوفي رحمة الله عليه، وكان عمره خمسة وثلاثـون(يريـد: خمساً وثلاثين) سنة".قلنا: وتاريخ وفاته لم يذكره في الأصـل وقـد أثبتنـاه مـن المختصر وأثبتناه في صدر هذه الترجمة.

حرف العين. وهو شاعر لبق، حلو الكلام، عذب الاسلوب، بليـــغ الاداء، يثير البهجة في نفس القاريء لدى مطالعة اشعاره. عدد نتاجاته الشـــعري لا يحصى. واخترنا الغزل الآتي من جملة ابداعاته:

الترجمة العربية:

في محفل حسرتك للعاشق الولهان نصيب

رجع لسانه صباحاً ومساء هو: يا حبيب

كل من احجم عن افتداء الرأس في سبيلك

فهو عن لذة وصل الحبيب بلا نصيب

ان طير الهوى لا يشدو لكل وردي العذار

بل يشدو بهوى خدك انت ياله من عندليب

محفل وصلك قد غدا مرتعاً للاغيار

ان سهم غمزتك للعاشق كل آت رقيب

يا لكثرة من وقعوا في الاسر رهن الاقفال

حذار يا يسري !

ولكونه عذب اللسان وحلو البيان والمعشر، فإنه محبوب وعزيـــز عند الاحباب والخلان وقريب إلى قلوبهم جداً.

بيت فارسي معناه

من الميسور اصطياد اهل النظر بالخلق الحسن

أي طير كيس يقتنص بواسطة الشرك

كان متقلاً بأعباء المعيشة، ينوء بتكاليف الحياة إلى حد يفوق طاقته، إلا انه كان عند تعرضه إلى تطاول الأصدقاء في معرض الممازحة، لا يدخر وسعاً في الرد بجواب رقيق في غاية الظرف والادب. وكثيراً ما كان يورد الحديث النبوي الشريف في هذا السياق والقائل: لو اطلعتم على الغيب لأخترتم الواقع.

بيت معناه

يتبادر الغم إلى قلب العاقل في وقت المسرة

عسى أن يعوض ذلك في ايام الهموم

والحق يقال انه جاء يوم ازدادت عليه الهموم وداهمته الغموم إلى حد لا يطاق.

بيت فارسي معناه

كل امريء قد ابتلي بالمحن على قدر حاله

فما من احد اوتي ببراءة الحصافة

نعم انه بينما كان هذا واقع امره من ناحية العوز وتلاطم الهموم المعيشية إذا به يأتيه الفرج من حيث لا يحتسب، وينال عطف حضرة ولي النعم على حين غرة، فتتحول عسرته إلى اليسر بين عشية وضحاها على وفق مخلصه الشاعري. وهو اليوم ذو مركز مرموق بين موظفي الاندرون[١].

---

[١] تقدم معنى هذا اللفظ.

اعتذار

بعون الباري تعالى وتوفيقه، وبمساندة حضرة ولي النعم وتـــأييده. لقد بلغت خاتمة الترجمة هذه، الخاصة بسيرة الشعراء، والتي هي عديمـــة الرأس والقوائم، اخيراً. ومع ان جوانب العيب والنقصـــان الـــواردة فيـــها غنية عن البيان، إلا انه ثمة معذرتان اثنتان تشـــكلان مصـــدر الســلوان لخاطري المتكدرعلى أي حال. ارى ايرادهما هنا من الزم اللـــوازم فـــي نظري، اولاهما: إن بنود الترجمة المذكورة كانت من البداية وحتى النهاية على وتيرة واحدة ونمط واحد إلى حد ممل. وبما ان التراجم كلها كـــانت على نسق واحد تكاد لا تتغير بأي حال من الاحوال، فسرد كـــل واحـــدة منها باسلوب خاص مختلف ومغاير للاخرى من الصعوبة بمكان كما هـــو معلوم لدى كل من له نصيب من الاطلاع على شـــؤون الكتابـــة. هـــذه ، الخاصة بسيرة مشاهير الرجال الذين لهم جولات وصولات فـــي ميـــدان الادب، فانها لو كانت متغايرة في ما بينها من حيث المضمون لكان يمكـــن التعبير عن كل منها باسلوب خاص، وذلك بتأييد الباري وعونه، واعـــداد انفاس حضرة ولي النعم طبعاً.

أما المعذرة الثانية، فهي انني كنت قبل هذا التاريخ محروماً مـــن عواطف الجناب الخديوي ورعايته الكريمة السامية، إذ كان الدهر الغـــدار والفلك الدوار القهار قد الأنياب وأغرز المخالب إلى حد أخذ بخنـــاقي وأدى إلى ارهاقي.

بيت فارسي معناه

لما كانت السماء تحطم سفينة اهل المهارة وتغرقها

فمن الأولى عدم الركون إلى البحر المتقلب ابداً

وبناء على ذلك كانت مرآة قلبي قد علاها الغبار بفعل صنوف الملل والاكدار، وقصرت عن ابراز أية صورة من صور المعاني والبيان، كما إن ذهني المتعب بدوره قد اصيب بالشلل والجمود لنفس الاسباب، حتى صرت عرضة لهجمات الهواجس والخواطر السود في الليالي الليلاء دونما انقطاع حتى الصباح احصى الكواكب واراقب سيرها في السماء واعاني من الأرق والسهاد وامنى النفس واسليها بقول الشاعر:

بيت فارسي معناه

يا راجي الشفاء من البلاء لا تغسل الغبار عن العذار

فإن غبار حي المطلب لهو كيمياء المراد

فاني كنت أمنّي النفس بهذه الاقوال الحكمية ساعياً لاطفاء نار الحرمان المتلظي في الفؤاد. ولكن بعد ان شملني حضرة ولي النعم بعين رعايته وعطفه، أخذ الفلك الغدار يخفف عن الضغط علي شيئاً فشيئاً على رغمه ولم استرد زمام اختياري كلية بعد. انه اسكندر الزمان، وفغفور الدوران، وملجأ الانام، وكهف الخواص والعوام، وعيسى الشيم، ألا وهو حضرة ولي النعم

بيتان بالعربية:

ومن جوده يرمي العــدات باســـهم   من الذهب الابريز صيغت نصولـها
ليفقها المجــروح عنــد انقطاعـــه   ويشتري الاكفـــان منـــها قتيلـــها

أما ما ورد بشأن مناقبه السامية فحدث عنــها ولا حــرج وعلــى سبيل المثال وليس الحصر:

بيتان بالعربية:

لمختلف الحاجــات جمـــع لبابـــه   فهذا لـــــه فــن وهـــذا لـــه فـــن
فللخامل العلياء والمعــــدم الغنــــى   وللمذنب العتبى وللخائف الأمـــن

وياحبذا لو شملتني لفتة كريمة مـــن حضرتـــه، وأن يمـــن علـــي بالتعيين موظفاً في احد مناصب الخدمة المناسبة، فلسوف تزول عني كـــل سحب الهموم، وتنقشع عني غيوم الغموم كلية باذن الله، فيظــــهر امـــري على حقيقته.

بيت فارسي معناه

لئن كان عرض المهارة أمام استاذها من قلة الادب
لصمت اللسان ولكن الفم مليء بلغة العرب

قصيدة في مدح حضرة ولي النعم
وفيها تاريخ اتمام تدوين التذكرة

تعريب القصيدة

فتح باب العدل ودافع الظلم والاذى

مصدر اللطف والمراحم وفاعل خير الفعال

حضرة داود باشا الكريم الا مثيل

كيانه الطاهر هبة من الله ذي الجلال

بالعلم والفهم مصاغ وهو فريد عصره

لبسيط داره موئل لاهل الكمال

لئن كان تالياً في المرتبة لكنه مقدم

من حدسه وفكره يسقط كل مشكل ومحال

في جوهر ذاته كل اصناف المحاسن كامن

ذاته جوهر لا ينقسم ذلك الفريد العديم المثال

بصنوف الفضائل قد ازدان اصله

الجزء من نعته طغى على الكل في الاشتمال

بالجود والحلم قد طبع طبعه السليم

تجعل مهابته السام والنريمان أجوفي المثال[1]

اوجز الحديث فلا تسرف في الكلام

فان تبيان بديع وصفه من قبيل المحال

فقد امر بتأليف تذكرة بلسان الترك

---

[1] سام ونريمان بطلان اسطوريان ايرانيان. حسن عميد: فرهنك عميد، تهران ١٣٤٩، ص ٤٨٨.

هذا العبد الضعيف ذا بدر برج المعالي

رغم فقدان القدرة في القلب على تنفيذه

لكني بكل الاخلاص ابديت للأمر امتثالي

لما وضعت اليراع المنكسر على القرطاس

بفيض من الباري وتأييده هاج عندي خيالي

واخيراً تكلل الامر بالتمام ولله الف شكر

إذ جاءني المدد من الباري فوق السؤال

فقدمته إلى قدميه بكل حيـــــــــــــاء

آملاً ان يغض الطرف عن نقصانه صاحب النوال

اطال الله في عمره يوماً فيوماً

وصان مرآة قلبه الصافية عن الكرب والملال

كذلك نجله المحفوظ حسن بك بطول العمر

ظل يختال دوماً بالســـــعد في روض الدلال

يا صاحب الدولة والوقار والجلال

قد صار عقلك لقوائم العقلاء كالعقال

في اعتاب دولتكم لهذا الخطيبي العليل

سيفخر لو كان نصيبه صف النعال

فإن مخالب عقاب الدهر قد جعلت

طائر طبعه المهيض الجناح كسير البال

ما أعذبه لو صار في ديوانكم هامشاً

إذ جاءكم يحدوه الأمل، كاشفاً عن سوء حال

وكيف يليق تصريح بمقصد

وقد توفر فيكم ذهن سريع الانتقال

بكل رسم التعظيم رقمت تاريخ اتمامه

فبعون الباري تكللت الترجمة هذه بحسن الكمال[1]

تمت وبالخير عمت

في سنة ١٢٤٥هـ

---

[1] في الأصل، بالتركية: بولدي عون حق ايله بو ترجمه م حسن كمال.

فهارس الكتاب

١- فهرس الاعــلام

٢- فهرس المواقــع

٣- فهرس المصطلحات الاداريــة والحضاريــة

٤- فهرس الموضوعــات

فهرس الاعلام

فهرس المواقع

فهرس المصطلحات الإدارية والحضارية

فهرس الموضوعات

٩٢٨,١

م ٣٨٦ المجمع العلمي . العراق

تذكرة الشعراء ، شعراء بغداد في عهد الوزير داود باشا ؛ وضعه بالتركية عبد القادر الشهراباني ؛ نقله إلى العربية فؤاد حمدي.

بغداد : مطبعة المجمع العلمي ، ٢٠٠٢.

ص ؛ ٢٤ سم.

١-الشعراء ـــ تراجم أ. الشهراباني، عبد القادر (مؤلف)

م.و ب.فؤاد حمدي (مترجم) ج.العنوان

٢٠٠٢/٤٨٩

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٨٩) لسنة ٢٠٠٢